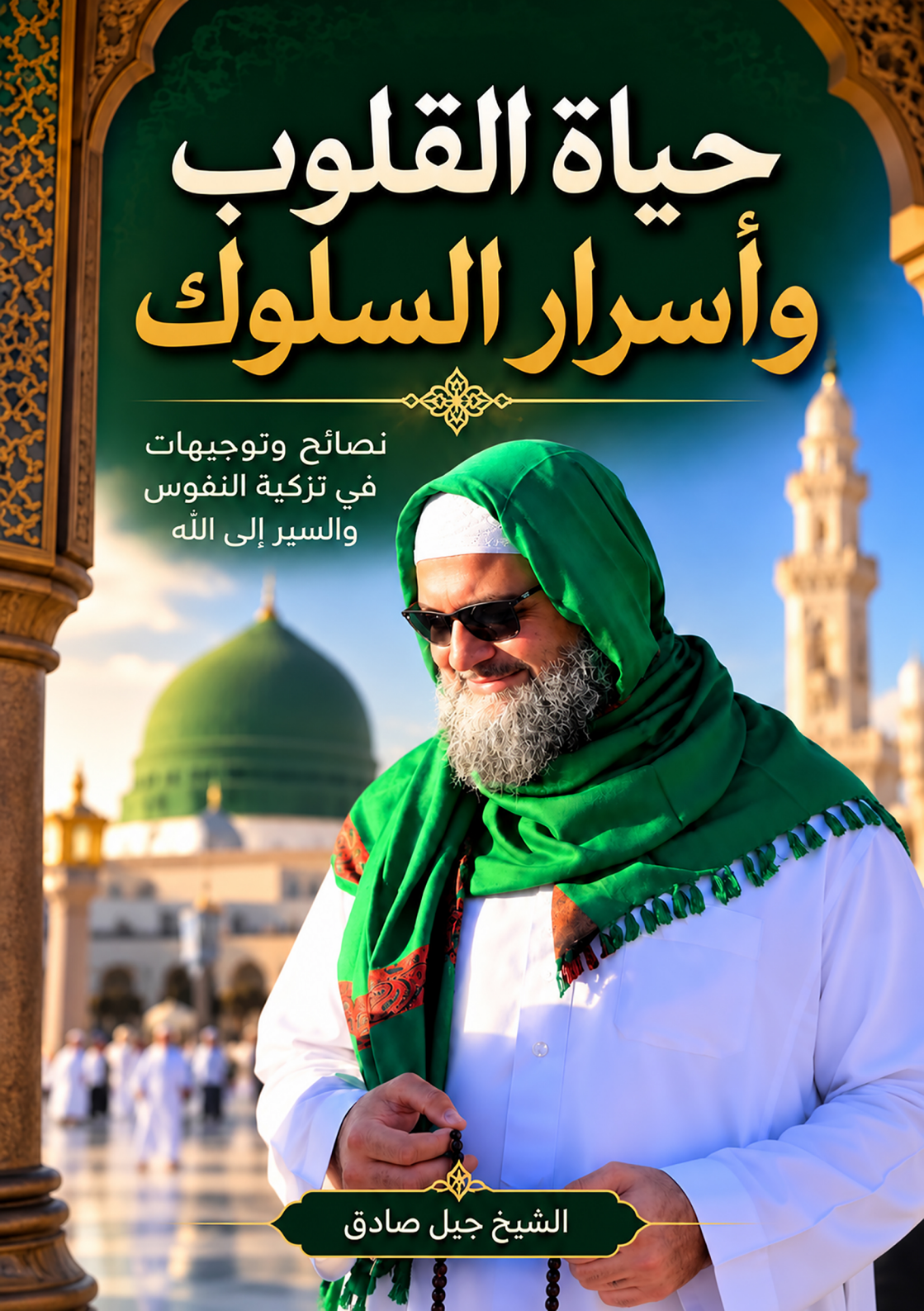
حياة القلوب وأسرار السلوك

نصائح وتوجيهات
في تزكية النفوس
والسير إلى الله



الشيخ جيل صادق

حياة القلوب وأسرار السلوك

النسخة الأولى

الفهرس

المقدمة 7

السعادة الحقيقية: أين نجدها؟ 13

لا تحزن: الصبر على مصاعب الحياة وتجاوز الهموم 30

الخوف من المستقبل والقلق من الغد..... 39

الوحدة رغم كثرة الناس. لماذا يشعر الإنسان أنه وحيد ولو كان محاطا بالأهل والأصدقاء؟ 56

الشعور بعدم التقدير: عندما تبذل من قلبك ولا تجد من يرى تعبك 78

العلم والعمل: ضرورة السلوك وتربية النفس..... 99

القلب: حياته وأمراضه وسبل إصلاحه 106

معرفة النفس ومخالفة الهوى 114

امتحان الإخلاص وحب المدح والظهور 129

خبيئة بينك وبين الله: أسرار الإخلاص 137

التحرر من التعلق بمدح الناس ورضاهم 143

الحسد: حقيقته وأسبابه وعلاجه 152

الاستعاذة من الحسد وأذى الحاسدين 160

النكد، وإساءة الظن، وخسارة الناس من حولك. 165

الجوع المعتدل ومجاهدة شهوة البطن 185

طريق المجاهدة طويل: لا تستعجل الثمرة 196

حيل الشيطان في تثبيط السالك عن الاستمرار 205

احذر المثبطين وشياطين الإنس 219

ضياع الوقت وتأجيل الأعمال 225

إدمان الهاتف ومواقع التواصل الاجتماعي: حين تستهلك الشاشة عمرك وتصرفك عما ينفعك..... 245

قوة الشخصية والشجاعة في قول «لا» 265

الصلاة ميزان السالك وأساس استقامته 282

الشوق إلى الصلاة وحلاوة المحافظة عليها 287

أدب الوضوء والاستعداد للصلاة 293

أسرار الذكر وأثره في حياة القلب..... 296

أسرار قيام الليل وكيف تصبح من أهله 305

كيف تصبح من أهل قيام الليل وتداوم عليه؟ 312

القرآن الكريم حياة القلوب ونور الطريق 323

حلاوة السلوك وسعادة القلوب 340

محبة أولياء الله وحلاوة أحوالهم 346

الصحبة الصالحة وأثر البيئة في السلوك 355

شخصية السالك: قوة وأخلاق وحسن معاملة..... 367

حسن الخلق وجمال المعاملة مع الناس..... 379

الغضب وسرعة الانفعال: كيف تهدم لحظة غضب ما بنيته في سنوات؟.. 395

حفظ اللسان وفضيلة الصمت..... 411

الكلمة الطيبة وجبر الخواطر: جبر الخواطر من شيم الأكابر 429

العلاقات المؤذية: عندما يتحول القرب من بعض الناس إلى مصدر للألم واستنزاف النفس 447

كيف تختار الزوجة المناسبة؟ قرار قد يحدد سعادتك أو شقاءك لسنوات طويلة466

كيف تختارين الزوج المناسب؟ قرار قد يحدد سعادتك أو شقاءك لسنوات طويلة 482

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل زوجته وأولاده؟ 501

سالكة الطريق إلى الله... كيف تعامل زوجها وأولادها؟ 518

تربية الأولاد: قبل أن تشتكي من فساد ابنك، اسأل نفسك كيف ربيته. 535

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل أبويه المسلمين؟ 555

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل إخوته وأخواته؟ 572

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل أرحامه وأقاربه؟ 592

سالك الطريق إلى الله وسالكة الطريق... كيف يعامل كل منهما أهل شريك حياته؟ 609

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل إخوانه وأصدقاءه؟ 624

سالك الطريق إلى الله... كيف يتعامل مع زملائه في العمل الدعوي والعمل الدنيوي؟ 639

سالك الطريق إلى الله... كيف يتأدب مع مشايخه؟ 656

لا تكسر هيبة الشيخ في قلب ولدك..... 672

مرض حبس العلم والاستئثار به وربط الطلاب بالأشخاص 685

سالك الطريق إلى الله... كيف يدعو الناس ويرشدهم؟..... 692

صفات الداعية الناجح... كيف يفتح القلوب ويكسب ثقة الناس ويحببهم في العلم والطاعة؟..... 708

الحكمة في تبليغ الدعوة 725

أمراض بعض الدعاة إلى الله 740

السالكة إلى الله: كرامتها وأخلاقها وحياتها الأسرية 755

أسباب سقوط السالكين... أربعة أبواب خطيرة..... 772

بيان عقيدة أهل السنة والجماعة..... 790

الخاتمة 796

المقدمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين، قائد الغر المحجلين، إمام الأتقياء العارفين، سيدنا وقائدنا وحبيبنا ونور أبصارنا محمد النبي العربي الأمي الأمين، العالي القدر، العظيم الجاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يا طالب الطريق إلى الله...

قد يقرأ الإنسان كتبا كثيرة، ويسمع مواعظ مؤثرة، ويحفظ من النصائح ما لا يحفظه غيره، ثم يبقى في حياته كما كان، يغضب لأتفه

الأسباب، ويؤذي بكلماته من يحبهم، ويُضيّع أوقاته، ويُسوّف التوبة، ويغفل عن محاسبة نفسه.

فالعلم نعمة عظيمة، ولكن من أعظم ثماره أن يظهر أثره في سلوك صاحبه وأعماله. والموعظة نافعة، ولكن ما أجمل أن يبقى أثرها في القلب، وأن تكون سببا في إصلاح النفس وتغيير الحياة.

من هنا جاء هذا الكتاب.

لم أكتبه ليكون كلاما جميلا تقرؤه ثم تنساه، ولا ليكون مجرد صفحات تضاف إلى مكتبتك، بل أرجو أن تجد فيه ما يعينك على إصلاح قلبك، وتهذيب نفسك، وتحسين أخلاقك، والاستقامة على طاعة ربّك.

ستجد في هذه الصفحات حديثا عن الإخلاص والتوكل والصبر والرضا، وعن السعادة والحزن والقلق والخوف من المستقبل، وعن أمراض القلوب ومجاهدة النفوس، وعن أدب طالب العلم وأخلاق الداعية، وعن علاقة الإنسان بوالديه وزوجه وأولاده وإخوانه والناس من حوله.

وستجد فيه أيضا مواقف من الحياة اليومية، قد ترى في بعضها نفسك، أو تتذكر بها إنسانا تحبه، أو تنتبه إلى خطإ كنت تقع فيه دون أن تشعر.

وليس المقصود أن تقرأ هذه النصائح لتفكر في أخطاء غيرك فقط، بل أن تجعل نفسك أول من تعرضه عليها. فقبل أن تقول: هذه النصيحة يحتاج إليها فلان، سل نفسك: هل أنا بحاجة إليها أيضا؟ يا أخي الحبيب...

إن السلوك في الطريق إلى الله يقوم على العلم الصحيح والعمل الصالح ومجاهدة النفس، وتظهر ثماره في محافظتك على فرائض الله، واجتنابك محارمه، وإخلاصك في طاعته، وتواضعك عند المدح، وصبرك عند البلاء، وحلمك عند الغضب، وأمانتك في معاملاتك، وحسن خلقك مع أهلك وسائر الناس.

وقد حرصت أن تكون موضوعات هذا الكتاب متنوعة، وأن تكون نصائحه قريبة من حياة الناس، ليجد فيه الشاب والكبير، والرجل والمرأة، وطالب العلم والداعية، ما ينفعهم بإذن الله.

وأريد منك أن تقرأ هذا الكتاب بقلب يبحث عن الإصلاح، لا بعين تبحث عن جمال العبارات فقط.

لا تستعجل إنهاءه، ولا تجعل همك عدد الصفحات التي قرأتها. قد تقرأ عشرين صفحة ولا تعمل بشيء منها، وقد تقرأ فقرة واحدة فتكون سببا في تغيير عادة سيئة لازمتك سنوات.

فإذا وجدت نصيحة تحتاجها، فقف عندها، وتأملها، واسأل نفسك: ماذا سأغيّر في حياتي بعد قراءتها؟

وتذكر أن الإصلاح لا يحصل دائما دفعة واحدة، بل قد يبدأ بتوبة صادقة، أو بصلاة تحافظ عليها، أو بمعصية تتركها، أو بكلمة اعتذار تردّ بها قلبا كسرته، أو بحق تؤديه إلى صاحبه.

واعلم أن الطريق إلى الله يحتاج إلى علم صحيح، وعقيدة سليمة، وعمل صالح، وصبر على مجاهدة النفس، ولذلك أفردت في هذا الكتاب بيانا لعقيدة أهل السنة والجماعة.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب خالصا لوجهه، نافعا لمن قرأه وعمل بما فيه من الخير، وأن يصلح قلوبنا وأحوالنا، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وحسن الخاتمة. والحمد لله ربّ العالمين.

الشيخ جيل صادق

السعادة الحقيقية: أين نجدها؟

يبحث كثير من الناس عن السعادة: الغني والفقير، والصحيح والمريض، والشاب والكبير. ولكن كم من إنسان يبحث عنها في المكان الخطإ.

ما أكثر من يقضي سنوات طويلة يبحث عن السعادة. يظنها في المال، فإذا حصل عليه أراد المزيد. ويظنها في الزواج، فإذا تزوج اكتشف أنّ الحياة الزوجية ليست خالية من المسؤوليات والمشكلات. ويظنها في الشهرة، فإذا اشتهر صار يخشى أن يفقد مكانته. وهكذا ينتقل من أمنية إلى أخرى، وقد يبقى قلبه متعبا.

انظروا حولكم. كم من إنسان يملك أموالا كثيرة ولكنه لا يهنأ بنومه. وكم من إنسان يعيش في بيت متواضع ولكنه يضحك من قلبه ويشكر الله على حاله. هذا لا يعني أن الفقر سعادة أو أن الغنى شقاء، ولكنه يدل على أن المال وحده لا يكفي لتحقيق السعادة.

المشكلة أن كثيرا من الناس يقولون: «سأكون سعيدا عندما أتزوج، عندما أشتري بيتا، عندما أنجح في عملي، عندما أسافر، عندما أتقاعد»... فيؤجلون سعادتهم سنوات طويلة، وربما يصلون إلى ما أرادوا، ثم يبحثون عن شيء جديد يؤجلون سعادتهم إليه.

السعادة ليست في أن تملك كل شيء، بل من أعظم أسبابها أن ترضى بما رزقك الله، وتسعى لتحسين حياتك دون أن تجعل راحتك معلقة بمستقبل لا تعرفه. فكم من إنسان عنده بيت وأسرة وصحة وأمن، ثم هو تعيس لأنه يقارن نفسه بمن هو أغنى منه.

اليوم نريد أن نتحدث عن السعادة التي لا تحتاج إلى أن تكون غنيا أو مشهورا أو صاحب منصب حتى تنال نصيبا منها. نريد أن نتعلّم كيف نعيش حياة طيبة، وكيف نفرح بنعم الله، وكيف نخفف عن أنفسنا هموم الحياة، وكيف نجعل الإيمان والطاعة مصدرا للراحة والأنس والسرور.

لا تؤجل سعادتك، لا تقل: «سأكون سعيدا عندما تتحسن ظروفي، أو عندما أحصل على ما أريد». فقد تمضي سنوات وأنت تنتظر ذلك اليوم. تعلّم أن تفرح بما عندك اليوم، وأن تسعى لما تريد غدا. ليس معنى هذا أن تتوقف عن الطموح بل أن لا تحرم نفسك من السعادة حتى تحقق جميع أحلامك.

السعادة ليست في كثرة المال. المال نعمة عظيمة إذا استُعمل في الخير ولكنه لا يضمن راحة الضمير، ولا دوام الصحة، ولا طمأنينة القلب. كم من غني يتمنى نوم الفقير الهادئ، وكم من فقير يتمنى مال الغني. فاسع في طلب الرزق الحلال، ولكن لا تجعل المال مقياسا لسعادتك ولا لمنزلتك عند الله.

توقف عن مقارنة حياتك بالآخرين. من أكبر أسباب التعاسة أن تنظر دائما إلى ما عند غيرك وتنسى ما عندك. ترى بيت فلان وسيارة فلان وسفر فلان، فتشعر أن حياتك ناقصة. لماذا لا تنظر إلى النعم التي أنعم الله بها عليك؟ المقارنة المستمرة في أمور الدنيا تمنعك من الإحساس بلذة ما تملك، وتجعلك تركض وراء حياة قد لا تناسبك أصلا.

تعلّم أن تفرح بالأشياء الصغيرة. ليس ضروريا أن يحدث أمر عظيم حتى تفرح. افرح بجلسة طيبة مع أهلك، وبمكالمة من صديق تحبه، وبوجبة تستمتع بها، وبصباح تستيقظ فيه معافى، وبركعتين تصليهما

بخشوع. من لا يعرف كيف يفرح بالنعم الصغيرة قد لا تُشبعه النعم الكبيرة.

لا تجعل رضا الناس شرطا لسعادتك. إذا كنت تنتظر أن يحبك الجميع، وأن يمدحك الجميع، وأن يوافقك الجميع، فقد حكمت على نفسك بالتعب. وقد تجد من ينتقدك أو يسيء فهمك، مهما حرصت على الإحسان. احرص على رضا الله، وأحسن معاملة الناس، ولكن لا تجعل كلامهم يتحكم في حالتك النفسية وفي سعادتك.

السعادة تبدأ من القلب. قد تغير بيتك، وعملك، وسيارتك، وبلدك، ثم تكتشف أنك حملت همومك معك إلى المكان الجديد.

لأن بعض أسباب التعاسة موجودة في طريقة تفكيرك ونظرتك إلى الحياة. فكما تهتم بتحسين ظروفك الخارجية، اهتم أيضا بإصلاح قلبك وتزكية نفسك.

لا تُحمّل قلبك الأحقاد. كيف تريد أن تعيش سعيدا وأنت تقضي ساعات تفكر فيمن أساء إليك، وتتمنى له الشر، وتنتظر سقوطه؟ قد يكون هو مشغول بحياته وأنت تُعذب نفسك بذكراه. طالب بحقك إن ظُلمت، واحم نفسك من الأذى، ولكن لا تجعل الحقد يستولي على قلبك وينغّص راحتك.

السعادة في العطاء أيضا. جرب أن تُدخل السرور إلى قلب إنسان. ساعد محتاجا أو زر مريضا، أو واس حزينا، أو أدخل الفرح إلى

قلب طفل. ستكتشف أن من أجمل أنواع السعادة أن تكون سببا في سعادة غيرك. فلا تعش لنفسك وحدها، فإن في الإحسان إلى الناس لذة عظيمة.

لا تجعل هاتفك يستنزف حياتك. قد تقضي ساعات تتصفح صور الناس وأخبارهم، ثم تخرج من هاتفك وأنت تشعر أنّ حياتك أقل جمالا من حياتهم. تذكر أنك ترى غالبا اللحظات التي اختاروها لعرضها، لا تفاصيل حياتهم كلها. قلل من التصفح الذي يرهقك، وعش حياتك الحقيقية بدل أن تبقى مُتفرّجا على حياة الآخرين.

أحسن علاقتك بأهلك. قد تبحث عن السعادة في السفر والمطاعم والرحلات، وتنسى أنّ في بيتك زوجة أو زوجا أو أولادا أو والدين

ينتظرون منك كلمة طيبة وابتسامة واهتماما. لا تجعل أقرب الناس إليك آخر من ينال حسن أخلاقك. فإن العلاقات الطيبة من أعظم أسباب السعادة في الدنيا.

تعلّم أن تقول: «الحمد لله». ليس المقصود بالحمد مجرد كلمة ترددها بلسانك، بل أن تستحضر نعم الله عليك. عندما تأكل تذكر من لا يجد الطعام، وعندما تنام في بيتك تذكر من لا مأوى له، وعندما تمشي تذكر من يعجِز عن المشي. وليس المقصود أن تستهين بآلام الآخرين، بل أن تعرف قدر النعم التي أنعم الله بها عليك.

لا تنتظر حياة بلا مشكلات. بعض الناس يظن أنه لن يكون سعيدا إلا إذا اختفت جميع مشكلاته. وهذا أمر لا يكاد يتحقق في الدنيا. فقد تنتهي مشكلة وتبدأ أخرى. تعلّم كيف تعيش وتفرح وتعبد الله وتنجز أعمالك رغم وجود بعض المشكلات، بدل أن تجعل كل مشكلة سببا لتوقف حياتك.

السعادة في الإنجاز والعمل النافع. من أسباب الضيق أن تمر الأيام وأنت لا تفعل شيئا نافعا، ولا تتقدم في أمر من أمور دينك أو دنياك. ضع لنفسك أهدافا صغيرة وابدأ بتحقيقها. اقرأ، وتعلّم، واعمل، وأصلح شيئا في حياتك. فإن شعور الإنسان بأنه يتقدم وينفع نفسه وغيره يمنحه سرورا ومعنى لحياته.

لا تهمل صحتك ونفسيتك. قد يكون سبب ضيقك قلة النوم، أو الإرهاق المستمر، أو العُزلة، أو مشكلة صحية تحتاج إلى علاج. فلا تفسر كل حزن أنه ضعف إيمان. اعتن بصحتك، ونظم نومك، وتحرك بقدر استطاعتك، واستشر المختصين عند الحاجة. فالعناية بالنفس من الأخذ بالأسباب، ولا تتعارض مع التوكل على الله.

تعلّم أن تعيش اللحظة الحاضرة. أنت تجلس مع أهلك، ولكن عقلك مشغول بمشكلات العمل. وتأكل طعامك، ولكنك تفكر في الغد. وتسافر للاستراحة، ثم تقضي الرحلة كلها قلقا من المستقبل. حاول أن تُعطي كل وقت حقه، وأن تستمتع بالمباح من نعم الله دون أن تفسده بكثرة التفكير فيما مضى وما لم يأت.

السعادة في حلاوة الطاعة. هناك سعادة لا يعرف حقيقتها إلا من ذاق شيئا منها: سعادة الصلاة بخشوع، وتلاوة القرآن بتدبّر، والذكر بحضور القلب، والتوبة الصادقة، ومناجاة الله في الخفاء. إنها لذة لا تحتاج إلى مال ولا منصب، وإنما تحتاج إلى قلب يجاهد نفسه على الطاعة حتى يجد حلاوتها.

لا تجعل المعاصي تُفسد قلبك. قد يظن بعض الناس أن السعادة في اتّباع الشهوات دون ضوابط، وفعل كل ما تميل إليه نفوسهم، ثم قد يكتشفون أن اللذة العابرة لم تمنحهم راحة دائمة. فليست كل لذة سعادة، وليس كل ما تشتهيه النفس نافعا لها. تعلّم أن تقول

لنفسك: «لا» عندما تدعوك إلى الحرام، فإنّ مجاهدة النفس من أسباب صلاح القلب.

أحط نفسك بأهل الخير والتفاؤل. الصحبة تؤثر في نظرتك إلى الحياة. فمن جالس أهل الشكوى الدائمة والتشاؤم ربما تأثر بهم، ومن صاحب أهل الإيمان والعمل والهمة، فقد يجد في صحبتهم عونا على الخير. اختر من يذكّرك بالله، ويشجعك عند الضعف، ويفرح لنجاحك، وينصحك إذا أخطأت.

اجعل غايتك أعظم من الدنيا. من جعل الدنيا غايته الكبرى، فقد يظل خائفا من فوات لذاتها وزوال نعمها. أما من جعل غايته رضا الله والفوز بالآخرة، فإنه لا يجعل نعيم الدنيا غايته، ولا ينسى أن

نعيم الآخرة أعظم وأبقى. قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. فاجعل الإيمان والعمل الصالح أساس حياتك الطيبة.

وبعد هذا الحديث، أريدك أن تسأل نفسك: «ما الذي يمنعني من السعادة؟ هل هو فعلا نقص المال؟ أم المقارنة بالآخرين؟ أم التعلق بالماضي؟ أم الخوف من المستقبل؟ أم أنني أهملت الصلاة أو شيئا من الواجبات حتى فقدت شيئا من الطمأنينة؟» كن صادقا مع نفسك، فإنّ معرفة السبب بداية الإصلاح.

لا تنتظر أن تتغير حياتك كلها حتى تبدأ بالسعادة. ابدأ اليوم بتغيير شيء واحد: اشكر الله على نعمة، أو أصلح علاقة، أو اترك عادة

سيئة، أو خصّص وقتا لأهلك، أو صلّ ركعتين بخشوع. فالسعادة لا تأتي دائما دَفعة واحدة، بل قد تنمو في قلبك مع كل خطوة صادقة نحو حياة أفضل.

يا مَن تبحث عن السعادة في كل مكان، لا تنس قلبك. اعتن به كما تعتني بجسدك، ونظفه من الحسد والحقد والكبر، وعمّره بالإيمان والمحبة والذكر. فإن القلب إذا صلُح، صار أقدر على الانتفاع بنعم الله، وعلى مواجهة صعوبات الحياة دون أن يفقد الأمل.

وأخيرا، تذكّر أن السعادة ليست أن تضحك طوال الوقت، ولا أن تعيش بلا حزن أو مرض أو مشكلات. وإنما من أعظم السعادة أن

تعيش مؤمنا بالله، شاكرا لنعمائه، صابرا على بلائه، عاملا بطاعته، محسنا إلى خلقه، راجيا رحمته. فلا تُضيّع عمرك كله وأنت تبحث عن السعادة بعيدا عن الله، فإنّ أعظم ما يُطمئن القلب هو الإيمان بالله وحُسن عبادته.

يا طالب الطريق إلى الله، لا تجعل غايتك مجرد أن تكون سعيدا في الدنيا، بل اجعل غايتك أن تكون من أهل رضا الله، واسع إلى الحياة الطيبة بالإيمان والطاعة، وارج أن تفوز بالسعادة التي لا تزول في الآخرة.

أسأل الله أن يرزقك قلبا مطمئنا، ونفسا راضية، وبيتا تسوده المحبة، وصحبة صالحة، ورزقا حلالا مباركا، وأن يُذهب عنك الهم والحزن،

وأن يُذيقك حلاوة الإيمان والطاعة، وأن يجعلك سببا في سعادة من حولك، وأن يرزقك فوق ذلك كله سعادة الآخرة ونعيم الجنة.

لا تحزن: الصبر على مصاعب الحياة وتجاوز الهموم

لا تحزن... لعلّه خير.

يا مَن أثقل الحزن قلبك، ويا مَن أتعبتك هموم الحياة، ويا مَن تبكي أحيانا ولا يعلم بدموعك أحد، ويا مَن تبتسم أمام الناس وفي داخلك أوجاع لا يعرفونها... تعال نتحدث اليوم عن أمر نحتاج إليه جميعا: كيف نواجه أحزان الحياة بقوة الإيمان بالله والتوكل عليه؟

هل تعرف في هذه الدنيا إنسانا لم يذق الحزن؟ فهذا فقد عزيزا، وذاك ابتُلي بمرض، وآخر ضاقت به المعيشة، وآخر خذله من كان يثق به، وآخر ينتظر فرجا طال انتظاره. تختلف المصائب، ولكن الجميع يحتاج إلى ما يثبّت قلبه ويعينه على الصبر.

اليوم لا أريد أن أقول لك فقط: «اصبر ولا تحزن»، فالكلام سهل، ولكن تطبيقه عند المصيبة يحتاج إلى إيمان ومجاهدة للنفس. أريد أن نتعلّم معا كيف يواجه المؤمن المصائب، وكيف يطمئن قلبه إلى قضاء الله، وكيف يعيش متوكلا على الله دون أن يستسلم لليأس.

تذكّر هذه الحقيقة قبل أن نبدأ: ليس كل ما تتمناه خيرا لك، وليس كل ما تكرهه شرا لك. فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

كم من مرة حزنت لأنك لم تحصل على شيء تريده، ثم مرت الأيام فاكتشفت أن عدم حصولك عليه كان خيرا لك. وكم من باب

أُغلق في وجهك، ثم فتح الله لك بابا آخر لم تكن تتوقعه. فلا تجعل حزنك على ما فاتك يُنسيك أن تستحضر أن الله يعلم ما لا تعلم.

أنت تريد أن تجري الحياة كما خططت لها، فإذا حدث خلاف ما تريد اضطرب قلبك وحزنت. ولكن لماذا لا تستحضر أنك عبد لله، وأن الأمور كلها تجري بمشيئته؟ خطط، واجتهد، وخذ بالأسباب، ولكن لا تجعل سعادتك مرهونة بتحقق كل ما تريد.

لا تعذب نفسك بكلمة «لو» عن أمور دنيوية: «لو لم أسافر، لو لم أتزوج، لو لم أقبل هذا العمل، لو لم أثق بفلان، لو فعلت كذا»... تعلّم من أخطائك، وأصلح ما تستطيع إصلاحه، ثم اترك التحسّر

على الماضي. فما وقع قد وقع، ولن تعيد كثرة التفكير فيه الزمن إلى الوراء.

من الناس من يعيش أسيرا لمصيبة وقعت قبل عشر سنوات. كلما تذكرها تجدد حزنه، وكأنها وقعت اليوم. يا أخي لقد مضى ما مضى، وبقي أمامك عمر تستطيع أن تعمّره بالطاعة والعمل والخير.

أتدري ما الذي يريح قلب المؤمن؟ أن يعلم أن رزقه لن يأخذه غيره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه. فإذا استقر هذا الإيمان في قلبه، خفّ عنه كثير من القلق والحسد والتحسر على ما فات من أمور دنياه.

لا تحزن لأن فلانا حصل على ما كنت تتمناه، ولا تقل: «لماذا هو وليس أنا؟» فالله قسّم الأرزاق بحكمته. قد يكون له ما ليس لك، ويكون لك ما ليس له. فانظر إلى نعم الله عليك، ولا تجعل المقارنة بالآخرين في أمور دنيوية سببا في تعاستك.

يا أخي، من نحن حتى لا نُبتلى؟ لقد ابتُلي الأنبياء والصالحون، وكانت لهم عند الله منزلة عظيمة. فليس البلاء دليلا على هوان العبد عند الله.

لا تظن أن الصبر يعني أنك لا تبكي ولا تتألم. فقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم، وقال: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا». فابك إن غلبتك

دموعك، ولكن احفظ لسانك من الحرام وإيّاك والاعتراض على الله.

كم من إنسان أفسد على نفسه أياما جميلة لأنه كان يخاف مصيبة لم تقع. يخاف المرض وهو معافى، ويخاف الفقر وعنده ما يكفيه، ويخاف المستقبل حتى نسي أن يعيش حاضره. خذ احتياطاتك، ثم لا تجعل الخوف من الغد يحرمك نعمة اليوم.

ربما تدعو الله بأمر تتمناه، وتلح في الدعاء، ثم لا يتحقق ما طلبته. فإياك أن تظن أن دعاءك ضاع. فإن الله حكيم، وقد تكون المصلحة في غير ما سألت، وقد يدّخر لك من الأجر ما هو أعظم. فاستمر في الدعاء، ولا تستعجل الإجابة.

هل تعلم أن بعض الناس تزيد مصيبتهم لأنهم يرفضون تقبّل الواقع؟ يظلّ أحدهم يقول: «أكاد لا أصدق أن هذا حدث. لا أقبل أن أخسر. لا أريد أن تتغير حياتي». ولكن الواقع لا يتغير بمجرد رفضك له. تقبّل ما وقع، ثم انظر ماذا تستطيع أن تفعل بعد ذلك.

ليس المطلوب منك أن تكون سعيدا في كل لحظة، ولا أن تُخفي حزنك عن الجميع. ولكن المطلوب أن لا تسمح للحزن أن يقطعك عن طاعة الله، أو يدفعك إلى الحرام، أو يمنعك من القيام بواجباتك. وإذا اشتد عليك الحزن، فاطلب العون ولا تبق وحدك.

إذا تأخر زواجك، فلا تظن أنّ حياتك انتهت. وإذا خسرت عملك، فلا تظن أنّ أبواب الرزق أغلقت. وإذا خذلك صديق،

فلا تظن أنّ الناس جميعا خائنون. مصيبة واحدة لا تعني أنّ الحياة كلها مصائب، فلا تعمّم ألمك على مستقبلك كله.

لا تحوّل كل مشكلة إلى مأساة، ولا تعش كأنك بطل فيلم حزين. وإياك والإكثار من الشكوى دون حاجة، فإن ذلك قد يُنفّر منك أقرب الناس إليك، فكيف بمن هم أبعد؟

لا تحسد إنسانا على حياة تراها جميلة من الخارج. فقد ترى ماله ولا ترى ديونه، وترى ابتسامته ولا ترى دموعه، وترى نجاحه ولا ترى ما يعانيه في بيته. لا أحد يعيش حياة كاملة، فلا تجعل ما تراه عند غيرك سببا في احتقار نعم الله عليك.

تذكّر دائما: قد لا تحصل على كل ما تحب، وقد لا تسير حياتك كما تريد، ولكن تستطيع أن تعيش بقلب مؤمن، ونفس صابرة، وعزيمة لا تنكسر أمام كل مصيبة. فاجعل شعارك في الشدة والرخاء: «الحمد لله على كل حال، قدّر الله وما شاء فعل».

يا مَن تقرأ كلماتي وأنت حزين، أسأل الله أن يشرح صدرك، ويُذهب همك، ويُيسّر أمرك، ويشفي مريضك، ويرحم ميتك، ويقضي حاجتك، ويُفرّج كربك، ويجعل لك من كل ضيق مخرجا، ويرزقك من الطمأنينة ما يقويك على مواجهة الحياة.

الخوف من المستقبل والقلق من الغد

يا مَن تخاف من المستقبل، ويا مَن تستيقظ وفي قلبك هموم الغد، ويا مَن تفكّر كثيرا فيما قد يحدث لك ولأهلك وأولادك... تعال أحدثك اليوم عن حالة تنغّص راحة الإنسان وتحرمه لذة الحياة، وربما تجعله يعيش مصائب كثيرة في خياله قبل أن تقع واحدة منها. إنه الخوف المفرط من المستقبل والقلق المستمر مما لم يحدث بعد.

انظر إلى الناس من حولك. هذا يخاف أن يُصاب بمرض خطير، وذاك يخاف أن يفقِد عمله، وآخر يخشى الفقر، وامرأة تخاف ألا تتزوج، وأخرى تخشى أن تفقِد زوجها، وأب يقلق على مستقبل

أولاده، وشاب يخشى الفشل، ومريض يخاف الموت. تختلف المخاوف، ولكنها تلتقي في أمر واحد: الخوف مما قد يأتي به الغد.

كم من إنسان يعيش اليوم في صحة وعافية، ولكنه لا يشعر بنعمة العافية لأنه يخاف المرض. وكم من إنسان عنده رزق يكفيه، ولكنه لا يهنأ بطعامه لأنه يخشى الفقر. وكم من إنسان بين أهله وأحبابه، ولكنه لا يستمتع بقربهم لأنه يفكر دائما في اليوم الذي قد يفقدهم فيه. وهكذا يصبح الخوف من مصيبةٍ مصيبةً أخرى.

ولكن انتبهوا إلى أمر مهم: ليس كل قلق دليلا على ضعف الإيمان، فالخوف شعور بشري، وقد يشتد بسبب المرض أو الإرهاق أو الضغوط النفسية. وإنما حديثنا عن أنّ ضعف التوكل والاستسلام

للأوهام قد يزيدان القلق ويضاعفان أثره، وأنّ قوة الإيمان واليقين بالله من أعظم ما يُعين الإنسان على مواجهة مخاوفه والثبات عند الشدائد.

واليوم أريد أن تعلم سرا عظيما من أسرار السلوك إلى الله: كيف نُربي قلوبنا على التوكل؟ وكيف نواجه المرض والفقر والموت والمصائب دون أن نستسلم للذعر واليأس؟ وكيف ننتقل من كثرة الخوف مما سيحدث إلى قوة الإيمان بالله الذي لا يحدث شيء إلا بمشيئته؟

لماذا تعيش مصيبة لم تقع؟ تجلس وحدك فتبدأ بالتفكير: ماذا لو أُصبت بالسرطان؟ ماذا لو فقدت عملي؟ ماذا لو مات زوجي؟

ماذا لو أُصيب أولادي بمكروه؟ ثم تتخيل المصيبة بتفاصيلها حتى تتسارع دقّات قلبك وتضيق نفسك وكأنها وقعت فعلا. يا أخي، لماذا تعذّب نفسك بأحداث لا تعلم هل ستقع أصلا؟ خذ بالأسباب المشروعة، ثم لا تجعل الاحتمالات تتحكم في حياتك.

كم من إنسان يتمتع بالصحة والعافية، ولكنه يقضي أيامه يراقب جسده، ويفسر كل ألم بسيط على أنه عرض لمرض خطير، ويبحث ساعات طويلة عن أعراض الأمراض حتى يزداد خوفا. اعتن بصحتك، وراجع الطبيب عند الحاجة، ولكن لا تجعل الخوف من المرض يمنعك من الاستمتاع بالعافية التي أنعم الله بها عليك.

الخوف من الفقر. من أين سيأتي الرزق؟ تخاف أن تخسر عملك، وأن ترتفع الأسعار، وأن تعجِز عن دفع إيجار بيتك، فتعيش في قلق مستمر. نعم، ينبغي أن تعمل وتدّخر وتخطط لمستقبلك، ولكن لا تنس أنّ الله هو الرزّاق. فاسع في طلب الرزق الحلال، ولا تجعل خوفك من الفقر يُفسد عليك حياتك.

الخوف على الأولاد. إلى متى سترافقهم؟ بعض الآباء والأمهات لا يذوقون الراحة من شدة الخوف على أولادهم. يخافون عليهم من المرض والحوادث والفشل وأصدقاء السوء، حتى يصبح خوفهم سببا في تقييد حياتهم وحياة أولادهم. رَبِّ أولادك، وعلّمهم،

واحمهم بقدر استطاعتك، ثم توكل على الله. فأنت مأمور بالرعاية، ولست قادرا على التحكم في كل ما سيحدث لهم.

القلق من الزواج. هل سأتزوج؟ وهل سأنجح؟ كم من شاب يخاف ألا يجد زوجة صالحة، وكم من فتاة تخشى أن يفوتها الزواج، وكم من متزوج يعيش خائفا من الطلاق أو الخيانة أو فشل العلاقة. يا أخي، لا تجعل خوفك من المستقبل يمنعك من اتخاذ القرارات الصحيحة. ابحث، واستشر واستخر الله، وأحسن الاختيار، ثم امض في حياتك متوكلا على الله، ولا تعذّب نفسك باحتمالات قد لا تقع أبدا.

الخوف من الموت. الموت حق، وكل نفس ذائقة الموت. ولكن بعض الناس يجعل التفكير في الموت سببا للرعب الدائم، فيخاف أن ينام،

أو يسافر، أو يخرج من بيته. يا أخي، تذكّر الموت لتستعد له بالتوبة والطاعة وردّ المظالم، لا لتقضي حياتك مشلولا بالخوف. فإن المؤمن يستعد للآخرة، ولا يترك العمل في الدنيا بسبب الخوف من الموت.

ليس كل ما تخشاه سيحدث، وليس كل ما يحدث سيكون بالقدر الذي تتصوره من السوء. فلا تعامل احتمالا في خيالك كأنه حقيقة مؤكدة، ولا تحكم على مستقبلك بالفشل قبل أن تبذل جهدك.

ضَعف التوكل. من أسباب اضطراب القلب أن يعتمد الإنسان على الأسباب وحدها، فيظن أن ماله يحميه من الفقر، وأن صحته تحميه من المرض، وأن قوته تحميه من المصائب. فإذا اهتز سبب من هذه الأسباب اضطرب قلبه. أما سالك الطريق إلى الله فيأخذ بالأسباب،

ولكنه يعلم أنها لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة الله، فلا يجعل قلبه معتمدا عليها اعتمادا يُنسيه خالقها.

قوة الإيمان لا تعني أنك لن تخاف. قد يخاف المؤمن، ويحزن، ويبكي، ويشعر بالضعف عند نزول المصيبة. ولكن قوة الإيمان تعينه على ألا يستسلم لليأس، وألا يعترض على الله، وألا يترك الطاعة. فلا تظن أن من شعر بالخوف قد ضعف إيمانه بالضرورة، وإنما جاهد نفسك لتجعل خوفك دافعا إلى الدعاء والعمل، لا سببا لتركهما.

هناك من اعتاد حياة مستقرة، فإذا فقد عمله أو مرض أو أصابته خسارة، شعر أنّ الدنيا انتهت ولم يعد يعرف كيف يتصرف. ولهذا يحتاج سالك الطريق إلى تربية نفسه قبل نزول البلاء، فيتعلّم الصبر

على المشاق الصغيرة، وضبط انفعالاته، وتحمل المسؤولية، حتى يكون أقدر على الثبات عند الشدائد الكبيرة.

لا تجعل الخوف يمنعك من الحياة. تخاف الفشل فلا تبدأ مشروعا، وتخاف الرفض فلا تتقدم للزواج، وتخاف كلام الناس فلا تفعل الخير، وتخاف الخسارة فلا تجرب شيئا جديدا. وهكذا تمر السنوات وأنت واقف في مكانك. فكّر جيدا، واستشر أهل الخبرة، وقدّر المخاطر، ثم تحرك. فإنّ الشجاعة ليست غياب الخوف، بل هي أن تفعل ما ينبغي رغم وجود الخوف.

كثرة التفكير هل غيرت شيئا؟ تضع رأسك على الوسادة، ثم تبدأ الأفكار: «ماذا سأفعل غدا؟ ماذا سيحدث بعد سنة؟ ماذا لو

فشلت؟ ماذا لو مرضت؟» وتمضي الساعات وأنت تفكر، ثم تستيقظ مرهقا دون أن تكون قد حللت مشكلة واحدة. تعلّم أن تفرّق بين التفكير الذي يقود إلى حل، والتفكير الذي يدور في حلقة مغلقة. الأول نافع، والثاني قد يستنزف طاقتك بلا فائدة.

الإيمان بالقدر راحة عظيمة للقلب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ». تأمّل هذا المعنى العظيم. فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فلماذا تجعل قلبك أسيرا للخوف من الناس والمستقبل؟

سالك الطريق لا يهرب من الابتلاء. من ظن أن السلوك إلى الله سيجعله يعيش بلا هموم ولا مصائب فقد أخطأ فهم الطريق. فالسلوك ليس ضمانا للراحة الدنيوية الدائمة، وإنما هو تربية للقلب على الطاعة والتوكل والصبر والرضا. قد يُبتلى السالك بالمرض والفقر والفقد، ولكنه يجاهد نفسه ليبقى ثابتا على ما يرضي الله في جميع أحواله.

قوة اليقين ثمرة المجاهدة اليومية. لا تنتظر حتى تقع المصيبة لتبدأ بتعلّم الصبر والتوكل. درّب نفسك كل يوم: إذا تأخر أمر تريده فلا تجزع، وإذا خسرت شيئا فلا تسخط، وإذا خالفك أحد فلا تفقد السيطرة على نفسك، وإذا خفت فالجأ إلى الله وخذ

بالأسباب. فالقلب يتربّى بالمجاهدة المتكررة، والثبات عند الشدائد يحتاج إلى إعداد سابق.

الذكر والدعاء سلاح القلب الخائف. إذا هاجمتك المخاوف، فلا تستسلم لها، بل توضأ وصلّ إن تيسر واذكر الله، وادعه أن يشرح صدرك ويُذهب همك. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. الذكر والدعاء من أعظم أسباب تقوية التوكل على الله.

لا تستسلم للعجز عند نزول البلاء. إذا نزلت بك مصيبة، فلا تجعل الصدمة تمنعك من فعل ما تستطيع. مرضت؟ اطلب العلاج. خسرت عملك؟ ابدأ البحث عن رزق جديد. وقعت في مشكلة؟ استشر أهل الخبرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احْرِصْ

عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ». فتأمل كيف جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين العمل والاستعانة بالله وعدم الاستسلام للعجز.

سالك الطريق إلى الله يجاهد نفسه حتى لا يبقى قلبه متقلبا مع كل خبر يسمعه، أو مشكلة تقع، أو احتمال يخطر بباله. لا يصبح إنسانا بلا مشاعر، ولكنه يتعلّم ألا يستسلم لكل خوف، وألا يُصدّق كل فكرة مقلقة، وألا ينسى ربّه عند الشدة. وهذه التربية تحتاج إلى علم وعمل وصبر واستمرار.

يا مَن أرهقه التفكير في المستقبل، أريدك أن تسأل نفسك الليلة: «كم ساعة أضعتُها في الخوف من أشياء لم تقع؟ وكم نعمة لم أستمتع

بها لأنني كنت منشغلا بما قد يحدث غدا؟ وكم فرصة ضاعت مني لأنني خفت من الفشل؟» لقد حان الوقت أن تتوقف عن السماح للمخاوف بأن تقود حياتك.

ابدأ من اليوم بتربية قلبك على التوكل. إذا خفت المرض فاعتن بصحتك وتوكل على الله، وإذا خفت الفقر فاعمل واطلب الرزق وتوكل على الله، وإذا خفت على أولادك فأحسن تربيتهم وتوكل على الله، وإذا خفت الموت فاستعد له بالطاعة وتوكل على الله. لا تجعل التوكل كلمة تقولها بلسانك، بل اجعله عملا يظهر أثره في حياتك.

يا طالب الطريق إلى الله، لا تجعل همك أن تعرف ماذا سيحدث لك بعد سنة أو عشر سنوات، فإن هذا من الغيب الذي لا تعلمه. اجعل همك أن تعرف ماذا ينبغي أن تفعل اليوم حتى يرضى الله عنك. أصلح صلاتك، وطهّر قلبك، وأدّ واجباتك، وأحسن إلى الناس، واستعد للآخرة. فهذا هو الطريق الذي ينبغي أن تشغل به نفسك.

وأخيرا، يا مَن تخاف من الغد، تذكر أنك لا تعلم ما ينتظرك، ولكنك تعلم أنّ الله أرحم الراحمين، وأنه على كل شيء قدير. فلا تجعل جهلك بالمستقبل سببا لليأس ولا تجعل الخوف يقطعك عن الطاعة

والعمل. عش يومك مؤمنا بالله، عاملا بما يُرضيه، مستعينا به، مستعدا لما يأتي، وامض في طريقك بقلب يرجو رحمته ويثق بوعده.

يا سالك الطريق إلى الله، ليست القوة أن تضمن لنفسك مستقبلا بلا مصائب، وإنما أن تُربي قلبك على الإيمان والتوكل والصبر، حتى لا تنقطع عن طريق الله كلما اشتدت عليك الحياة. فخذ بالأسباب، وفوّض أمرك إلى الله، ولا تعجِز ولا تيأس، وواصل السير.

أسأل الله أن يُذهب عنك الخوف والقلق، وأن يشرح صدرك، ويُقوي إيمانك، ويُثبّت قلبك عند الشدائد، وأن يرزقك صحة وعافية ورزقا حلالا مباركا، وأن يحفظ أهلك وأولادك، وأن يُجنبك

المصائب والفتن، وأن يعينك على الصبر إذا ابتُليت، وأن يجعلك من المتوكلين عليه حق التوكل.

الوحدة رغم كثرة الناس. لماذا يشعر الإنسان أنه وحيد ولو كان محاطا بالأهل والأصدقاء؟

يا سالك الطريق إلى الله، من أغرب ما يعيشه الإنسان في هذا الزمان أن يكون محاطا بعشرات من الناس، ومع ذلك يشعر بوحدة شديدة. قد يكون متزوجا وله أولاد وأقارب وأصدقاء، ويُقابل الناس كل يوم، ويضحك معهم ويتحدّث إليهم، ولكنه إذا عاد إلى نفسه شعر أن قلبه خاليا من الأنس، وأنّ أحدا لا يفهم ما يمر به. فليست الوحدة دائما أن تعيش بلا ناس، بل قد تكون أن تعيش بين الناس ولا تجد من يشعر بما في قلبك.

كم من امرأة تعيش مع زوجها تحت سقف واحد، ولكنه لا يجلس معها إلا قليلا، ولا يسألها عما يؤلمها، ولا يستمع إلى حديثها إلا وهو ينظر إلى هاتفه. وكم من رجل يعود إلى بيته متعبا، وفي صدره هموم كثيرة، فلا يجد من يُصغي إليه أو يطمئنه. كلاهما متزوج، وكلاهما يعيش مع إنسان آخر، ومع ذلك قد يشعر كل واحد منهما أنه وحيد. فليس الزواج مجرد اجتماع جسدين في بيت واحد، بل هو مودّة ورحمة ومشاركة واهتمام.

قد يكون للإنسان مئات الأصدقاء على مواقع التواصل، وآلاف المتابعين، ويتلقى الرسائل والتعليقات طوال اليوم، ولكنه إذا أصابه مرض أو نزلت به مصيبة، لم يجد من يجلس إلى جانبه أو يسأل عنه

بصدق. وهنا يكتشف أنّ كثرة المعارف ليست بالضرورة كثرة الأصدقاء، وأنّ الأرقام التي تظهر على الشاشة لا تُعوّض دفء العلاقات الإنسانية الصادقة. فليس المهم كم شخصا يعرف اسمك، بل كم شخصا يهتم لأمرك عندما تحتاج إليه.

يا طالب إصلاح القلب، لا تظن أن كل إنسان يضحك أمام الناس سعيد في داخله. فقد يكون أكثر الحاضرين فرحا أشدهم شعورا بالوحدة، وقد يكون الذي يُواسي الآخرين محتاجا إلى من يُواسيه، وقد يكون الذي يسأل عن أحوال الجميع يتمنى أن يسأله أحد كيف حالك أنت؟ فلا تحكم على قلوب الناس من مظاهرهم، ولا تظن أن من لا يشتكي لا يتألم.

إن الشعور بالوحدة ليس دائما دليلا على ضعف الإيمان، ولا يعني بالضرورة أن الإنسان مقصر في عبادته. فقد يحتاج المؤمن إلى الصحبة الطيبة والأنس بأهله والتواصل مع من يحبه، وهذه حاجات إنسانية طبيعية. ولكن الإيمان يُعين الإنسان على التعامل مع وحدته، ويمنحه بابا عظيما من الأنس بطاعة الله، كما يحثّه على السعي إلى إقامة العلاقات الصالحة وأداء الحقوق الاجتماعية.

يا أيها الزوج، قد تكون زوجتك لا تريد منك مالا إضافيا ولا هدية ثمينة، وإنما تريد أن تجلس معها نصف ساعة، وأن تستمع إليها دون مقاطعة، وأن تشعرها بأن حديثها يهمك. لا تجعل عملك وأصدقاءك وهاتفك يأخذون أفضل أوقاتك، ثم تعطي زوجتك ما

بقي من انتباهك. فقد تعيش المرأة في بيت واسع، وتملك ما تحتاج إليه من المال، ومع ذلك تشعر بالوحدة لأن زوجها غائب عنها بقلبه وإن كان حاضرا بجسده.

ويا أيتها الزوجة، قد يكون زوجك قليل الكلام عن همومه، ولكنه يحتاج إلى من يشعر بتعبه ويستمع إليه. بعض الرجال يخفون قلقهم لأنهم يظنون أن عليهم أن يظهروا أقوياء دائما، ثم تتراكم في صدورهم الضغوط. لا تنتظري أن يطلب زوجك الاهتمام في كل مرة، بل بادري بالسؤال عنه، وأشعريه أن بيته مكان يجد فيه السكينة والاحترام، لا مجرد مكان يؤدي فيه المسؤوليات المالية.

من أشد صور الوحدة ألما وحدة كبار السن. قد يكون للرجل خمسة أولاد، ولكل واحد منهم عمل وأسرة ومشاغل، ثم تمضي الأيام ولا يزوره أحد إلا نادرا. وقد تجلس الأم قرب هاتفها تنتظر اتصالا من أبنائها، فإذا اتصل أحدهم أنهى الحديث بعد دقائق بحجة الانشغال. يا أيها الأبناء، لا تجعلوا والديكم يشعرون أنهم أصبحوا عبئا بعدما أفنوا سنوات من أعمارهم في رعايتكم. بر الوالدين واجب، ومن البر الإحسان إليهما ومراعاة حاجتهما إلى الأنس والرعاية.

يا أيها الآباء والأمهات، قد يعيش ولدكم معكم في البيت، ومع ذلك يشعر أنه غريب بينكم. لا يجد من يستمع إلى مشكلاته،

وكلما حاول الكلام قوبل بالسخرية أو التوبيخ أو المقارنة بإخوته. فيلجأ إلى غرفته، ويغلق الباب، ويبحث عمن يسمعه خارج الأسرة. لا تكتفوا بتوفير الطعام والثياب والدراسة، بل افتحوا قلوبكم لأولادكم، واجعلوا البيت مكانا يستطيعون فيه الكلام دون خوف من الإهانة.

قد يشعر الإنسان بالوحدة لأنه اعتاد أن يكون هو المبادر دائما. هو الذي يتصل، وهو الذي يسأل، وهو الذي يزور، وهو الذي يصلح الخلافات، فإذا توقف عن المبادرة لم يسأل عنه أحد. وهذا مؤلم، ولكن لا تتعجل في الحكم على جميع الناس بأنهم لا يحبونك. فقد يكون بعضهم غافلا أو مشغولا أو ضعيف المبادرة. صارح من

تحب بحاجتك إلى التواصل، ووازن بين المحافظة على العلاقات وبين عدم استنزاف نفسك.

من أسباب الوحدة أن بعض الناس لا يعرفون كيف يفتحون قلوبهم للآخرين. يخاف أحدهم أن يتحدث عن حزنه فيظن الناس أنه ضعيف، أو أن يطلب المساعدة فيقال إنه عاجز، فيكتم كل شيء حتى تتراكم همومه. يا أخي، ليس عيبا أن تحتاج إلى من يسمعك، ولا نقصا في رجولتك أن تطلب المشورة أو المواساة. اختر إنسانا أمينا عاقلا، وتحدث معه فيما يجوز كشفه من أحوالك، فقد تجد في الحديث الصادق راحة وفهما لم تكن تتوقعهما.

بعض الناس يشعرون بالوحدة لأنهم يبحثون عن إنسان يفهمهم في كل شيء، ويوافقهم على كل رأي، ويكون متاحا لهم في كل وقت. فإذا اختلف معهم صديق أو اعتذر عن زيارة، ظنوا أنه لا يحبهم. يا أخي، العلاقات الإنسانية لا تقوم على الكمال، ولا يوجد صديق يستطيع تلبية جميع حاجاتك. تعلّم أن تقبل الاختلاف المشروع، وأن تراعي ظروف الآخرين، وألا تجعل محبتهم لك مرهونة بموافقتهم على كل ما تريد.

يا مَن ابتعدت عن أهلك وأصحابك بسبب السفر أو الهجرة، قد تكون الوحدة من أشد ما تعانيه. تعيش في بلد جديد، وتعمل بين أناس لا تعرفهم جيدا، وتعود إلى بيتك فلا تجد الوجوه التي اعتدت

رؤيتها. لا تستسلم للعزلة، بل ابحث عن صحبة صالحة، واحضر مجالس علم الدين، وتعرف إلى أهل الخير، وحافظ على التواصل مع أقاربك. فإن بناء العلاقات في الغُربة يحتاج إلى مبادرة وصبر، ولا يحدث دائما من تلقاء نفسه.

من الناس من يعزل نفسه بسبب تجربة مؤلمة. قد يكون صديق قد خانه، أو قريب أفشى سره، أو إنسان أحسن إليه فقابله بالجحود، فيقرر بعد ذلك ألا يثق بأحد. يا أخي، الحذر من أهل الخيانة مطلوب، ولكن لا تجعل خطأ شخص واحد حكما على جميع البشر. فكما يوجد من يخون، يوجد من يحفظ الأمانة، وكما يوجد

من يؤذي، يوجد من يواسي وينصح ويُعين على الخير. لا تُغلق باب العلاقات الصالحة بسبب تجربة سيئة.

قد يكون في العائلة شخص لا يتذكره أحد إلا عندما يحتاجون إلى مساعدته. إذا أرادوا مالا اتصلوا به، وإذا احتاجوا خدمة بحثوا عنه، أما إذا مرض أو حزن أو احتاج إلى من يسأل عنه، فلا يكاد يجد أحدا. يا مَن اعتدت الانتفاع بإحسان الآخرين، تذكر أنهم بشر لهم مشاعر وحاجات، وليسوا مجرد وسيلة لقضاء مصالحك. اسأل عنهم دون طلب، وزرهم دون حاجة، وأشعرهم أنك تحبهم لأشخاصهم لا لما يُقدمونه لك.

يا سالك الطريق، احذر أن تجعل وحدتك تدفعك إلى صحبة سيئة. فقد يتعلق الإنسان بمن يُفسد دينه وأخلاقه لمجرد أنه يمنحه اهتماما، وقد يدخل في علاقة محرمة لأنه يخشى البقاء وحيدا. وليس كل من يسمعك يحب لك الخير، ولا كل من يقترب منك يصلح أن يكون صاحبك. فاختر من يعينك على طاعة الله، ويحفظ سرك، ويحترم حدود الشرع، ولا تجعل حاجتك إلى الأنس سببا في التفريط بدينك وكرامتك.

من أسباب الشعور بالوحدة أن بعض البيوت فقدت عادة الاجتماع. كل فرد يأكل وحده، ويجلس مع هاتفه، ويشاهد ما يريد، ثم ينام دون حديث مع أهله. يعيشون في بيت واحد، ولكن

لكل منهم حياة منفصلة عن الآخرين. جربوا أن تجعلوا لكم وقتا تجتمعون فيه دون هواتف، تتحدثون عن يومكم، وتسألون عن أحوال بعضكم، وتتناقشون فيما ينفع. فقد لا يحتاج إصلاح العلاقة العائلية إلى مال كثير، بل إلى حضور حقيقي واهتمام متبادل.

يا مَن تشعر أنك وحيد، لا تنتظر دائما أن يأتي الناس إليك. بادر أنت إلى زيارة مريض، أو سؤال جار، أو مواساة حزين، أو مساعدة محتاج، أو مشاركة أهل الخير في عمل نافع. فإن خدمة الآخرين قد تفتح لك أبوابا من العلاقات الصادقة، وتخرجك من الانشغال المستمر بألمك. ولكن لا تجعل العطاء وسيلة لإجبار الناس على

محبتك، بل أحسن بنية صالحة، وابن علاقاتك على الإحسان المتبادل.

قد يكون سبب الوحدة أن الإنسان اعتاد مقارنة حياته بحياة الآخرين على مواقع التواصل. يرى صور العائلات المجتمعة، والأصدقاء المسافرين، والاحتفالات والمناسبات، فيظن أن الجميع يعيشون في سعادة وأنه وحده المحروم. وينسى أن الناس ينشرون لحظات مُختارة من حياتهم، ولا تظهر في الصور كل مشكلاتهم وأحزانهم. فلا تقارن باطن حياتك بما يعرضه الآخرون من ظاهر حياتهم، ولا تجعل الصور مِعيارا لقيمة علاقاتك.

يا أخي، تعلّم أن تستفيد من أوقات خلوتك دون أن تجعل العُزلة أسلوب حياتك الدائم. اقرأ كتابا نافعا، وتعلّم مسألة من علم الدين، واذكر الله، وتأمل في أحوال نفسك، وأنجز عملا مفيدا. فإن الخلوة قد تكون فرصة للمحاسبة وإصلاح القلب، ولكنها تختلف عن الانقطاع المؤذي عن الناس. فالمطلوب أن تُحسن استعمال وقتك وحدك، وأن تحافظ في الوقت نفسه على حقوق أهلك وأرحامك وصِلاتك الاجتماعية النافعة.

من الناس من يشعر بالوحدة بعد فقد زوج أو والد أو صديق عزيز. كان ذلك الإنسان جزءا من تفاصيل حياته، فإذا مات أو غاب شعر أن شيئا كبيرا قد انطفأ. لا تقل للمحزون: انس الأمر بسرعة،

ولا تطالبه بأن يعود إلى حاله السابقة في أيام قليلة. فإن الحزن على الفقد أمر إنساني، والصبر لا يعني انعدام الألم. واس من فقد عزيزا، وابق قريبا منه بعد انتهاء أيام العزاء، فقد تشتد حاجته إلى الصحبة عندما ينصرف الناس إلى حياتهم.

يا مَن تعرف إنسانا يعيش وحده، لا تنتظر حتى يطلب منك الزيارة. قد يكون كبيرا في السن، أو مريضا، أو مغتربا، أو فقد أحد أحبته، ويمنعه الحياء من إظهار حاجته إلى الأنس. اتصل به، واسأل عن أحواله، واعرض عليه زيارة مناسبة، ولا تجعل اهتمامك به مقتصرا على المناسبات. فقد تكون نصف ساعة من وقتك سببا في تخفيف وحشة يعيشها منذ أيام.

بعض الناس يهربون من الوحدة بالانشغال المستمر. يعمل أحدهم طوال النهار، ثم يملأ ليله بالمواعيد والمقاطع والأحاديث، لأنه إذا جلس وحده شعر بحزن لا يريد مواجهته. ولكن الهروب الدائم لا يُعالج ما في القلب. حاول أن تعرف سبب ألمك: هل هو فقد عزيز؟ أم علاقة متعبة؟ أم حاجة إلى صحبة؟ أم حزن مستمر يحتاج إلى مساعدة مختص؟ فمعرفة السبب تعين على اختيار العلاج المناسب.

يا طالب إصلاح القلب، لا تنس أنّ من أعظم ما يُعين المؤمن على احتمال الوحدة الأنس بعبادة الله. فإذا خلا بنفسه صلى وقرأ القرآن وذكر الله ودعاه، مستحضرا أنّ الله يعلم حاله ويسمع دعاءه ولا تخفى عليه حاجته. ولكن لا تجعل هذا المعنى سببا في لوم من

يتألم من الوحدة، ولا تقل له إن حزنه دليل على قلة إيمانه. بل شجعه على الطاعة، وأعنه كذلك على إيجاد الصحبة الصالحة وما يحتاج إليه من دعم.

إذا طال شعورك بالوحدة حتى أثّر في نومك أو عملك أو قدرتك على الاستمتاع بحياتك، فلا تتردد في طلب المساعدة المناسبة. تحدث مع شخص موثوق، واستشر مختصا عند الحاجة، ولا تجعل الخجل يمنعك من معالجة ألمك. فكما يحتاج الجسد أحيانا إلى علاج، قد يحتاج الإنسان إلى مساعدة في التعامل مع الحزن والعُزلة والضغوط. والاستعانة بالأسباب المشروعة لا تُنافي التوكل على الله.

يا سالك الطريق، لا تجعل همك أن يحيط بك أكبر عدد من الناس، بل أن تكون لك علاقات صادقة تُعينك على الخير. فقد يكون لك صديق واحد أمين خيرا من عشرات المعارف الذين لا يعرفون عنك إلا اسمك. اختر من يذكّرك بالله، وينصحك إذا أخطأت، ويحفظ غَيبتك، ويقف معك في الشدائد، وكن أنت كذلك مع من تصاحب.

لا تكن سببا في وحدة من يعيشون معك. قد تكون زوجتك محتاجة إلى حديثك، أو زوجك محتاجا إلى تشجيعك، أو ولدك محتاجا إلى اهتمامك، أو والدتك تنتظر اتصالك. لا تجعل أقرب الناس إليك

أبعدهم عن قلبك. فإنّ من المؤلم أن يبحث الإنسان عن الحنان خارج بيته، بينما يعيش مع أهل لا يشعرون بحاجته إلى كلمة طيبة.

إذا شعرت أنك مَنسي بين الناس، فلا تجعل هذا الشعور يقودك إلى احتقار نفسك. قد يغفل عنك بعض من تحب، وقد يقصرون في السؤال عنك، ولكن قيمتك ليست محدّدة بعدد الاتصالات التي تصلك أو الدعوات التي تتلقّاها. أصلح ما بينك وبين الله، واعرف ما عليك من واجبات، واسع إلى الصحبة الصالحة، ولا تجعل تقصير الآخرين يحرمك من الخير الذي تستطيع فعله.

اجعل لنفسك عادة جميلة: لا يمر أسبوع دون أن تسأل عن إنسان قد يكون محتاجا إلى مَن يؤنسه. اتصل بقريب كبير في السن، أو زر

مريضا، أو تفقّد صديقا غاب عن المجالس، أو اسأل عن جار يعيش وحده. فإن كثيرا من القلوب لا تحتاج إلى حلول عظيمة بقدر ما تحتاج إلى من يُشعرها بأنها لم تُنس.

وأخيرا، يا سالك الطريق إلى الله، لا تجعل الوحدة تُطفئ نور قلبك، ولا تجعل انشغال الناس عنك يُقنعك أنك بلا قيمة. اطلب الأنس في طاعة الله، وابحث عن الصحبة الصالحة، وأصلح ما تستطيع من علاقاتك، وكن أنت أنيسا لمن حولك. وتذكّر أن كثيرا من الناس الذين تقابلهم يحملون في صدورهم وحدة لا تراها في وجوههم، فكن رحيما بهم، لطيفا في معاملتهم، قريبا منهم عند حاجتهم.

فلعل كلمة منك أو زيارة أو سؤالا صادقا يخفّف عن قلبٍ وحشةً طال به احتمالها.

الشعور بعدم التقدير: عندما تبذل من قلبك ولا تجد من يرى تعبك

يا سالك الطريق إلى الله، من أشد ما يؤلم بعض الناس أن يبذلوا أوقاتهم وأموالهم وجهودهم في خدمة من يحبون، ثم يشعروا كأن كل ما يقدمونه لا قيمة له عند الآخرين. يتعب الأب ولا يسمع كلمة شكر، وتسهر الأم ولا تجد من يقدر تعبها، ويُضحي الزوج ولا يرى إلا الانتقاد، وتبذل الزوجة جهدها فلا تسمع إلا الشكوى. وليس كل قلب متعب يحتاج إلى مال أو هدية، فقد يكون أشد ما يحتاج إليه كلمة صادقة تقول له: نحن نرى تعبك، ونقدّر ما تفعله لأجلنا.

كم من زواج لم تهدمه قلة المال، وإنما هدمه غياب التقدير. وكم من موظف ترك عملا براتب جيد، وانتقل إلى عمل آخر براتب أقل، لأنه وجد فيه الاحترام الذي افتقده. وكم من إنسان توقف عن خدمة الآخرين، لا لأنه عجِز عن العطاء، بل لأنه شعر أن عطاءه أصبح في نظرهم كأنه واجب مفروض عليه، وأنّ أحدا لا يرى له فضلا. إن الإنسان قد يتحمل مشقة العمل، ولكنه يتألم عندما يشعر أن تعبه لا يعني شيئا لمن يعمل لأجلهم.

بعض الناس لا يعرفون قيمة من حولهم إلا بعد فقدهم. لا يقدّر الرجل زوجته إلا بعدما تفارقه، ولا تعرف المرأة ما كان يقدّمه زوجها إلا بعدما يغيب عنها، ولا يشعر الأبناء بعظيم ما بذلته أمهم إلا

بعد موتها، ولا يلتفت المسؤول إلى الموظف المخلص إلا بعدما يقدّم استقالته. فلماذا ننتظر الغياب حتى نعترف بالفضل؟ ولماذا نبخل بكلمة طيبة على من لا يبخلون علينا بجهودهم؟

يا طالب إصلاح القلب، إنّ الإسلام لا يعلّمنا أن نأخذ إحسان الناس ثم نتجاهله، بل يعلّمنا الاعتراف بالجميل وشكر المحسن. وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ من تمام شكرك لله أن تشكر الناس على معروفهم. فتأمل كيف يرتبط حسن معاملة الناس بمعاني الدين والأخلاق. وليس من كمال الحال أن تكون جافا مع مَن يخدمك ويحسن إليك، كأنّ ما يقدمه لك لا يستحق كلمة امتنان.

لكن قبل أن نتحدث عن تقصير الآخرين في تقديرنا، ينبغي أن نتذكّر حقيقة عظيمة: ليس كل عمل صالح يراه الناس، وليس كل إحسان يجد الشكر، ولكن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا. فاجعل رضا الله أعظم مقاصدك، ولا تسمح لحاجتك الطبيعية إلى التقدير بأن تتحول إلى تعلق شديد بمدح الناس. فإن القلب يحتاج إلى أن يتعلّم أمرين معا: أن يشكر من أحسن إليه، وألا ينهار إذا لم يشكره الآخرون.

يا أيها الزوج، قد تكون زوجتك أمضت يومها بين رعاية الأولاد، وتنظيف البيت، وإعداد الطعام، ومتابعة شؤون الأسرة، ثم تعود أنت فلا ترى إلا أمرا لم تنجزه. تنتقد الطعام، وتشتكي من الفوضى،

وتسألها لماذا لم تفعل كذا وكذا. أمّا ما فعلته طوال اليوم فلا تذكره.

يا أخي، لا تجعل عينك دقيقة في رؤية التقصير، عمياء عن رؤية الإحسان. كلمة شكر منك قد تُزيل عنها تعبا لا تُزيله ساعات من الراحة.

ويا أيتها الزوجة، قد يخرج زوجك من بيته مهموما بأعباء العمل والدُيون والمسؤوليات، ويعود مُتعبا وقد بذل جهده في تأمين حاجات أسرته، ثم لا يسمع إلا المقارنات والطلبات والانتقادات. لا تجعلي نجاحه في توفير الضروريات أمرا لا يستحق الذكر، بينما يصبح كل ما عجز عنه سببا للومه. اشكريه على ما يُقدّم، وشجعيه

على الخير، ولا تنسي أن الرجل أيضا يحتاج إلى الكلمة الطيبة والاحترام والشعور بأن جهده مقدّر.

من الأخطاء التي تهدم الحياة الزوجية أن يقول أحد الزوجين للآخر عند كل خلاف: أنت لم تفعل لي شيئا في حياتك. كلمة واحدة كهذه قد تمحو في نفس سامعها سنوات من التعب والتضحية. ربما باع شيئا يحبه لأجل أسرته، أو تحمّل مرض شريكه، أو سهر الليالي في رعاية الأولاد، ثم يسمع أن كل ذلك لا قيمة له. إذا اختلفتما، فتحدثا عن المشكلة الحاضرة، ولا تجعلا الغضب وسيلة لإنكار المعروف القديم.

بعض المتزوجين لا يسمعون كلمات التقدير إلا من الغرباء. يمدحه زملاؤه في العمل، ويشكره أصحابه، ويُثني عليه الناس، ثم يعود إلى بيته فلا يسمع إلا الانتقاد. وكذلك قد تجد الزوجة التقدير من صديقاتها وأقاربها، بينما لا تجد من زوجها كلمة طيبة. وهذا خلل ينبغي إصلاحه قبل أن تتسع المسافة بين القلوب. فليكن بيتك أول مكان يجد فيه أهلك الاحترام والتقدير، لا آخر مكان يبحثون عنه فيه.

يا أيها الأبناء، لا تنظروا إلى ما تقدّمه أمكم كأنه أمر يحدث من تِلقاء نفسه، بل تذكروا أن وراءه جهدا وتعبا ومحبة. الطعام الذي تجدونه، والثياب النظيفة، والبيت المرتّب، والاهتمام بمرضكم

ودراستكم، وراء كثير منه جهد وتعب وتضحية. وكذلك لا تنظروا إلى ما يوفّره أبوكم من نفقة ورعاية على أنه أمر لا يستحق الشكر. نعم، للوالدين واجبات شرعية تجاه أولادهما، ولكن أداء الواجب لا يمنع من الاعتراف بالفضل. قولوا لأمكم وأبيكم: جزاكما الله خيرا، نحن نقدّر ما تفعلانه لأجلنا.

ومن أعظم صور الجفاء أن يكبَر الوالدان، ثم لا يجدان من أولادهما إلا المعاملة الباردة. يتصل الأب فيُجيبه ابنه بضيق، وتطلب الأم زيارة فيعتذر أبناؤها مرارا، وإذا ذكرتْ شيئا من تعبها القديم قالوا: هذا واجبك، لماذا تُذكريننا به؟ يا مسكين، حتى لو كان على الوالدين واجب التربية، فهل هذا يُبيح لك جحود فضلهما؟ لقد

أمر الله بالإحسان إليهما، ومن الإحسان أن تشعرهما بالمحبة والامتنان، لا أن تجعلهما يتسولان منك الاهتمام.

يا أيها المسؤول في العمل، قد يكون عندك موظف أمين يحضُر مُبكّرا، ويُنجز أعماله بإتقان، ويساعد زملاءه، ويتحمّل ضغوطا كثيرة، ثم لا يسمع منك إلا الملاحظات عند وقوع الخطأ. وإذا نجح المشروع نسبت النجاح إلى نفسك، وإذا حدث تقصير ألقيت اللوم عليه. لا تتعجب إذا جاءك يوما باستقالته. فليس كل موظف يترك عمله بسبب الراتب، فقد يتركه لأنه تعب من العمل في مكان لا يشعر فيه بقيمته.

بعض أصحاب الأعمال يظنون أن دفع الراتب يعفيهم من حسن معاملة الموظفين. يقول أحدهم: أنا أدفع له أجره، فلماذا أشكره؟ يا أخي، الراتب أجر يتقاضاه الإنسان مقابل عمله، أما الاحترام والعدل وحسن الكلام فمن مكارم الأخلاق التي ينبغي ألا تغيب عن مكان العمل. وقد يكون الموظف راضيا براتب متواضع في بيئة كريمة، ويترك راتبا أعلى في بيئة يكثر فيها الإذلال والتحقير.

وفي المقابل، يا أيها الموظف، لا تجعل رغبتك في التقدير سببا في التقصير في عملك أو خيانة الأمانة. فإذا لم يشكرك المدير على جهدك، فلا يُبيح لك ذلك إضاعة وقت العمل أو أخذ ما لا تستحقه. أدّ واجبك كما ينبغي، وطالب بحقوقك بالطرق المشروعة،

وابحث عن بيئة أفضل إن احتجت. فإن سوء خُلق المسؤول لا يُبيح لك خيانة الأمانة، ولا ينبغي أن تجعل رضا الناس هو الدافع الوحيد لإتقان عملك.

يا مَن تعمل في الدعوة إلى الله، قد تُمضي سنوات في تعليم الناس، وتنظيم الدروس، وخدمة المراكز، ومساعدة المحتاجين، ثم لا تجد من بعض من تخدمهم كلمة شكر، وربما لا يذكرونك إلا عند التقصير. لا تجعل جفاء الناس وحده سببا في ترك العمل الصالح الذي تقوم به لله، واحرص على أن تُوازن بين خدمة الدعوة وحقوق نفسك وأهلك. ولكن يا أيها المسؤولون عن العمل الدعوي، ارفقوا

بالعاملين معكم، ولا تستنزفوا جهودهم ثم تتعاملوا معهم كأنهم آلات لا تتعب ولا تحتاج إلى تشجيع وتقدير.

بعض الناس يظنون أن مدح المُحسن يُفسد إخلاصه، فيمتنعون عن شكره بحجة أنهم يريدون له أن يعمل لله وحده. وهذا فهم غير سليم على إطلاقه. فإن شكر الإنسان على إحسانه لا يُنافي تذكيره بالإخلاص، وليس كل ثناء على العمل الصالح مذموما، بل قد يكون الثناء الصادق المنضبط تشجيعا على الخير، ما لم يتضمن كذبا أو مبالغة أو يُخش منه ضرر. فلا تجعلوا الدعوة إلى الإخلاص ذريعة للجفاء، ولا تجعلوا التقدير وسيلة للمبالغة والكذب والتملّق. عاملوا الناس بالعدل، وتجنبوا ظلمهم والإساءة إليهم، والتزموا

حسن الخلق في معاملاتكم، واعترفوا بإحسانهم، وذكّروهم بأنّ أعظم الأجر ما كان عند الله.

يا مَن تشعر أن أحدا لا يُقدّر ما تفعله، لا تكتم ألمك سنوات ثم تنفجر في لحظة غضب. تحدث بهدوء مع من يعنيه الأمر، وقل له: أنا أبذل جهدي، ويؤلمني أن لا أجد اعترافا بما أُقدّم، وأحتاج إلى مزيد من الاحترام والتعاون. فقد يكون الطرف الآخر غافلا لا يقصد جرحك، وقد يكون اعتاد إحسانك حتى لم يعد ينتبه إليه. والحوار الصادق قد يُصلح ما لا تصلحه الخصومات والاتهامات.

احذر أن تحوّل كل إحسان تقدّمه إلى دَين تُطالب الناس بسداده من المدح والثناء. فقد تساعد قريبا، ثم تغضب لأنه لم يذكر فضلك

أمام الناس، أو تقدّم هدية، ثم تظل تنتظر الشكر والإشادة. إنّ من كمال الإحسان أن تحسن بنية صالحة، وألا تمُنّ على الناس بما أعطيتهم. وقد نهى الله تعالى عن إبطال الصدقات بالمنّ والأذى. فاشكر من أحسن إليك، ولكن إذا أحسنت أنت فلا تجعل إحسانك وسيلة لإذلال الآخرين.

من الناس من لا يشعر بقيمته إلا إذا أثنى عليه الآخرون، فإذا غاب المديح ظن أنه فاشل أو غير محبوب. وهذا يجعل قلبه مضطربا، تتغير حاله بتغير كلمات الناس. يا أخي، لا تجعل صورتك عن نفسك رهينة لألسنة الآخرين. اعرف ما عليك من واجبات، وقيّم

عملك بميزان صحيح، واستمع للنصيحة الصادقة، واجعل رضا الله أعظم ما تطلبه.

من أشد ما يؤلم الإنسان أن يُقابَل إحسانه بالإساءة. قد يقف مع صديق في محنة، ويُقرضه مالا، ويساعده في إيجاد عمل، ثم إذا احتاج إليه وجد منه الجفاء أو الجحود. لا تجعل هذه التجربة تدفعك إلى كراهية الإحسان أو إساءة الظن بكل الناس. تعلّم أن تُحسن اختيار مواضع إحسانك، وأن تحفظ حقوقك، وأن تضع حدودا مشروعة، دون أن تمنع المعروف عمن يستحقه. ولا تسمح لجحود شخص واحد أن يُطفئ في قلبك محبة الخير.

يا أيها الآباء، انتبهوا إلى الطفل الذي يجتهد في الدراسة أو يساعد في البيت، ثم لا يسمع منكم كلمة تشجيع. بعض الآباء لا يرون من أولادهم إلا الأخطاء، فإذا حصل الولد على علامة جيدة قالوا: لماذا لم تحصل على العلامة الكاملة؟ وإذا أصلح سلوكا قالوا: كان ينبغي أن تفعل ذلك منذ زمن. علّموا أبناءكم الاجتهاد والإحسان، ولكن لا تجعلوهم يشعرون أن رضاكم عنهم أمر مستحيل.

قد يكون سبب شعورك بعدم التقدير أنك تقدّم للآخرين أكثر مما تستطيع، ثم تتألم لأنهم لم يُدركوا حجم تضحيتك. ربما توافق على كل طلب، وتُلغي راحتك، وتُهمل بعض حقوق نفسك وأهلك، ثم

تنتظر أن يفهم الناس وحدهم ما تحملته. تعلّم أن تقول «لا» فيما لا يجب عليك، وأن تنظّم عطاءك، وأن تُفرّق بين الواجب والتطوّع. فليس من الحكمة أن تُحمّل نفسك ما لا تطيق، ثم تجعل الآخرين مسؤولين عن كل تعب أصابك.

لا تقارن مقدار ما تقدمه للآخرين بمقدار ما يقدمونه لك دون مراعاة اختلاف الظروف والقدرات. فقد يعبر إنسان عن تقديره بالكلام، وآخر بالخدمة، وثالث بالمساعدة عند الحاجة. وربما كان من تحبه عاجزا عن إظهار مشاعره بالطريقة التي تتمناها. فلا تتعجل في الحكم عليه بالجحود، بل انظر إلى مجموع أفعاله، وتحدّث معه

عما تحتاج إليه، وميّز بين قلّة التعبير عن الامتنان وبين الاحتقار والإهمال الحقيقيين.

يا مَن اعتدت أن يخدمك الآخرون، جرب أن تتوقف لحظة وتسأل نفسك: متى كانت آخر مرة شكرت فيها من يساعدك؟ متى قلت لزوجتك إنك تقدّر تعبها؟ متى أثنيت على زوجك لجهده؟ متى شكرت موظفا مخلصا أو معلّما صبورا أو أخا وقف إلى جانبك؟ لا تنتظر مناسبة كبيرة. فقد تكون كلمة تقدير صادقة منك سببا في إزالة حزن يحمله إنسان منذ مدة، وأنت لا تعلم.

يا سالك الطريق، إذا لم تجد التقدير الذي تتمناه، فلا تجعل الحزن يعميك عن نعم الله عليك. راجع نيتك، وطالب بحقك إن كان لك

حق، وأصلح علاقتك بمن تستطيع، وابتعد بالطرق المشروعة عمّا فيه ظلم أو إذلال مستمر. ولكن احذر أن تتحوّل حاجتك إلى التقدير إلى حقد أو رياء أو من أو رغبة في الانتقام. فقد لا يرى الناس كل ما تفعله، ولكن الله يعلم ما ظهر من عملك وما خفي، ولا يضيع عنده أجر الإحسان الصادق.

يا أيها الزوج، لا تنتظر حتى تفقد زوجتك لتذكر فضائلها، ويا أيتها الزوجة، لا تنتظري حتى يغيب زوجك لتعرفي قيمة ما كان يقدّمه. قولوا كلمات الشكر اليوم، وأظهروا المحبة اليوم، واعترفوا بالفضل اليوم.

ويا أيها الآباء والأبناء والإخوة والأخوات، لا تجعلوا الأُلفة سببا في الجفاء. فقد يعتاد الإنسان إحسان أقاربه حتى ينسى شكرهم، ثم إذا انقطع إحسانهم شعر بفراغ كبير. بادروا إلى الاعتراف بالجميل، واذكروا فضل من وقف معكم في الشدائد، ولا تكونوا ممن يحفظون أخطاء الناس وينسون إحسانهم.

يا مَن تبذل كثيرا ولا تجد من يقدرك، تذكّر أن من أعظم أسرار راحة القلب أن تعمل لله فيما تقصد به وجهه، وألا تجعل ثناء الناس شرطا لاستمرارك في كل خير. ولكن لا تخلط بين الإخلاص وبين السكوت عن الظلم، فإن لك حقوقا يجوز لك المطالبة بها. كن محسنا دون مَنّ، كريما، صابرا، وطالبا لرضا الله قبل رضا الناس.

اجعل من اليوم لنفسك عادة جميلة: لا يمر يوم دون أن تعترف بفضل إنسان أحسن إليك، ولو بكلمة طيبة. اشكر من أعد لك طعاما، ومن علّمك مسألة، ومن ساعدك في عمل، ومن وقف معك في مرض أو شدة، ومن دعا لك بخير. فإن نشر ثقافة الشكر والتقدير بين الناس ليس أمرا تافها، بل هو من حسن الخلق الذي تصلح به البيوت وتزداد به المودّة.

وأخيرا، يا سالك الطريق إلى الله، لا تكن سببا في انكسار قلب إنسان أحسن إليك، ولا تجعل من يحبك يندم على ما بذله لأجلك. اشكر والديك، وقدّر زوجك أو زوجتك، وشجع أولادك، وأنصف من يعمل معك، واعترف بفضل أصحابك وإخوانك. وإذا كنت

أنت ممن لا يجدون التقدير، فاستعن بالله، وأصلح نيتك، واحفظ حقوقك، ولا تيأس من فعل الخير. واستحضر قول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلا الْإِحْسَانُ﴾. فليكن شعارك أن تحسن إلى الناس، وأن تشكر من أحسن إليك، وأن ترجو من الله أعظم الثواب على إحسانك.

العلم والعمل: ضرورة السلوك وتربية النفس

يا سالك الطريق إلى الله، قد تكون تعلّمت علم الدين، وعرفت الحق، وصحت عقيدتك، ولكنك تجد في نفسك تقصيرا في العمل بما تعلّمت. فلا تجعل علمك معلومات تحفظها وتحدث الناس بها فقط، بل احرص على أن يظهر أثره في عبادتك وأخلاقك ومعاملاتك. فإن من أعظم ثمرات العلم النافع أن يدلك على ما يصلح قلبك، ويعينك على مجاهدة نفسك وتهذيب أخلاقك.

ربما تحفظ كثيرا من المتون، وتفهم مسائل الدين، وتعرف فضل الذكر والطاعة، ولكنك تجد في نفسك كسلا وضعفا في الهمة. فلا تكتف

بمعرفة الفضائل، بل عوّد نفسك على العمل بما علمت، وداوم على الطاعة ولو بالقليل، وجاهد نفسك حتى تألف الخير وتنشط له.

قد تعرف أحكام الصلاة وفضل الخشوع فيها، ثم تقف للصلاة وقلبك مشغول بأمور الدنيا. فلا تيأس، ولا تظن أن معرفتك بأحكامها قليلة الفائدة، بل استعن بما تعلّمت على إصلاح حالك، وجاهد نفسك على حضور القلب، وتذكر أن الخشوع يحتاج إلى تعاهد ومجاهدة، وأن غيابه لا يعني بُطلان الصلاة ما دامت قد استوفت شروط صحتها وأركانها.

قد تعرف خطر الغفلة، وتسمع المواعظ التي تحذّر منها، ثم تجد نفسك تعود إليها مرة بعد مرة. فلا تكتف بمعرفة الداء، بل تعلّم

دواءه واعمل به. ومن ذلك محاسبة النفس، والمحافظة على الواجبات، والابتعاد عن المعاصي، والإكثار من الطاعات بقدر الاستطاعة. فكم من إنسان يعرف طريق الخير، ولكنه يحتاج إلى همة تحمله على سلوكه.

قد تقرأ عن الصبر والرضا، وتعرف ما ورد في فضلهما، ثم إذا نزل بك بلاء اضطرب قلبك وضعف صبرك. فاعلم أن الصبر خلُق يحتاج إلى مجاهدة وتعويد، وأن العلم بفضله ينبغي أن يحملك على العمل به عند الشدائد، لا أن يبقى كلاما ترددده في أوقات الراحة. ولا تظن أن مجرد شعورك بالحزن عند المصيبة ينافي الصبر، وإنما المذموم ما كان من الأقوال والأفعال المنافية للصبر.

قد تعلم أنّ الإخلاص من أعظم ما ينبغي أن يحرص عليه العبد، ثم تجد في نفسك ميلا إلى المدح وحب الظهور. فلا تغفل عن مراقبة نيتك ومحاسبة نفسك، واحذر أن تجعل ثناء الناس هو الباعث لك على الطاعة. وإذا وجدت من نفسك ميلا إلى الرياء، فجاهدها وجدد نيتك، ولا تجعل مجرد الخوف من الرياء سببا لترك العمل الصالح.

قد تُكثر من الكلام عن محبة الله وفضل طاعته، ولكنك لا تجد في نفسك من النشاط للعبادة ما تتمناه. فلا تجعل مقياس صدقك ما تشعر به من لذة وراحة فقط، بل انظر إلى محافظتك على ما أوجب الله عليك، واجتنابك ما حرم، ومجاهدتك نفسك على الاستقامة.

فقد يثقل العمل على النفس، ويكون في مجاهدتها عليه خير عظيم. فلا تترك الطاعة لأنك لم تجد فيها اللذة التي كنت ترجوها.

يا سالك الطريق، إذا وجدت غفلة في صلاتك، أو كسلا في ذكرك، أو ضعفا في صبرك وتوكلك، فلا تظن أن العلاج يكون بجمع المعلومات فقط. واصل طلب العلم الشرعي، واحرص على العمل بما تعلّمت، ورَبِّ نفسك على الطاعة، وحاسبها على التقصير، وجاهدها على ترك المعاصي والتحلي بالأخلاق الحسنة. فليس المقصود من السلوك أن تنشغل عن العلم، بل أن تنتفع بعلمك في إصلاح نفسك وتقويم سلوكك.

العلم الشرعي الصحيح نور يدلك على الطريق المستقيم، والعمل به ومجاهدة النفس يعينانك على السير فيه. فلا تفصل بين العلم والعمل، ولا بين صحة الاعتقاد واستقامة السلوك، واجعل ما تتعلّمه سببا لزيادة طاعتك وإصلاح قلبك وحسن معاملتك للناس. فليست الغاية أن تعرف طريق الخير فحسب، بل أن تسلكه على بصيرة، وأن يكون علمك دليلا لك، وعملك شاهدا على انتفاعك به.

القلب: حياته وأمراضه وسبل إصلاحه

لا تنشغل كثيرا بما يراه الناس منك، وتنس ما ينبغي أن تصلحه في باطنك. فهناك موضع لا يطّلع الناس على ما فيه، ولكن الله يعلمه: قلبك. فيه نياتك، ومحبتك، وخوفك، وما تُخفيه من مشاعر وأسرار، وقد تكون فيه أمراض لا يعلم بها أحد من الناس، بل قد تغفل أنت نفسك عنها.

قد يقف جسدك في المحراب وقلبك مشغول بالدنيا، وقد يتحرك لسانك بالذكر وقلبك غافل عما تقول. فلا تكتف بإصلاح ظاهرك، بل اجعل لقلبك نصيبا من المراقبة والمحاسبة والتهذيب.

إن القلب موضع قد تخفى فيه أمراض سنوات، وقد يكون إصلاحه سببا في تغيير حياة الإنسان كلها. فتأمل حال قلبك: حياته وقسوته ولينه، وأمراضه وسبل علاجه. فإن العناية بالقلب من أهم ما ينبغي أن يشتغل به طالب الطريق إلى الله.

لا تظن أن أخطر ما يصيب الإنسان هو مرض جسده دائما، فقد يكون الجسد مريضا وصاحبه مستقيما على طاعة الله، وقد يكون الجسد صحيحا معافى وصاحبه غارقا في الغفلة والمعاصي. فلا تجعل عنايتك بصحة جسدك تُنسيك العناية بصلاح قلبك.

قد تتسلل القسوة إلى القلب شيئا فشيئا، بالغفلة المتكررة، والاستهانة بالذنوب، والإصرار على المعاصي، حتى يألف الإنسان

ما كان يستعظمه من قبل، ويسهل عليه ما كان يخشى الوقوع فيه. فاحذر أن تستصغر الذنب، أو تجعل تكراره سببا للاستهانة به.

ومن أخطر ما يصيب القلب أن يكون فيه مرض وصاحبه لا يشعر به، فإن من عرف داءه كان أقرب إلى طلب دوائه، أما من اغترّ بنفسه وظن أنه سليم من العيوب، فقد يبقى سنوات لا يحاسب نفسه ولا يسعى إلى إصلاحها. فلا تغترّ بما تراه من حسناتك، ولا تغفل عما يحتاج إلى إصلاح في باطنك.

اسأل نفسك: متى كانت آخر مرة تأثّرت فيها بآية من القرآن؟ متى استحضرت عظمة الله في قلبك؟ متى ندمت على ذنب لأنك

عصيت الله، لا لأنّ الناس علموا به؟ لا تجعل هذه الأسئلة سببا لليأس، بل اجعلها بابا لمحاسبة النفس والإقبال على الطاعة.

من علامات حياة القلب أن يندم صاحبه على معصية الله، وأن يكره الاستمرار في الذنب. فإذا وقعت في معصية ثم وجدت نفسك تستهين بها ولا تبالي بالتوبة منها، فخف على قلبك، وبادر إلى إصلاحه. فإن سلامة القلب أولى بعنايتك من سلامة سُمعتك عند الناس.

صاحب القلب الحيّ قد يزِلّ ويقع في المعصية، ولكنه لا يرضى لنفسه بالاستمرار فيها، بل يُبادر إلى التوبة ويجاهد نفسه على تركها. أما من قسا قلبه، فقد يسمع المواعظ والتذكير، ثم يمضي

مُصرا على معاصيه، كأن ما سمعه لا يعنيه. فليست العبرة بمجرد سماع الموعظة، بل بالانتفاع بها والعمل بما فيها من خير.

إذا فاتتك طاعة، فانظر في حالك: هل كان ذلك لعذر، أم بسبب تقصير وتهاون؟ وإذا وقعت في غفلة، فلا تستسلم لها حتى تصبح عادة. فإنّ من أخطر ما يصيب الإنسان أن يعتاد التقصير حتى لا يعود يرى فيه ما يدعوه إلى إصلاح نفسه.

للقلب غذاء كما للجسد غذاء، ومن أعظم ما ينفعه ذكر الله، والعلم النافع، والتوبة، والإخلاص، والمحافظة على الطاعات. فلا تحرم قلبك ما يُعينه على الصلاح، ثم تتعجب من غفلتك وضعف همتك.

وللقلب أمراض خطيرة، منها الحسد، والعجب، والرياء، والكبر، والحقد، والتعلّق بمدح الناس وثنائهم. وقد يقع في بعض هذه الأمراض من يُكثر من العبادة وطلب العلم، فلا ينبغي للإنسان أن يغترّ بظاهر صلاحه، بل عليه أن يُراقب نفسه ويُعالج ما يجده فيها من عيوب.

من أشد ما يُخشى على الإنسان أن يعتني بتحسين صورته عند الناس، ويُهمل إصلاح باطنه، فيحرص على أن يُمدح بالصلاح وحسن الخُلُق، وهو لم يبدأ بعد بمجاهدة ما في نفسه من أمراض. فاحرص على أن يكون اهتمامك بإصلاح نفسك أعظم من اهتمامك بما يقوله الناس عنك.

راقب قلبك عندما يُمدح غيرك أمامك، وعندما يتقدّم عليك أحد في العلم أو العمل، وعندما لا يذكرك الناس ولا يشكرونك. هناك قد تكتشف في نفسك حسدا أو حبا للظهور أو تعلّقا بثناء الناس لم تكن تنتبه إليه. فاستفد من هذه المواقف في معرفة عيوب نفسك والسعي إلى إصلاحها.

لا تيأس إذا اكتشفت في قلبك مرضا، فإن معرفة الداء خطوة مهمة نحو العلاج. ولا تظن أن وجود عيب في نفسك يعني أنك لا تستطيع إصلاحها. بل اجعل معرفتك بعيبك دافعا إلى مجاهدته، واحذر أن تستسلم له أو تتخذه عذرا للاستمرار عليه.

ولا يكفي أن تعرف عيوب نفسك، بل لا بد أن تسعى إلى إصلاحها. فكم من إنسان يعرف أنه حسود أو متكبّر أو شديد الحقد، ولكنه يُبرر لنفسه ما فيها بدلا من أن يجاهدها على التغير. فلا تجعل معرفتك بعيوبك معرفة بلا عمل.

وإصلاح القلب ليس كلمة تقرؤها ثم تمضي، ولا موعظة تتأثر بها ساعة ثم تنساها، بل هو مجاهدة مستمرة، وتوبة صادقة، وذكر لله، ومحاسبة للنفس، وعمل بالعلم، وصبر على الطاعة وترك المعصية. فلا تنتظر أن يَصلُح قلبك دون جهد، ولا تتوقف عن مجاهدته إذا تعثرت، بل جدد توبتك وواصل سيرك على طريق الخير.

معرفة النفس ومخالفة الهوى

يا سالك الطريق إلى الله، إنّ الشيطان يوسوس للإنسان بالمعصية، وقد تميل نفسه إليها وتشتهيها، ثم تألفُها إذا استجاب لها وكررها. وهنا تظهر أهمية مجاهدة النفس، فليس المطلوب أن تعرف الحلال والحرام فحسب، بل أن تُربّي نفسك على طاعة الله واجتناب معاصيه.

من أهم أبواب السلوك إلى الله أن تعرف نفسك، وتتنبه إلى ضعفها وشهواتها وما اعتادته من أخلاق وعادات، ثم تتعلّم كيف تقودها

إلى الخير بدلا من أن تنقاد لكل ما تشتهيه. فليس كل ما تميل إليه النفس نافعا لها، وليس كل ما يشُق عليها ضارا بها.

كثير من الناس يتمنون لذة العبادة، وصفاء القلب، وحلاوة الذكر، ولكنهم يستثقلون مجاهدة النفس وتغيير العادات. فاعلم أن إصلاح النفس لا يكون بالأماني وحدها، بل بالعلم النافع، والعمل الصالح، والمحاسبة، والصبر على الطاعة وترك المعصية.

لا تظن أن كل ما تشتهيه نفسك خير لك، فكم من لذة محرّمة لم تدم إلا لحظات، وأورثت صاحبها ندما طويلا. وكم من شهوة محرمة صبر الإنسان عنها ابتغاء مرضاة الله، فكان في تركها خير عظيم له.

فزن رغباتك بميزان الشرع، ولا تجعل مجرد الميل إلى الشيء دليلا على صلاحه.

النفس قد تميل إلى الراحة وتستثقل بعض الطاعات، فإن أطعتها في كل ما تطلبه من كسل وتسويف، اعتادت التقصير وصعُب عليك تغييرها. فعوّدها الجِد في مواضع الجِد، وأعطها حقها من الراحة المباحة، ولا تجعل حب الراحة سببا لتضييع الواجبات.

من أسرار تربية النفس ألا تجعل هواها حاكما عليك. فإذا دعتك إلى معصية فامنعها، وإذا ثقُلت عليها طاعة واجبة فألزمها بها، وإذا مالت إلى الكِبر فعوّدها التواضع، وإذا أحبت الانتقام فذكّرها

بفضل العفو في موضعه. وهكذا تكون تربية النفس بالعلم والحكمة والحزم.

قد تقول لك نفسك: «استرح اليوم، وابدأ غدا، وأجّل هذا العمل قليلا». وإذا استجبت لها في كل مرة، قد يضيع من عمرك الكثير بين «بعد قليل» و«غدا». فاحذر أن تجعل التسويف عادة تحرمك الخير.

ومن حيل النفس أنها قد لا تدعوك إلى ترك الخير نهائيا، بل إلى تأخيره مرة بعد مرة. فتقول: «سأتوب عندما تتحسن ظروفي، وسأحافظ على الطاعة عندما تقِلّ مشاغلي». وهكذا تمضي الأيام

والإنسان ينتظر ظروفا قد لا تأتي. فلا تؤخر التوبة، ولا تؤجل واجبا حان وقته، وابدأ من الآن بما تستطيع من الخير.

لا تنتظر أن تشتهي الطاعة حتى تطيع الله، فمن المجاهدة أن تؤدي الواجب وإن ثقُل على نفسك. ومن حسن تربيتها أن تعوّدها الطاعات والأعمال الصالحة بالتدرّج والمداومة، فإن ما يشق عليها في البداية قد يسهل عليها بالممارسة والاعتياد.

لا تبحث دائما عما يُريح نفسك، بل ابحث عما يُصلحها. قد يكون من أعظم انتصاراتك في يومك أمر لا يعلم به أحد من الناس: أن تشتهي معصية فتتركها لله، أو تثقل عليك طاعة فتؤديها ابتغاء مرضاته.

كلما امتنعت عن معصية تشتهيها نفسك، كنت تربيها على مخالفة الهوى المحرّم. فلا تستصغر هذه المواقف، فإن المجاهدة المتكررة تُعينك على ترك ما هو أشد عليك. ومن أراد صفاء القلب وهو يُصِر على اتّباع شهواته المحرمة، فقد أراد الثمرة وأعرض عن أسبابها.

جاهد نفسك في الطعام والنوم والكلام والغضب وحب المدح وطلب الظهور، ولكن لا تفهم من ذلك أن المطلوب حرمانها من المباحات أو إضرارها. وإنما المقصود أن تمنعها من الحرام، وتحملها على الواجب، وتهذّب عاداتها، وتعوّدها الاعتدال وحسن التصرف.

النفس قد تحب أن تنتصر في كل نقاش، وأن يكون لها آخر الكلام، ولو كان الجدال لا فائدة فيه. ومن مجاهدتها أن تترك الجدال الذي لا خير فيه، وأن تسكت عن الكلام المؤذي وأنت قادر عليه. أما بيان الحق ودفع الظلم فلهما مواضعهما وأحكامهما، فلا تجعل السكوت فضيلة في كل حال.

ومن أوضح ميادين مجاهدة النفس مواقف الغضب، ففي حال الرضا يسهل على كثير من الناس حسن المعاملة، أما عند الغضب فيظهر أثر تربية النفس. هل تملك لسانك؟ هل تمتنع عن الظلم؟ هل تحفظ الأسرار؟ هل تمنع نفسك من كلمة قاسية قد تُفسد علاقة بُنِيت في سنوات؟ إن قدرت على ضبط نفسك عند شدة الغضب،

فقد قطعت شوطا مهما في تهذيبها. ومن أهم أسرار معرفة النفس أن تُراقبها عندما لا تجري الأمور على وَفق رغبتها. راقبها عندما لا يمدحك أحد، وعندما يُقَدّم غيرك عليك، وعندما ينصحك إنسان، وعندما لا يُؤخذ برأيك، وعندما ترى من هو أنجح منك أو أشهر. ففي هذه المواقف قد تظهر لك عيوب لم تكن تنتبه إليها، كحب الظهور والكبر والحسد وطلب التعظيم.

لا تجعل قيمة عملك عندك مرتبطة بمدح الناس وشهرتك بينهم. فقد تعمل خيرا لا يعلم به أحد من الناس، وقد يكون عملك عظيما في الثواب إذا كان صالحا مقبولا عند الله. فلا تجعل ثناء الناس

غايتك، واستحضر أنّ الله يعلم عملك ونيتك، وأنّ العبرة بقَبول العمل عنده، لا باشتهاره بين الناس.

وقد تظهر أمراض النفس حتى في أثناء الطاعات، فلا تظن أن مجاهدتها تقتصر على ترك المعاصي. قد تقوم الليل، وتتصدق، وتعلّم، وتدعو إلى الله، ثم تجد في نفسك ميلا إلى أن يعرف الناس بعملك ويُثنوا عليك. فهنا احذر الرياء والعجب، وجدّد نيتك، ولا تجعل ثناء الناس هو الباعث لك على الطاعة. ولا تترك العمل الصالح لمجرد خوفك من الرياء، بل جاهد نفسك على الإخلاص.

وجاهد نفسك في الخفاء كما تجاهدها في العلن، فإن العمل الصالح الذي لا يعلم به الناس من أبواب تربية النفس على الإخلاص.

اجعل لك من النوافل والصدقات والدعاء ما تخفيه عن الناس، واعمل الخير دون أن تنتظر عليه شكرا أو ثناء. وعود قلبك أن يكون حرصه على رضا الله أعظم من حرصه على مدح الناس.

واعلم أن النفس إذا اعتادت شيئا قد يشق عليها تركه، ولكن العادات يمكن تغيير كثير منها بالتدرّج والصبر. فمن ألف الإكثار من استعمال الهاتف قد يصعب عليه تقليله، ومن اعتاد كثرة الكلام قد يشق عليه حفظ لسانه. فلا تجعل مشقة البداية دليلا على استحالة التغيير، بل ابدأ بخطوات تستطيع المداومة عليها.

لا تقل: «أنا هكذا ولن أتغيّر»، فإن هذه الكلمة قد تكون سببا في استسلامك لعيوبك. بإعانة الله وبذل الأسباب تستطيع أن تحسّن

كثيرا من عاداتك، وأن تتعلّم ضبط لسانك بعد الاندفاع، والحلم بعد سرعة الغضب، والعفو بعد حب الانتقام. ولكن التغيير لا يكون بالأماني وحدها، بل بالمجاهدة والتدريب والصبر.

لا تظن أن مجاهدة النفس تعني أن تكره نفسك أو تعذبها، بل معناها أن تربيها على ما يرضي الله. فالطفل إن أعطي كل ما يطلبه دون توجيه أو ضبط، قد يفسد سلوكه، وكذلك النفس إذا اعتادت الاستجابة لكل رغبة دون ضابط. فخذها بالحكمة والحزم، واعلم أن لنفسك عليك حقا، فلا تضر بها بحرمانها مما تحتاج إليه، ولا تتركها تسترسل في المعاصي.

ولا تستعجل ثمرة المجاهدة. قد يجتهد الإنسان يومين أو أسبوعا، ثم يسأل: أين الخشوع؟ أين لذة الذكر؟ أين صفاء القلب؟ يا أخي، عادات ترسّخت في سنوات قد تحتاج إلى وقت وصبر لتتغير. فداوم على الطاعة، ولا تجعل غياب اللذة سببا لتركها، وإذا وقعت في تقصير فتب واستأنف العمل. فإن تربية النفس تحتاج إلى صبر واستمرار.

ولا تيأس إذا غلبتك نفسك مرة، فليس المطلوب أن تدّعي لنفسك العصمة من الخطإ، بل أن تُبادر إلى التوبة إذا أذنبت، وأن تُصلح ما استطعت إصلاحه، وأن تستمر في مجاهدتها. فالخطر أن تستسلم للمعصية وتجعل تكرار السقوط عذرا لترك التوبة.

مجاهدة النفس ليست عمل يوم أو أسبوع، بل هي تربية ومراقبة ومحاسبة تستمر ما دُمت حيا. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. فاستعن بالله، واعمل بما علمت من الحق، وجاهد نفسك على الاستقامة، ولا تغترّ بما بلغته من تقدم في إصلاحها.

وإذا أردت أن تبدأ بإصلاح نفسك، فانظر إلى الواجبات التي تقصّر فيها، والمعاصي التي تجد في نفسك ميلا إليها، والعادات التي تضيّع عليك وقتك أو تُفسد أخلاقك. فابدأ بإصلاح ما أوجب الله عليك، وبترك ما حرّم، ثم تدرج في الازدياد من الطاعات والأخلاق الحسنة.

والسر الذي أريد أن يبقى في قلبك: لا تنتظر أن تُصبح نفسك مطيعة في كل شيء حتى تبدأ السير على طريق الخير. بل ابدأ وجاهدها. اذكر الله وإن كان قلبك مشغولا، وقم إلى الطاعة وإن ثقُلت عليك، وامنع لسانك من الأذى وإن دعاك الغضب إليه، وتواضع وإن مالت نفسك إلى الظهور، واستغفر وإن كثُر تقصيرك. فبالمداومة على الخير والاستعانة بالله ترجو أن ترى من نفسك ما يسرّك من التغيّر والاستقامة.

أسأل الله أن يُصلح نفوسنا، ويُطهّر قلوبنا، ويُعيننا على مخالفة الهوى المحرم، وأن يرزقنا الإخلاص والثبات على الطاعة، وأن يُحسّن خواتيمنا، ويجمعنا مع الصالحين والأولياء في جنات النعيم. اللهم

لا تحرمنا حلاوة ذكرك، ولا حسن عبادتك، واجعل عاقبتنا رضوانك والجنة. آمين.

امتحان الإخلاص وحب المدح والظهور

يا سالك الطريق إلى الله، من أدق الامتحانات التي يمر بها القلب أن يرى الإنسان أثر عمله في الناس، وأن يسمع ثناءهم عليه. فاسأل نفسك: ماذا يحدث في قلبك عندما يمدحك الناس؟ هل تفرح لأن الله وفقك إلى الخير، أم يكون أعظم همّك أن يرتفع اسمك ويعظم قدرك عندهم؟ وليس مجرد الفرح بثناء الناس دليلا على الرياء، ولكن انظر إلى نيتك وما يدفعك إلى العمل.

امتحن قلبك إذا فعلت خيرا ولم يعلم به أحد. هل ترى أن عملك فقد قيمته لأن الناس لم يروه؟ أم تستحضر أن الله يعلم ما صنعت،

وأن العبرة بصلاح العمل وقبوله عنده؟ ولا تجعل غياب الشعور باللذة دليلا على غياب الإخلاص، فقد يعمل المؤمن الطاعة مخلصا ولا يجد في نفسه لذة خاصة.

وامتحن قلبك إذا نُسب الفضل إلى غيرك في عمل شاركت فيه. هل يضيق صدرك لأن الناس أثنَوا عليه ولم يذكروك، أم تفرح بتحقق الخير وإن لم يُذكر اسمك؟ ولا حرج في أن تُبيّن دورك إذا دعت إلى ذلك حاجة صحيحة، ولكن احذر أن يتحوّل طلب الاعتراف بجهدك إلى حسد أو حقد أو خصومة لحب الظهور.

من أخفى أمراض القلب أن يحب الإنسان الطاعة، ولكنه يجعل من أهدافه أن يُعرف بين الناس بأنه من أهل العبادة والعلم والصلاح.

فاحذر أن تكون صورتك عند الناس أهم عندك من صلاح باطنك، وأن تحرص على ما يقولونه عنك أكثر من حرصك على إصلاح نيتك.

وقد يبدأ الإنسان عملا صالحا بنية حسنة، ثم يجد في نفسه ميلا إلى الثناء والمدح. فلا يستسلم لهذا الميل، بل ليجدد نيته ويجاهد نفسه. ولا يظن أن كل خاطر يمر بقلبه يفسد عمله، فإن الخواطر التي لا يتعمدها الإنسان ولا يسترسل معها ليست كالقصد المتعمد إلى الرياء.

راقب نفسك بعد أن تنشر فائدة، أو تقدّم نصيحة، أو تساهم في عمل دعوي. هل يكون همك الأكبر أن ينتفع الناس بالخير، أم أن

تكثُر المشاهدات والإعجابات والتعليقات التي تمدحك؟ ولا بأس بمتابعة انتشار الفائدة لمعرفة أثرها وتحسين وسائل نشرها، ولكن احذر أن تجعل شهرتك هي الغاية.

ليس السؤال فقط: هل أعمل الخير؟ بل من أهم الأسئلة: لمن أعمله؟ وما الذي أرجوه من ورائه؟ قد تُخفي عملا صالحا عن الناس، ثم تتمنى أن يعرفوا أنك أخفيته، ليُثنوا على إخلاصك. فانتبه إلى هذه المداخل الدقيقة، ولا تجعل إخفاء العمل وسيلة لطلب المدح على إخفائه.

ومن علامات التعلّق بثناء الناس أن يزداد نشاطك في الطاعة لمجرد أنهم يرونك، وأن تتركها أو تتهاون بها عند غيابهم. أما أن ينشَط

الإنسان مع إخوانه لما يجده من التشجيع والتعاون على الخير، فليس ذلك في نفسه رياء. فالميزان هو النية والباعث على العمل.

يا عبد الله، ألا يكفيك أنّ الله يعلم عملك ونيتك، وإن لم يعلم بهما أحد من الناس؟ فلماذا تجعل ثناء الناس شرطا لرضاك عن عملك؟ اعمل لله، واسأله القبول، ولا تغترّ بكثرة من يمدحونك، فإن مدح الناس لا يدل وحده على قبول العمل.

جرب أن تجعل لك طاعة من النوافل لا يعلم بها أحد من الناس، ما دام إخفاؤها لا يُضيّع حقا ولا يُخالف مصلحة شرعية. صدقة تخفيها، أو ذكر تداوم عليه، أو دعاء في جوف الليل، أو مساعدة

تقدّمها لمحتاج دون أن تنتظر منه شكرا. فإن العمل الصالح الخفي من أبواب تربية النفس على الإخلاص.

ولا تظن أن الإخلاص يقتضي أن تعتزل الناس أو تترك الدعوة والتعليم ونشر الخير خوفا من الرياء. بل المطلوب أن تُصلح نيتك وأنت تعمل، سواء كنت وحدك أو بين ألف إنسان. فقد يكون إظهار العمل الصالح نافعا للتعليم والتشجيع والقدوة الحسنة، والعبرة بصلاح النية وموافقة العمل للشرع.

من أشق ما تجاهد به نفسك أن تعمل ولا يُذكر اسمك، وأن تُحسن ولا يعرف الناس إحسانك، وأن تُعطي ولا تجد من يشكرك، ثم

تستمر في الخير ابتغاء مرضاة الله. ولا يمنعك ذلك من طلب حق ثابت لك، ولكن لا تجعل غياب الثناء سببا لترك الإحسان.

وإذا وجدت في نفسك حبا للمدح والظهور، فلا تيأس ولا تترك الطاعة، بل جاهد هذا الميل وجدّد نيتك. واعلم أن الإخلاص يحتاج إلى مراقبة ومحاسبة، وأن العبد ينبغي أن يخاف على نفسه من الرياء دون أن يَقنَط من رحمة الله.

وأخيرا، اسأل نفسك وحدك، ولا تحتج إلى أن تُجيب أحدا: لو اختفى كل مدح، وكل إعجاب، وكل شكر، وكل تصفيق، فهل سأبقى مُقبِلا على طاعة الله وفعل الخير؟ وإن وجدتَ أن همتك قد

تضعُف بغياب الثناء، فلا تجعل ذلك سببا لليأس، بل اجعله دافعا إلى إصلاح نيتك وتربية قلبك.

أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يُطهّر قلوبنا من الرياء والعجب والكِبر، وأن يجعل همنا طلب رضاه لا طلب مدح الناس، وأن يتقبّل منا صالح أعمالنا، ويثبّتنا على طاعته حتى نلقاه وهو راض عنا.

خبيئة بينك وبين الله: أسرار الإخلاص

هل لك سر من الخير لا يعلم به أحد من الناس؟ هل لك طاعة تخفيها عن أعين الخلق، لا تبتغي بها إلا مرضاة الله؟ ما أجمل أن يكون للعبد عمل صالح لا يحدّث به قريبا ولا بعيدا، يرجو ثوابه من الله وحده.

اجعل بينك وبين الله خبيئة من الطاعات، صدقة تُخفيها، أو ذكرا تُداوم عليه، أو دعاء في جوف الليل، أو معروفا تصنعه لإنسان دون أن تنتظر منه شكرا. وإنما أحدثك عن الطاعات التي يَحسن إخفاؤها، فليس إخفاء كل عمل صالح أفضل في كل حال.

والله، إن للإخلاص حلاوة يجدها من وفقه الله إليه. وقد تزداد حلاوة بعض الطاعات في قلب صاحبها لأنها بقيت سرا لا يعلم به الناس. ولكن لا تجعل وجود هذه الحلاوة شرطا لصحة إخلاصك، فقد يكون العبد مخلصا ولا يجد في نفسه لذة خاصة.

يا لها من راحة حين تصنع خيرا ثم تمضي، لا تنتظر شكرا ولا ثناء، وإنما تستحضر أنّ الله يعلم ما صنعت. فلا تجعل قيمة عملك عندك مرتبطة بمعرفة الناس به، بل احرص على صلاحه واسأل الله أن يتقبله منك.

كلما مالت نفسك إلى أن يراك الناس ويمدحوك، فذكّرها بأن الله يعلم عملك ونيتك. واسألها: لماذا أحرص على ثناء الخلق؟ وهل

كنت سأفعل هذا الخير لو لم يعلم به أحد؟ فإن وجدت في نفسك ميلا إلى الظهور، فجاهدها على الإخلاص، ولا تيأس من إصلاحها.

ما أعظم راحة القلب حين يتخلص من التعلق بمدح الناس وذمهم. فلا يترك الخير لأن أحدا لم يشكره، ولا يغترّ بعمله لأن الناس أثنَوا عليه. يعمل لله، ويرجو ثوابه، ويعلم أن الله مطّلع على سره وعلانيته، وأن الله لا يُضيع أجر من أحسن عملا.

ولكن انتبه إلى أمر مهم: قد يأتيك الشيطان من باب الخوف على الإخلاص، فيوسوس لك: «لا تتصدق، فقد يراك الناس. ولا تدع إلى الخير، فقد تحب الظهور. ولا تعلّم أحدا، فقد تطلب المدح».

فاحذر أن تجعل مجرد الخوف من الرياء سببا لترك الطاعة. اعمل، وأصلح نيتك، واستعن بالله.

قد يعجِز الشيطان عن صدّك عن الطاعة بالكسل، فيحاول صدّك عنها بالوسوسة في نيتك. فكلما هممت بخير، ألقى في نفسك الخوف من أن تكون مُرائيا، حتى تتردّد وتترك العمل. فلا تستسلم لهذه الوساوس، ولا تجعلها تقطعك عن أبواب الخير.

لا تقل: «أخشى الرياء، فأترك الصدقة والدعوة والتعليم وسائر الأعمال الصالحة». بل قل: «سأعمل لله، وأراقب نيتي، وأستغفر الله من تقصيري، وأجاهد نفسي كلما مالت إلى طلب المدح

والثناء». فإذا وجدت في نيتك خللا، فاسع إلى إصلاحها، ولا تجعل ذلك ذريعة إلى هجر الطاعة.

واعلم أن إظهار العمل الصالح ليس رياء بمجرد أن الناس يرونه، فقد تُظهره لتعلّم جاهلا، أو تشجع متكاسلا، أو تدلّ غيرك على الخير. وقد تُخفي عملا وتكون في نفسك تتمنى أن يعرف الناس أنك أخفيته. فليست العبرة بمجرد الظهور أو الخفاء، بل بالنية وموافقة العمل للشرع.

يا طالب الإخلاص، لا تكن أسيرا لأنظار الناس، تلتفت إليهم بعد كل عمل، وتنتظر منهم مدحا أو شكرا. فإن كثرة الالتفات إلى ثناء

الخلق قد تُشغِل القلب عن إصلاح نيته. اعمل، وتواضع، واسأل الله القبول، ولا تجعل مدح الناس غايتك.

أما آن لهذا القلب أن يخشع؟ أما آن لهذه النفس أن تتخلص من أَسْر المدح والظهور؟ أما آن للعبد أن ينظر إلى نيته قبل أن ينظر إلى ثناء الناس عليه؟ قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

اللهم طهّر قلوبنا من الرياء والعجب وحب المدح والظهور، وارزقنا إخلاصا لا تُفسده رغبتنا في ثناء الناس، واجعل سرائرنا خيرا من علانيتنا، وأعمالنا خالصة لوجهك الكريم، وأعنّا على طاعتك والثبات عليها حتى نلقاك وأنت راض عنا.

التحرر من التعلق بمدح الناس ورضاهم

يا طالب الطريق إلى الله، قد تكون محافظا على الصلاة والذكر، حريصا على الطاعة، ومع ذلك تجد في قلبك اضطرابا وضيقا. وقد يكون من أسباب ذلك شدة تعلقك بمواقف الناس منك، وانشغالك بكلماتهم ونظراتهم واهتمامهم وإعراضهم. فاسأل نفسك: كم من وقتك وراحة قلبك يذهب في التفكير فيما يظنه الناس بك؟

من أهم ما يحتاج إليه سالك الطريق أن يتعلّم مخالطة الناس دون أن يجعل رضاهم غايته. يحب لهم الخير، ويحسن إليهم، ويحفظ حقوقهم،

ويستأنس بمودتهم، ولكنه لا يجعل مدحهم ميزانا لقيمته، ولا يسمح لإعراضهم أن يصرفه عن واجباته وأعماله الصالحة.

تأمل حالك: قد تسمع كلمة مدح فتفرح بها فرحا شديدا، ثم تسمع انتقادا فتبقى تفكر فيه ساعات. وقد تنتظر رسالة فلا تصل، أو ترجو اهتماما فلا تجده، فتُعكّر على نفسك صَفو يومك، وتقضي وقتا طويلا في الحزن والتفكير. لا حرج في أن تفرح بالمودّة وتحزن للجفاء، ولكن احذر أن تكون تصرفات الناس هي التي تتحكم في حياتك.

إلى متى تنتظر من الناس أن يقدّروك بالطريقة التي تريدها، وأن يهتموا بك في الوقت الذي تختاره، وأن يذكروا فضلك في كل

موقف؟ الناس لهم أشغالهم وهمومهم، وقد ينسون أو ينشغلون دون أن يقصدوا إهانتك. فلا تحمل كل تأخر على أنه إهمال، ولا كل صمت على أنه احتقار.

بعض الناس يُتعب نفسه طوال اليوم في تحليل تصرفات الآخرين: لماذا لم يسلّم عليّ؟ لماذا لم يدعُني؟ لماذا مدح فلانا ولم يمدحني؟ لماذا لم يرد على رسالتي؟ وقد لا يكون لشيء من ذلك معنى سيئ أصلا. فلا تبن أحكامك على الظنون، ولا تُضيّع ساعاتك في تفسير أمور لا تعلم حقيقتها.

ومن حسن تربية النفس أن تتعلّم ألا تطلب الاهتمام من كل أحد. فليس كل من تعرفه صديقا مقرّبا، ولا كل من أحسنت إليه

سيقابلك بمثل إحسانك. ولكن هذا لا يعني أن تُهمل حاجتك الطبيعية إلى المودّة والصحبة الصالحة، بل أن تضع لعلاقاتك توقعات معتدلة.

وإذا أحسنت إلى إنسان فلم يشكرك، فلا تجعل عدم شكره سببا للندم على فعل الخير. واعلم أن من حسن الخُلق أن يشكر الإنسان من أحسن إليه، ولكن تقصير غيرك في الشكر لا ينبغي أن يحملك على ترك الإحسان. وإن كان لك حق ثابت، فلك أن تطلبه بالوجه المشروع.

وانتبه إلى نفسك عندما ينجح غيرك أو يحظى بالتقدير. هل تفرح له وتتمنى له المزيد من الخير؟ أم تبدأ بالبحث عن عيوبه لتقلّل من

قدره؟ إن الفرح بخير الآخرين من الأخلاق الحسنة، وأما الحسد وانتقاص الناس لأنهم نالوا ما تتمناه فهما مما ينبغي مجاهدة النفس على تركه.

ومن أهم ما يُعينك على التحرّر من التعلق بالمدح أن تتعلّم قبول النقد دون أن تجعله حكما نهائيا على شخصيتك. فإذا انتقدك أحد، فانظر في كلامه: إن كان حقا فانتفع به وأصلح خطأك، وإن كان باطلا فلا تقبله لمجرد أن قائله تكلم بثقة. ولا تجعل رغبتك في رضا الناس تمنعك من التمسك بالحق.

ولا تخلط بين التحرر من التعلق برضا الناس وبين الاستهانة بحقوقهم ومشاعرهم. فليس معنى أن تطلب رضا الله أن تُسيء إلى الناس ثم

تقول: «لا يهمني رأي أحد». بل أدّ الحقوق، واعتذر إذا أخطأت، واستمع إلى النصيحة، واحرص على حسن المعاملة، دون أن تجعل رضا الخلق مقدّما على طاعة الخالق.

وقد يحتاج الإنسان إلى أن يضع حدودا في علاقاته، فلا يستجيب لكل طلب، ولا يُرضي كل أحد على حساب واجباته وصحته وحقوق أهله. فتعلّم أن تعتذر بأدب عما لا تستطيعه أو لا يلزمك، ولا تظن أن كل من غضب منك قد ظلمته. والميزان في ذلك أن تؤدّي ما يجب عليك، وأن تتصرف بالعدل والحكمة.

وإذا لم يخترك الناس لمنصب، أو لم يقدّموك في مجلس، أو لم يستشيروك في أمر، فلا تجعل ذلك سببا للعداوة والقطيعة. فقد

يكون لهم عذر أو رأي آخر، وقد يكون في الأمر تقصير منهم. فانظر بإنصاف، وعالج الخلاف بالحكمة، ولا تجعل حب المنزلة يقودك إلى الظلم.

ومن الراحة التي يجدها الإنسان أن يتعلّم التفريق بين ما يملِكه وما لا يملِكه. فأنت تملِك أن تُحسِن كلامك وتصرّفك، وأن تعتذر عن خطئك، وأن تبذل ما تستطيع من الخير. ولكنك لا تملِك أن تُلزِم كل إنسان بمحبتك، أو أن تجعل جميع الناس راضين عنك. فلا تكلّف نفسك ما لا تقدر عليه.

يا طالب الطريق، لا تجعل قلبك مَيْدانا تتنازعه كلمات الناس ونظراتهم. تعلّم أن تفرح بالمدح دون غرور، وأن تنتفع بالنقد دون

يأس، وأن تُحسن إلى الناس دون أن تجعل شكرهم شرطا لإحسانك. واجعل رضا الله أعظم مطالبك، واسأله أن يُعينك على حسن معاملة خلقه.

يا أهل الطريق، يا أهل المحبة، يا أهل الصدق والإخلاص، امضوا في طريقكم إلى الله. أصلحوا سرائركم، وجاهدوا نفوسكم، وأكثروا من ذكر ربّكم، وأحسنوا إلى الناس، ولا تجعلوا مدح المادحين ولا ذم الذامين يصرفكم عن طاعة الله والعمل بالحق.

اللهم طهّر قلوبنا من الرياء والعُجب وحب الظهور، ومن التعلّق المذموم بالخلق، واجعلنا من عبادك المخلصين، وارزقنا قلوبا سليمة،

ونفوسا مطمئنة، وحسن الخُلق مع الناس، والثبات على طاعتك حتى الممات.

الحسد: حقيقته وأسبابه وعلاجه

يا سالك الطريق إلى الله، من أمراض القلب الخطيرة الحسد، وهو أن يتمنى الإنسان زوال النعمة عن المسلم. وتكون المعصية بذلك إذا سعى في إزالتها بقول أو فعل، أما إذا لم يسع فلا تُكتب عليه معصية بهذا الاعتبار، وإن كان يُسمى حسدا. فاحذر أن يستقر هذا الميل في قلبك، وجاهد نفسك على التخلص منه.

ومن أعجب أحوال الحسد أن صاحب النعمة قد يكون مرتاحا لا يعلم بما يجري في قلب غيره، بينما الحاسد يُتعب نفسه بمراقبته

ومقارنة حاله بحاله. وقد يضيق صدره كلما رأى نعمة عنده، حتى يتمنى زوالها، وربما سعى إلى ذلك بالقول أو الفعل.

اسأل نفسك بصدق: لماذا يضيق صدري عندما ينجح غيري؟ لماذا أتألم إذا أثنى الناس عليه؟ ولماذا أجد في نفسي شيئا من الراحة إذا تعثّر؟ ليس كل ضيق عابر حسدا محرما، ولكن هذه المشاعر تدعوك إلى مراقبة قلبك ومجاهدة نفسك.

وقد يبدأ الأمر بمقارنة متكررة: لماذا هو أنجح مني؟ لماذا يحبه الناس أكثر مني؟ لماذا نال ما لم أنله؟ ثم تتحول المقارنة إلى ضيق وكراهية، وربما إلى تمني زوال النعمة. فلا تجعل نجاح غيرك سببا للاعتراض والحقد، بل اشتغل بما ينفعك.

ومن الأسباب التي قد تُغذّي الحسد حب التفوّق على الناس، والكِبر، والمنافسة المذمومة، والعداوة، وكثرة المقارنة. وقد يكون ضعف الثقة بالنفس من أسبابه عند بعض الناس، فيرى الإنسان نجاح غيره كأنه دليل على فشله، مع أن نعمة غيره لا تعني أنه محروم من الخير.

بعض الناس لا يشتغل بتحسين حاله بقدر ما يشتغل بالانتقاص من غيره. فإذا رأى إنسانا ناجحا بحث عن عيب فيه، وإذا سمع من يمدحه حاول أن يقلّل من قدره. وهكذا يترك ما ينفعه من إصلاح نفسه، ويَشغلها بما يضره من الحقد والانتقاص.

وقد يجد الحاسد راحة عابرة إذا سمع بتعثّر من يحسُده، أو رأى الناس ينتقصون منه. ولكن هذه الراحة لا تُصلح قلبه ولا تُزيل أسباب حسده، بل قد يعود إلى مراقبة غيره ومقارنة نفسه به مرة بعد مرة.

ومن علامات الخطر أن تجد نفسك تبحث عن عيوب إنسان كلما ذكر الناس محاسنه، أو تسارع إلى اتهام نيته كلما فعل خيرا، فتقول: «إنما يفعل ذلك لغرض»، دون دليل صحيح. فاحذر أن يجرّك الحسد إلى سوء الظن والغيبة والظلم.

لا تجعل نجاح أخيك ميزانا تحكم به على نفسك بالفشل. فرزقه ليس دليلا على حرمانك، ومحبة الناس له ليست إهانة لك، وتوفيق

الله له في أمر لا يعني أن أبواب الخير قد أُغلقت في وجهك. فاسأل الله من فضله، وابذل الأسباب المشروعة لتحسين حالك.

إذا رأيت من هو أعلم منك، فلا تحسده، بل تعلّم منه. وإذا رأيت من هو أنجح منك، فلا تسع إلى هدمه، بل اجتهد في عملك. وإذا رأيت من يحبه الناس، فلا تُشوّه سمعته لتقلل من مكانته، بل احرص على إصلاح أخلاقك وحسن معاملتك.

ومن علاج الحسد أن تدعو لصاحب النعمة بالبركة، وأن تسأل الله أن يرزقك من فضله. فقل: «اللهم بارك له، وارزقني من فضلك». واعلم أن الغِبطة غير الحسد، فالغِبطة أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي عند غيرك دون أن تتمنى زوالها عنه، فيما يجوز طلبه.

ومن أول خطوات العلاج أن تكون صادقا مع نفسك. فإذا وجدت في قلبك تمنيا لزوال نعمة عن مسلم، فلا تبرّر هذا الميل ولا تسترسل معه. وإذا حدثتك نفسك بانتقاصه، فامنعها من الظلم واذكر محاسنه بالصدق. وإذا ضاقت بنعمته، فادع له بالبركة. وإذا شغلتك بمقارنة نفسك به، فاشتغل بما ينفعك من إصلاح نفسك.

ومن علاج الحسد أن تتذكّر نِعم الله عليك. فقد تنظر إلى نِعمة عند غيرك وتنسى نِعما كثيرة أنعم الله بها عليك. فاشكر الله على ما أعطاك، واسأله ما تحتاج إليه من الخير، ولا تجعل مقارنة نفسك بالآخرين تصرفك عن شكر نِعمه.

وتذكّر أنّ ما يجري في الكون بمشيئة الله، وأن الأرزاق والنِعم بتقديره. فلا تعترض على ما قدّره الله من نِعمة لغيرك، ولا تظن أنك لا تستطيع تحسين حالك. بل ارض بقضاء الله، واسع في طلب الخير بالطرق المشروعة.

وإياك أن يحملك الحسد على الوقوع في أعراض الناس، أو تتّبع عوراتهم، أو نشر زلاتهم، أو السعي إلى زوال نعمهم. فإنك إذا استرسلت مع ما في قلبك حتى ظلمت غيرك، جمعت إلى مرض القلب معاصي أخرى.

وأخيرا، لا تطلب راحتك في سقوط الآخرين. ارفع نفسك بالعلم والعمل الصالح، ولا تسع إلى هدم غيرك، وأصلح قلبك بدلا من

الانشغال بمراقبة نِعم الناس. فالقلب الذي امتلأ رضا بالله لا يحتاج أن تنطفئ مصابيح الناس حتى يشعر أنه مضيء.

اللهم طهّر قلوبنا من الحسد والحقد والكبر، وارزقنا الفرح بالخير الذي تُنعِم به على عبادك، وأعنّا على شكر نِعمك، واجعلنا من المتحابين فيك، ووفقنا لإصلاح قلوبنا وأخلاقنا، وثبتنا على طاعتك حتى الممات.

الاستعاذة من الحسد وأذى الحاسدين

يا طالب الطريق إلى الله، قد يبتليك الله بمن يضيق صدره لنجاحك، أو يحزن لتقدمك، أو يسعى إلى الإساءة إليك لأنه لا يحب أن يرى نعمة الله عليك. فلا تجعل خوفك من أذى الناس يصرفك عن الخير، واستعذ بالله من شر الحاسدين والظالمين.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. فاستعذ بالله من شر الحسد وأهله، واحرص على قراءة المعوذتين والأذكار المشروعة. ولا تظن أن كل من انتقدك حاسد، أو أن كل من خالفك يُضمِر

لك الشر، فإن سوء الظن بالناس قد يُفسد عليك قلبك وعلاقاتك.

وقل داعيا ربّك: «اللهم إني أعوذ بك من شر كل حاسد إذا حسد، ومن شر من يريد بي سوءا. اللهم احفظني بحفظك، واصرف عني شر الحاسدين وكيد الكائدين، وبارك لي فيما رزقتني، واحفظ عليّ نِعمك، واجعلني وأهلي ومَن أحب في حفظك وأمانك، إنك خير حافظ وأنت أرحم الراحمين».

وقد تجد من يضيق صدره إذا سمع الناس يمدحونك، فيُسارِع إلى ذكر عيوبك، أو يُضخّم خطأ صغيرا ليقلل من قدرك. فإن وقع

ذلك، فلا تقابل الظلم بالظلم، ولا تجعل كلامه يُفسد عليك عملك وراحتك.

وقد يأتيك من يُظهر لك النصح وهو يريد تثبيطك وإضعاف همتك. ولكن لا تحكم على نيته بغير دليل. بل انظر في كلامه: فإن كان صوابا فانتفع به، وإن كان باطلا فلا تقبله، ولا تجعل قائله يصرفك عما ينفعك.

واحذر ممن يكرر تثبيطك ويسعى إلى إضعاف ثقتك بقدرتك على العمل النافع. فكم من إنسان ترك عملا نافعا لأنه صدّق من قال له: «لن تستطيع». والحكمة أن تعرف قدراتك، وتستشير أهل

الخبرة، وتأخذ بالأسباب، ولا تجعل كلام المثبّطين وحده ميزانا لما تستطيعه.

وليس كل من انتقدك أعلم منك، ولا كل من استصغرك عرف حقيقتك. فامض فيما يُرضي الله، وأصلح نفسك، واقبل النصيحة الصادقة، ولا تجعل الحسد والحقد والتثبيط تصرفك عن طريق الخير.

ولا تعط كلام من أساء إليك أكثر من حجمه. فقد يقول إنسان كلمة في دقيقة، ثم تبقى أنت تفكّر فيها أياما وشهورا. فلا تجعل كلمة جارحة تسيطر على تفكيرك، وتعكّر صَفو حياتك، وتحرِمك من راحة البال.

وإذا علمت أن إنسانا يغتابك أو يفتري عليك، فلا تجعل ذلك سببا للتعدّي عليه. وإن كان في كلامه ضرر يحتاج إلى دفع، فادفعه بالطرق المشروعة، وبيّن الحق بقدر الحاجة، واحذر أن يحملك الغضب على الكذب أو البُهتان.

ولا تجعل مراقبة الحاسدين شغلك الشاغل. فليس المطلوب أن تعيش خائفا من كل نظرة، أو تتهم كل من حولك بالحسد. بل المطلوب أن تحفظ قلبك من الظنون، وتحفظ نفسك من الأذى بالأسباب المشروعة، وتستعن بالله في أمورك.

يا طالب الطريق، لا تجعل من يريد تثبيطك يحكم على مستقبلك، ولا تجعل من يسعى إلى الإساءة إليك يسلُب منك راحة قلبك.

فاستعن بالله، وأصلح نيتك، واستمر في العمل الصالح، وتذكّر أن العبرة ليست بكثرة من يمدحك أو يذمك، بل بما أنت عليه من الحق والطاعة.

اللهم من أراد بنا سوءا فاصرفه عنا، واحفظنا من شر الحاسدين والظالمين، وطهّر قلوبنا من الحقد والعداوة، وأعنّا على حسن معاملة خلقك، والثبات على طاعتك.

النكد، وإساءة الظن، وخسارة الناس من حولك.

ليس كل من يَنفِر الناس منه إنسانا سيئا، فقد يكون طيّب القلب، كثير الخير، ولكنه يُتعب من حوله بكثرة تذمّره، وسوء ظنه، وصعوبة

إرضائه. فالطيبة وحدها لا تكفي إذا كانت معاملتك تنفّر الناس منك.

بعض الناس لا يكاد يمر عليه يوم دون شكوى. هناك من لو قدّمت له عشرة أمور، أعجبته تسعة منها، لترك التسعة وانشغل بالعاشر الذي لم يعجبه. إن زرته اشتكى، وإن اتصلت به تذمّر، وإن أحسنت إليه بحث عما يَنقص إحسانك، حتى يصير اللقاء به عبئا على النفوس بعد أن كان يُفترض أن يكون سببا للمودّة والسرور.

قد تكون أنت السبب في ابتعاد الناس عنك وأنت لا تشعر. تغضب لأبسط الأمور، وتحاسب على كل كلمة، وتفسر التصرفات بأسوإ الاحتمالات، ثم تتساءل: «لماذا لا يزورني أحد؟ لماذا لا

يتصل بي أحد؟» قبل أن تلوم الناس، راجع طريقة تعاملك معهم، فلعلهم ابتعدوا هربا من النكد الذي يجدونه عندك.

من المؤلم أن يعيش أهل البيت في خوف دائم من مِزاج أحد أفراد الأسرة. لا يعرفون متى يغضب، ولا ما الذي سيزعجه، ولا كيف سيفسّر كلامهم، حتى تصبح راحتهم مرتبطة بغيابه، ويتنفسون الصُّعداء عندما يخرج من البيت. يا لها من خسارة أن يكون الإنسان مصدر قلق لأقرب الناس إليه، بدل أن يكون مصدر أمان وطمأنينة.

النكد والتذمّر وسوء الظن من الأخلاق التي قد تُفسد الزواج، وتقطع الأرحام، وتُفرّق الأصدقاء، وتُضعف الجماعة والدعوة إلى

الله. وعلاجها ممكن بمجاهدة النفس وتغيير الطباع، حتى تُصبح شخصا ترتاح النفوس إلى مجالسته.

هناك من لو دعوته إلى طعام انتقد الطعام، وإن أخذته في رحلة انتقد المكان، وإن قدّمت له هدية بحث عما يَنقُصها. هذا الإنسان لا يُتعب نفسه فقط، بل يحرِم من حوله من الاستمتاع بالأشياء الجميلة. تعلّم أن ترى الجميل، ولا يكن شغلك الشاغل البحث والتنقيب عن العيوب والنواقص، وتعلّم أن تشكر قبل أن تنتقد.

بعض الناس لا تستطيع أن تتكلم معه بعفوية. تحسب ألف حساب قبل أن تنطِق بكلمة، لأنه قد يفهمها على غير مرادك، ويغضب، ويحمل في قلبه، وربما يقاطعك أياما. يا أخي، ليس كل كلام يحتاج

إلى تحليل، ولا كل عبارة تحتمل الإهانة. ولا تحوّل حياتك إلى خصومات مُستمرّة.

سوء الظن يُعذّب صاحبه. تأخر صديقك في الرد على رسالتك، فقلت في نفسك: «إنه يتجاهلني» لم يدعك قريب إلى مناسبة، فقلت: «إنه يحتقرني» رأيت اثنين يتحدثان، فظننت أنهما يتكلمان عنك. وهكذا تعيش في الأوهام، ثم تتألم بسبب أحداث لم تقع أصلا. كم من إنسان أفسد راحته بتفسيرات لا دليل عليها. أحسن الظن ما استطعت، ولا تجعل خيالك عدوا لسعادتك.

لا تجعل الناس أسرى لمزاجك. لا ينبغي أن تجعل من حولك يدفعون ثمن كل ضيق يُصيبك. إن كنت مُتعبا، فليس معنى ذلك أن تغضب

على الجميع، وإن كنت حزينا، فليس من حقك أن تكسر قلب من يحبونك. تعلّم أن تقول: «أنا متضايق اليوم وأحتاج إلى بعض الراحة». هذه الكلمات البسيطة خير من أن تحوّل البيت إلى ساحة توتر، ثم تطلب من الجميع أن يتحملوا سوء خلُقك.

النكد في الحياة الزوجية: قد يكون الزوج صالحا في عبادته، أو تكون الزوجة محافظة على دينها، ولكن كثرة التذمّر والانتقاد وسوء الظن تجعل الحياة الزوجية شديدة الصعوبة. كل حديث يتحوّل إلى عتاب، وكل خطأ صغير يُصبح قضية كبيرة، وكل مناسبة سعيدة يُفسدها خلاف. تذكر أن الزواج ليس محكمة يبحث فيها كل طرف عن أخطاء الآخر، بل حياة تحتاج إلى رحمة وتسامح وتغافل. لا تجعل

شريك حياتك يشتاق إلى الهدوء أكثر من اشتياقه إلى الجلوس معك.

بعض الناس يشكو قائلا: «لا أحد يسأل عني، ولا أحد يزورني، ولا أحد يهتم بي» ولكنه إذا اتصل به أحد أثقله بالشكوى والعتاب، وإذا زاره أحد أمطره بالانتقادات، وإذا اعتذر له عن التأخر لم يقبل عذره. ثم يستغرب لماذا قلّت الاتصالات والزيارات. يا أخي، الناس يحبون من يجدون عنده الراحة، فلا تجعل كل اتصال بك مناسبة للمُحاسبة والتوبيخ.

ليس معنى أن شخصا يحبك أنه مطالب بأن يتصل بك كل يوم، أو يزورك كل أسبوع، أو يخبرك بكل تفاصيل حياته. للناس أعمال

ومسؤوليات وهموم لا تعرفها. فلا تجعل محبتك لهم وسيلة للضغط عليهم، ولا تقس مكانتك في قلوبهم بعدد الرسائل والاتصالات. المحبة الحقيقية فيها سعة صدر، وليست سِجلا يُسَجّل فيه من اتصل ومن تأخر ومن اعتذر.

الحقد يبدأ أحيانا بسوء فهم. كم من صداقة انتهت بسبب كلمة لم يُقصد بها الإساءة. وكم من قريبين تقاطعا بسبب موقف فسره أحدهما على غير حقيقته. تبدأ القصة بسوء فهم، ثم يأتي سوء الظن، ثم الغضب، ثم تتراكم الضغائن حتى يصعب الإصلاح. لو أن أحدهما سأل الآخر بهدوء: «ماذا قصدت بكلامك؟» لربما

انتهى الأمر في دقائق. فلا تسمح لتفسير خاطئ أن يهدم علاقة بنيتها خلال سنوات.

بعض الناس يحتفظ في ذاكرته بكل إساءة تعرّض لها، ولو مضت عليها عشر سنوات. فإذا وقع خلاف جديد، فتح دفاتر الماضي وأخرج كل ما فيها، وكأنه لا يريد أن ينسى للناس خطأ، ولا أن يسمح لهم بالتغير. يا أخي، إذا اعتذر إليك إنسان وصفحت عنه، فلا تجعل اعتذاره مجرّد استراحة بين محاكمتين. تعلّم أن تَطوي الصفحات، فإن القلب الذي يحمل كل شيء يُصبح مثقلا لا يعرف الراحة.

النكد ينغّص جمال المناسبات. قد تجتمع العائلة في مناسبة سعيدة، فيأتي شخص لا يرى إلا ما يزعجه: «لماذا جلس فلان هناك؟ لماذا لم يقدّموا لي الطعام أولا؟ لماذا لم يسألني فلان؟ لماذا لم يستقبلوني كما أريد؟» فيحوّل المناسبة إلى سلسلة من الشكاوى. يا أخي، تعلّم أن تستمتع باللحظات الجميلة، ولا تجعل التفاصيل الصغيرة تُنغّص عليك وعلى غيرك فرحة اللقاء.

سوء الظن يمزّق العائلات. قد تبدأ القطيعة بين الإخوة بسبب ظن لا أساس له: «فلان يريد الاستيلاء على حقي، وفلانة تُحرّض أمي عليّ، وأخي لا يحب أولادي، وأختي تغار مني» ثم تنتقل هذه الظنون إلى الزوجات والأزواج والأولاد، فتتحوّل العائلة الواحدة

إلى عائلات متخاصمة. اتق الله في أرحامك، ولا تنقل الشكوك إلى أبنائك حتى لا تُوَرثهم عداوات لم يعرفوا أسبابها.

خطر سوء الظن على الجماعة والدعوة. من أخطر ما يُضعف الجماعات الدعوية أن يَكثر بين العاملين سوء الظن. يتأخر أحدهم عن اجتماع فيتهمونه بالتقصير، ويقترح آخر فكرة فيظنون أنه يريد الزعامة، وينجح ثالث فيشكّكون في نيته. وهكذا تضيع الطاقات في تفسير المقاصد بدلا من إنجاز الأعمال. إن الدعوة تحتاج إلى الثقة والتعاون والإنصاف، ولا ينبغي أن تَجعل الظنون بديلا عن الحقائق، ولا الخلافات الشخصية سببا لتفريق الإخوة.

ليس كل اختلاف عداء. قد يخالفك صديقك في رأي، أو لا يوافقك على اقتراح، أو ينصحك بتغيير تصرف، فتظن أنه لم يعد يحبك. لماذا؟ هل تريد من الناس أن يوافقوك في كل شيء حتى تطمئن إلى محبتهم؟ تعلّم أن الاختلاف في الرأي لا يعني فساد القلوب، وأن النصيحة ليست إهانة، وأن الصديق الصادق قد يقول لك ما لا تحب سماعه لأنه يريد لك الخير.

احذر من نقل النكد إلى أولادك. إذا كان الأب أو الأم كثير التذمّر، دائم الشكوى، يُسيء الظن بالأقارب والجيران والأصدقاء، فقد يتعلّم الأولاد هذه الطريقة في التفكير دون أن يشعروا. فينشؤون وهم يتوقّعون الإساءة من الناس، ويصعب عليهم الوثوق

بالآخرين، ويُكثرون من الانتقاد. انتبه، فأنت لا تُربي أولادك بالكلام فقط، بل بما يرونه منك كل يوم. اجعلهم يتعلّمون منك الشكر وحسن الظن والإنصاف.

لا تفسر الصمت على أنه احتقار. دخلت مجلسا فلم يسلّم عليك أحد بالطريقة التي توقعتها، فظننت أنهم لا يحترمونك. تكلمت فلم يُعلّق أحد، فقلت إنهم لا يهتمون بك. أرسلت رسالة قصيرة فجاءك الرد مختصرا، فاعتبرته جفاء. يا أخي، قد يكون الناس مُتعبين أو مشغولين أو مهمومين. ليس كل تصرف يتعلق بك، وليس كل صمت يحمل رسالة خفية. أرِح نفسك من كثرة التأويلات.

لماذا ترتاح النفوس إلى بعض الناس؟ تجد إنسانا إذا جلست معه شعرت بالراحة، لا تخاف رد فعله، ولا يفتش عن عيوبك، ولا يحاسبك على كل كلمة. يبتسم، ويُحسن الاستماع، ويلتمس الأعذار، ويعرف متى يتغافل. وقد لا يكون أغنى الناس ولا أعلمهم، ولكن الناس يحبون مجالسته. فتعلّم منه أن حسن المعاشرة نعمة عظيمة، وأن راحة الناس معك قد تكون أثمن من إعجابهم بكلامك.

حسن الظن لا يعني السذاجة. عندما ندعوك إلى حسن الظن، لا نطلب منك أن تتجاهل الأدلة، أو تثق بمن ثبتت خيانته، أو تسمح لأحد أن يظلمك. إنما نطلب منك ألا تتهم الناس بلا بينة، وألا

تحمل كلامهم على أسوإ المعاني دون سبب معتبر. كن حكيما، تثبّت من الأخبار، واحفظ حقوقك، وضع الحدود المناسبة عند الحاجة، ولكن لا تجعل الشك والريبة الأصل في كل علاقة.

تعلّم فن التغافل. ليس كل خطأ يستحق عتابا، ولا كل كلمة تستوجب ردا، ولا كل موقف يحتاج إلى مواجهة. من الحكمة أن تعرف متى تتكلم ومتى تتجاوز. قد ترى من قريبك تصرفا لم يعجبك، فتختار أن تتغافل عنه حفاظا على المودّة، ما دام لا يتضمن ظلما أو ضررا يستوجب المعالجة. التغافل ليس ضعفا، بل قدرة على التمييز بين ما يستحق الاهتمام وما ينبغي تركه.

خطوات عملية لعلاج النكد: إذا كنت سريع التذمّر، فابدأ بتغيير عاداتك اليومية. قبل أن تنتقد، اذكر شيئا جميلا. وقبل أن تتهم، اسأل عن الحقيقة. وإذا غضبت فأخّر الكلام حتى تهدأ. وإذا أحسن إليك أحد، فاشكره بوضوح. وإذا أخطأت في حق شخص، فاعتذر دون تبرير طويل. وحاول كل يوم أن تتجاوز عن مواقف صغيرة دون أن تعلّق عليها بسلبية. ومع الاستمرار ستجد أنك أصبحت أهدأ، وأن الناس صاروا أكثر ارتياحا في التعامل معك.

أنت تستطيع أن تغير شخصيتك. لا تقل: «أنا هكذا منذ صغري، ولن أتغير» ولا تجعل طباعك عذرا لإيذاء الناس. نعم، قد يكون تغيير العادات صعبا، ولكنه ممكن بالمجاهدة والتدريب والمحاسبة.

ابدأ بأقرب الناس إليك، واجعلهم يلاحظون الفرق في معاملتك. كن أقل شكوى، وأكثر شكرا، وأسرع اعتذارا، وأوسع صدرا. ولا تنتظر أن يتغيّر الجميع حتى تتحسّن حياتك، بل ابدأ بنفسك، فقد يكون تغيّرك سببا في إصلاح علاقات كثيرة.

لا تكن إنسانا يهرُب الناس من مجالسته. اسأل نفسك اليوم: «هل يفرح أهلي عندما أجلس معهم؟ هل يرتاح أصدقائي عندما أتصل بهم؟ هل يستطيع الناس أن يتكلموا أمامي بعفوية دون خوف من غضبي وسوء ظني؟» هذه أسئلة ينبغي أن تُجيب عنها بصدق. فإن وجدت خللا، فلا تيأس، بل ابدأ بإصلاحه، فإن من أجمل ما يتركه الإنسان في قلوب الناس حسن المعاشرة وطيب الذكر.

لا تخسر الناس بسبب أمور صغيرة. كم من إنسان خسر صديقا وفيا بسبب كلمة. وكم من أخ قاطع أخاه بسبب ظن. وكم من زوج أفسد حياته بكثرة الانتقاد. لا تجعل الأمور الصغيرة أكبر من العلاقات العظيمة. تذكّر أن الناس ليسوا ملائكة، وأنك أنت أيضا تُخطئ وتحتاج إلى مَن يسامحك. فارحم ضعفهم كما تحب أن يرحموا ضعفك.

مَن حسُن ظنه طاب عيشه. ما أجمل أن تعيش بقلب لا يفتّش دائما عن النيات السيئة، ولا يحمل كل كلمة على الإهانة، ولا يتوقع الشر من كل إنسان. إن حسن الظن حيث لا توجد قرائن معتبرة على خلافه يُريح القلب من هموم كثيرة. وليس معنى ذلك

أنّ الدنيا خالية من السيئين، بل أن تعيش بالعدل والإنصاف، فلا تظلم الأبرياء بسبب مخاوفك وأوهامك.

ابدأ الإصلاح من اليوم. لا تنتظر حتى تخسر شريك حياتك، أو يبتعد عنك أولادك، أو تنقطع زيارات أقاربك، أو يهجرك أصدقاؤك. ابدأ اليوم بكلمة طيبة، واعتذار صادق، واتصال بمن خاصمته بغير حق، ومسامحة من أخطأ في حقك. حاول أن تكون الشخص الذي يخفف عن الناس همومهم، لا الذي يزيدها. فما أجمل أن يذكرك الناس بالخير، وأن يجدوا في صحبتك راحة وسرورا.

قد تقضي نصف عمرك تشكو أنّ الناس لا يحبونك، ولا يسألون عنك، ولا يزورونك، ثم تكتشف أن المشكلة لم تكن دائما في

قلوبهم، بل في أسلوبك معهم. فلا تطلب من الناس أن يتحمّلوا منك ما لا تتحمله أنت من غيرك. أصلح أخلاقك، وخفّف شكواك، وأحسن ظنك، وتعلّم التغافل، وسترى كيف يمكن أن تتغير علاقاتك عندما تتغير أنت.

اللهم أصلح قلوبنا، وطهّرها من سوء الظن والحقد والغِلّ والحسد، وارزقنا حسن الخُلُق وسعة الصدر ولين الجانب. اللهم اجعلنا ممن يألفون ويؤلفون، وممن يُحسنون إلى الناس ويصبرون على أذاهم، وأعنّا على حفظ المودّة وصلة الأرحام وإصلاح ذات البَين. اللهم لا تجعلنا سببا في ظلم أحد أو نفوره من الخير، واجعلنا مفاتيح للمحبة والرحمة والصلح بين عبادك.

الجوع المعتدل ومجاهدة شهوة البطن

من الوسائل التي قد تُعين على رقّة القلب وصفاء النفس والإقبال على العبادة: الاعتدال في الطعام، ومجاهدة الإفراط في شهوة البطن. وهذا باب عرفه كثير من الصالحين وأهل المجاهدة، فاستعانوا به على تهذيب النفس وكسر سلطان الشهوة، دون إضرار بالجسد أو تضييع لحقه.

كما أن الدّابة الجامحة تحتاج إلى ترويض حتى يسهل قيادها، فكذلك النفس تحتاج إلى تربية ومجاهدة حتى لا تستبدّ بصاحبها شهواتها. فإذا عوّدت نفسك أن تنال كل ما تشتهي، صعُب عليها قَبول

المنع، وأما إذا عوّدتها الاعتدال والصبر ومخالفة الهوى، سهل عليك تهذيبها وتوجيهها إلى الخير.

من أسرار مجاهدة شهوة البطن أنها تعلّمك أن تقول لنفسك: «ليس كل ما تشتهين تنالين». قد ترى طعاما تحبه وتقدر عليه، ولكنك لا تحتاج إليه، فتتركه تدريبا لنفسك على ضبط الشهوة. وهنا تتعلّم درسا عظيما: أن القدرة على الشيء لا تعني أنك مضطر إلى فعله.

إذا استطعت أن تخالف نفسك في بعض ما تشتهيه من الطعام، فقد بدأت تتعلّم كيف تخالفها في أمور أخرى. فقد يساعدك التدرب على ترك بعض ما تشتهيه من المباحات على تقوية إرادتك عند

مواجهة الشهوات المحرّمة. وليس المقصود أن ترك الطعام وحده يكفي لإصلاح النفس، بل هو وسيلة من وسائل مجاهدتها.

من تعلّم أن يقول لشهوته: «انتظري»، فقد دخل مدرسة من مدارس تربية الإرادة. فليس كل ما تطلبه النفس يجب أن يُعطى لها في الحال، وليس كل رغبة تستحق الاستجابة. ومن أعظم انتصارات السلوك أن تنتقل من إنسان تقوده شهواته إلى إنسان يضبطها بما يُرضي الله.

لا تظن أن تربية النفس تعني تعذيب الجسد أو حرمانه من حاجته إلى الغذاء. فلجسدك عليك حق، والمطلوب أن تأكل ما ينفعك ويكفيك، وأن تتجنّب الإفراط في الطعام. وقد يحتاج المريض أو

الضعيف إلى غذاء أكثر أو أوقات منتظمة للطعام، فلا ينبغي أن يتّخذ من المجاهدة ذريعة لإهمال صحته، ولا يجوز له أن يضرّ نفسه.

قد يؤدي الإفراط في الطعام إلى الخمول وثِقل الجسد، فيجد الإنسان صعوبة في القيام والذكر والعمل. وقد يجد بعض الناس في الاعتدال في الطعام خِفّة تعينهم على الطاعة. فراقب أثر طعامك على نشاطك، واحرص على ما يقويك على العبادة دون إفراط ولا تفريط.

كم من إنسان عزم على قيام الليل، ثم أفرط في طعام العشاء، فغلبه الخمول والنعاس. وكم من وِرد أخره الشبع، ومن عمل نافع تكاسل

عنه صاحبه بعد وجبة ثقيلة. فإذا كنت تعلم أن الإكثار من الطعام يُثقِلك، فلا تجعله عائقا عن طاعة تشتاق إليها.

لا تجعل غايتك من الطعام مجرد إشباع الشهوة، بل استحضر نية التقوي على طاعة الله. فإذا أكلت بنية صالحة، وحفظت جسدك، واجتنبت الإكثار من الطعام، كان طعامك عونا لك على الخير. واحذر أن تنشغل بالمآكل والمشارب حتى تصبح أكبر همومك.

بعض الناس يُكثر من التفكير في الطعام، وينشغل بأصنافه ومواعيده وشهواته، حتى تستهلك هذه الأمور جزءا كبيرا من وقته واهتمامه. والطعام نعمة من الله، وليس حراما أن تستمتع بالحلال، ولكن

الخطر أن تصير شهوة البطن هي التي تنظّم حياتك وتستولي على همتك.

لا تحتقر مجاهدة صغيرة تخالف بها نفسك. فقد تبدأ التربية من لقمة زائدة تتركها لله، ثم تكبُر فيك قوة المخالفة، فتتعلّم أن تكظم غيظك عند الغضب، وأن تصبر عند البلاء، وأن تمنع نفسك من الحرام عندما تدعوك إليه الشهوة. فليست العبرة بقلّة اللقمات فحسب، بل بما تتعلّمه من ضبط النفس.

قد يعتاد الإنسان أن يأكل كلما شعر بالملل، أو يطلب شيئا من الطعام كلما حزن أو تضايق، دون أن يكون جائعا. فإذا وجدت في نفسك هذه العادة، فحاول أن تُفرّق بين الحاجة إلى الطعام ومجرد

الرغبة فيه. وابحث عن طرق نافعة للتعامل مع الملل والضيق، حتى لا يكون الطعام جوابك عن كل شعور.

لا تظن أن المجاهد لنفسه لا يأكل طعاما لذيذا، أو لا يفرح بما أحلّ الله له. فقد يأكل الإنسان من الطيبات ويشكر الله عليها، ويكون مع ذلك ضابطا لشهوته. والمقصود أن تملك قدرة الامتناع عما لا تحتاج إليه، لا أن تُحرّم على نفسك ما أحلّ الله لك.

مَن تعلّم أن يضبط نفسه في المباحات، وأن يخالف بعض رغباته، فقد اكتسب تدريبا نافعا على مجاهدة الهوى. ولكن تذكّر أن العبرة العظمى ليست بترك لقمة مباحة، وإنما بأن يقودك هذا التدريب إلى المحافظة على الواجبات واجتناب المحرمات. ولكن انتفاعك بهذا

التدريب يبقى ناقصا إذا شددت على نفسك في الطعام، ثم أطلقت لسانك في الغيبة والبهتان.

قد يجوع الإنسان ويبقى قلبه مملوءا بالكِبر والحسد والرياء، وقد يأكل حتى يشبع ويكون من الصالحين. فلا تجعل قلّة الطعام مِقياسا للولاية أو الصلاح. إنما المقصود من المجاهدة أن تُعينك على إصلاح قلبك وترك المعاصي وحسن العبادة، لا أن تعجب بنفسك لأنك تأكل أقل من غيرك.

إذا كان تقليل الطعام يُسبب لك ضعفا أو دُوارا أو عجزا عن أداء واجباتك، فليست هذه هي المجاهدة المطلوبة. وإذا كنت مريضا أو تحتاج إلى نظام غذائي خاص، فالحفاظ على صحتك أولى من تجربة

الجوع. واعلم أن الإنسان قد يجاهد نفسه بطريقة أخرى، كالاعتدال في الطعام، والصبر عن المحرمات، وضبط اللسان، والمحافظة على الطاعات.

لا تقتصر مجاهدة النفس على الطعام. فقد تكون مجاهدتك اليوم في ترك سيجارة، أو الإقلاع عن الأرجيلة، أو التخلص من عادة تُضيّع وقتك وصحتك. ولا تستصغر خطوة صالحة، فلعلها تكون بداية انتصار كبير على نفسك. وإذا احتجت إلى مساعدة للتخلص من عادة ضارة، فلا تتردد في طلبها.

لا تكتف بأن تسأل نفسك: «كم أكلت اليوم؟» بل اسألها: «هل صرت أكثر صبرا؟ هل أصبحت أقدر على كظم غيظي؟ هل تركت

شيئا من المعاصي؟ هل تحسنت معاملتي لأهلي والناس؟» فإن المجاهدة التي لا يظهر أثرها في الطاعة والأخلاق تحتاج إلى مراجعة وتصحيح.

إذا وفقك الله لضبط شهوتك، فلا تنظر باحتقار إلى من لم يبلغ ما بلغته. ولا تظن أنك أفضل من غيرك لمجرد أنك تأكل قليلا أو تصبر على الجوع. فرُبَّ إنسان أكثر منك طعاما وهو أفضل منك عند الله بصدقه وإخلاصه وطاعته. فاحمد الله على ما وفقك إليه، واسأله الثبات والقبول.

يا طالب الطريق إلى الله، لا تظن أن إصلاح النفس يتِم بسماع المواعظ وقراءة النصائح فقط. إنما يحتاج إلى عمل وصبر ومحاسبة

ومخالفة للهوى. فابدأ بما تستطيع، وداوم عليه، ولا تجعل شهواتك تحكم حياتك. وتذكر أن تربية النفس ليست موعظة تسمعها ثم ينتهي الأمر، بل مجاهدة ومخالفة ورياضة وسلوك.

اللهم أعنّا على مجاهدة نفوسنا، ولا تجعل شهواتنا تقودنا إلى معصيتك، وارزقنا الاعتدال والإخلاص ورقة القلب وصفاء النفس ولذة الطاعة، وأعنا على حسن الإقبال عليك والثبات على ما يُرضيك.

طريق المجاهدة طويل: لا تستعجل الثمرة

«إحياء النفس إماتتها». عبارة عميقة في معنى مجاهدة النفس، وليس المقصود بها إهلاك الجسد، وإنما المقصود قهر النفس عن شهواتها المحرمة، وكسر سلطان الهوى عليها، حتى تستقيم على الطاعة، وتتخلص من أسر الشهوات التي تُبعدها عن رضا الله.

ومن التعبيرات البليغة في بيان شدة المجاهدة: «طحن العظام». وهو تعبير مجازي يُراد به عِظَم الصبر والمثابرة، لا إلحاق الضرر بجسدك. فتهذيب النفس يحتاج إلى مجاهدة طويلة، ومخالفة للهوى، وثبات

على الطاعة. والولاية فضل من الله يُكرم به مَن شاء من عباده المؤمنين الأتقياء.

طريق الولاية ليس نزهة للنفوس. فيه مخالفة للهوى، وترك للمعاصي، وصبر على الطاعات، ومراقبة للقلب، ومحاسبة للنفس. ومن ظن أنه يبلغ مراتب الصالحين بمجرد الأماني، فقد جهل ما تحتاج إليه النفس من تربية وتهذيب وصبر على الاستقامة.

لا تسأل: «كم بقي من الطريق؟» بل اسأل نفسك: «هل أنا اليوم أطوع لله من أمس؟» وامض في طاعة الله، ولو قضيت عمرك كله ترى نفسك في أول الطريق. فليس المطلوب أن تشهد لنفسك بالوصول، وإنما أن تلزم الاستقامة ما دمت حيا.

هذا طريق طويل، زاده الصبر، وسلاحه المجاهدة، وحارسه الإخلاص، ومن أعظم عقباته هوى النفس. فلا تظن أنك تستغني يوما عن محاسبة نفسك، ولا أنك تبلغ منزلة تسقط عنك فيها التكاليف الشرعية. بل الزم طاعة الله إلى آخر أنفاسك، واسأله الثبات وحسن الخاتمة.

يصلي أحدهم ليلتين ثم يقول: «أين الفتح؟» ويذكر الله يومين ثم يسأل: «أين الأنوار؟» يا هذا، أنت في أول الطريق، فكيف تستعجل أحوالا قد يقضي الصالحون أعمارهم في العبادة والمجاهدة دون أن يطلبوها لأنفسهم؟ لا تجعل عبادتك تجارة تنتظر ربحها من المشاعر والأحوال العجيبة.

بعض الناس يريد أن يجاهد نفسه أسبوعا، ثم ينتظر أن تنكشف له الأسرار. وما علم أن من الصالحين مَن جاهد نفسه سنين طويلة، وبقي مع ذلك خائفا من التقصير، بعيدا عن الاغترار بعمله. فلا تقس صدق سلوكك بما يحصل لك من أحوال غير مألوفة، بل بما تحققه من طاعة واستقامة.

لا تجعل عبادتك مبنية على هذا التفكير: «أتهجد لأرى رؤيا، وأذكر لأجد حالا، وأجاهد نفسي لأشعر بنور». بل اعبد الله طلبا لرضاه وامتثالا لأمره، وارج ثوابه، واخش عقابه. وإذا وجدت لذة في الطاعة فاحمد الله، وإذا لم تجدها فلا تترك العبادة، فإن الطاعة لا تتوقف على ما تشعر به من لذة.

يأتي بعضهم فيقول: «يا شيخ، أذكر الله، وأتهجد، وأتصدق، وأجتهد في طلب العلم والتعليم والدعوة، ولكن يا شيخ، لا أرى في منامي رؤى جميلة». فيا للعجب. أليس من نعم الله عليك أن وفقك للذكر والصلاة والصدقة وطلب العلم؟ ألا ترى هذه النِعم العظيمة، وتنشغل عنها بانتظار أمر آخر؟ أليس توفيقك للطاعة في نفسه نِعمة تستحق الشكر؟

ليلتان من القيام لا تجعلان الإنسان وليّا، ولا يصح أن يظن أنه بلغ مرتبة عالية لأنه أكثر من الذكر أياما معدودة. فالولاية ليست لقبا يمنحه الإنسان لنفسه، ولا ينبغي له أن يقيس منزلته عند الله بمجرد ما يراه في منامه، أو بما يراه الناس من رؤى في حقه، أو بما يظنونه

فيه من الخير. فالناس مأمورون بتحسين الظن بك، ولكنك أنت أعرف بحال نفسك، وبما يصدر منك في خلواتك وجلواتك. فانظر إلى حالك مع الله، وإلى محافظتك على الواجبات واجتنابك للمحرمات، ولا تغتر بمدح الناس ولا برؤاهم، فإنك تعرف من عيوب نفسك ما لا يعرفون. والعبرة بالإيمان والتقوى والاستقامة، لا بدعوى الوصول.

من أخطاء المبتدئ أن ينشغل بما يجده في قلبه من مشاعر عن إصلاح أعماله. فلا تسأل عن منزلتك بين الصالحين، بل انظر إلى صلاتك، وصدقك، وإخلاصك، وأخلاقك، ومعاملتك لأهلك

والناس. فقد ينشغل الإنسان بالبحث عن الأحوال الروحية، ويغفل عن معصية يصر عليها أو حق واجب يضيعه.

لا تنتظر رؤيا جميلة بعد كل طاعة، ولا تحزن إذا لم تر في منامك شيئا. فالرؤى ليست مِقياسا لصلاح العبد، ولا دليلا قاطعا على قبول أعماله. وقد تكون الرؤيا الصالحة بُشرى، ولكن العبد لا ينبغي أن يجعلها غاية عبادته. ومن أعظم ما ترجوه أن يثبتّك الله على الإيمان والطاعة، وأن يرزقك حسن الخاتمة.

من علامات الصدق أن تستمر في طاعة الله ولو طال عليك الطريق، وألا تنصرف عن العبادة لأنك لم تجد فيها ما كنت تتوقعه من لذة أو راحة أو أحوال خاصة. فالعبد الصادق يجاهد نفسه في

حال النشاط والفتور، وفي أيام الراحة والابتلاء، ولا يجعل تقلّب مشاعره سببا لترك ما أوجب الله عليه.

ليس الطريق أربعين يوما من الحماس، ثم رجوعا إلى الغفلة. إنما الطريق أن تحمل نفسك على طاعة الله يوما بعد يوم، وشهرا بعد شهر، وسنة بعد سنة. فإذا ضعُفت فاستعن بالله، وإذا تركت واجبا فتب، وإذا تعثّرت فقم وأكمل الطريق، ولا تجعل تعثّرك سببا لليأس. فالمهم ألا تستسلم للغفلة، وأن تظل حريصا على إصلاح نفسك.

يا طالب الطريق إلى الله، لا تستعجل الثمرة، ولا تنشغل بالسؤال عما وصلت إليه. اشتغل بإصلاح نفسك، والمحافظة على الفرائض،

واجتناب المعاصي، وتعلّم ما تحتاج إليه من دينك، والازدياد من الخير. واجعل همك أن تلقى الله وأنت على الإيمان والطاعة، لا أن يقول الناس عنك إنك بلغت منزلة عالية.

اللهم ارزقنا الصدق والإخلاص والصبر على طاعتك، وأعنّا على مجاهدة نفوسنا، واحفظنا من العُجب والغرور واستعجال المنازل، وثبّتنا على الإيمان والاستقامة حتى نلقاك.

حيل الشيطان في تثبيط السالك عن الاستمرار

قد يكون الإنسان غافلا عن محاسبة نفسه، فإذا بدأ يجاهدها، ويحافظ على الطاعات، ويراقب قلبه، صار أكثر انتباها إلى ما يعرض له من خواطر ووساوس. فلا تجعل ظهور هذه الخواطر دليلا على فشلك في الطريق، ولا تظن أن كثرتها تعني أنك ابتعدت عن رضا الله. فالعبرة بما تختاره من أعمال، لا بكل خاطر يمر بقلبك.

من حِيل الشيطان أن يخوّفك من طول الطريق، ويلقي في نفسك أنك لن تستطيع الاستمرار. فتحمل هم سنوات لم تأت بعد، وتنسى ما يجب عليك اليوم. فلا تُثقل قلبك بالخوف من المستقبل،

بل استعن بالله على طاعته اليوم، واسأله الثبات فيما يأتي من أيامك.

وقد يحاول الشيطان أن يُفسد عليك فرحة البداية، فيُصوّر لك الاستقامة على أنها حياة من المشقة والحرمان، لا راحة فيها ولا سعادة. والحق أن الطاعة قد تحتاج إلى صبر ومجاهدة، ولكنها ليست حرمانا من السعادة، بل هي من أسباب صلاح القلب وطمأنينته. فلا تحكم على الطريق من خلال يوم صعب أو فترة فتور.

ومن حِيل الشيطان أن يشغلك بالتفتيش المستمر عن مشاعرك، فتظل تسأل نفسك: «هل شعرت بحلاوة العبادة؟ هل تغيّر قلبي؟ هل وجدت اللذة التي يجدها الصالحون؟» ومع أن محاسبة النفس

مطلوبة، فإن الإفراط في الانشغال بهذه الأفكار قد يصرفك عن العناية بأداء العبادة على الوجه الصحيح. فاحرص على الخشوع في صلاتك، وعلى الإخلاص في طاعاتك، واطلب رضا الله، ولا تجعل مجرد شعورك بالحلاوة أو عدم شعورك بها مقياسا لقبول عملك.

وقد يأتيك خاطر يقول: «ما دام قلبك لم يحضر في الذكر، فما فائدة الذكر؟». فلا تجعل تشتت القلب سببا لترك ذكر الله، بل استمر فيه، واجتهد في حضور قلبك ما استطعت. فليس من الحكمة أن تترك العمل الصالح لأنك لم تبلغ فيه مرتبة الكمال.

ومن أخطر حِيل الشيطان أن يحوّل الزّلة في نظرك إلى هزيمة لا يمكن تداركها. فإذا وقعت في ذنب، ألقى في نفسك أن ما بنيته من خير قد ضاع، وأنك لم تعد أهلا للسير في طريق الطاعة. فلا تستسلم لهذا الخاطر، بل بادر إلى التوبة النصوح، وأصلح ما أفسدت، وردّ الحقوق إلى أهلها إن كانت عليك حقوق. فالزّلة لا تُبيح لك الإصرار على المعصية، ولا تُغلق أمامك باب التوبة.

وقد يفتح الشيطان عليك باب اليأس باسم محاسبة النفس، فتظن أنك تُصلحها بكثرة لومها، وأنت تزيدها قنوطا وضَعفا. والفرق كبير بين محاسبة تدفعك إلى التوبة والإصلاح، ولوم مستمر يحملك

على اليأس وترك العمل. فحاسب نفسك بعدل، واعرف تقصيرك، ولا تنس أن رحمة الله واسعة.

وقد تتساءل: «كيف أُميّز بين هوى النفس ووسوسة الشيطان؟». النفس لها شهوات وعادات ألفتها، والشيطان يوسوس ويزيّن الباطل ويدعو إلى الشر. وقد يجتمع أثر الهوى والوسوسة في الأمر الواحد. ولكن لا تجعل همك الدائم معرفة مصدر كل خاطر، بل انظر إلى ما يدعوك إليه، وزنه بميزان الشرع.

فإذا دعاك خاطر إلى معصية، أو ترك واجب، أو القنوط من رحمة الله، فلا تُطِل الانشغال بتحليله والجدال معه. استعذ بالله، وأعرض

عما يدعوك إلى الباطل، واشتغل بما ينفعك. فليس كل خاطر يحتاج إلى نقاش، ولا كل وسوسة تستحق أن تُنفق عليها وقتك.

ومن حِيل الشيطان التسويف، فيُزين لك تأجيل الخير، ويقول لك: «ابدأ غدا، أو حين تتحسن ظروفك، أو عندما تجد وقتا أوسع». وتمضي الأيام، وأنت تنتظر ظروفا مثالية قد لا تأتي. فإذا قدرت على خير فلا تؤخره بغير عذر، وخذ من الأعمال الصالحة ما تستطيع المداومة عليه.

واحذر أن تخلِط بين التسويف والراحة المشروعة. فليس كل تخفيف من النوافل فتورا مذموما، ولا كل راحة انقيادا للشيطان. فلجسدك عليك حق، ولأهلك عليك حقوق، وقد تحتاج إلى الراحة حتى

تتقوى بها على الطاعة. وإنما المذموم أن تجعل الراحة ذريعة لتضييع الواجبات أو هجر الخير من غير عذر.

ومن مكايد الشيطان أن يشغلك بعمل صالح عن واجب عليك، أو عن عمل صالح أعظم نفعا لك في حالك. فقد تنشغل بنافلة وتقصر في فريضة، أو تهتم بعمل دعوي وتُضيّع حقّا واجبا لأهلك، أو تُكثر من أعمال تطوعية وتهمل تعلّم ما يجب عليك من أمور دينك. فلا يكفي أن يكون العمل خيرا، بل لا بد من معرفة الأولى والأهم.

ومن أسباب التثبيط أن تُقارن بدايتك بما تراه من عبادة غيرك، فتقول: «فلان يقوم الليل، وفلان يبكي في الدعاء، وفلان يخشع،

وأنا لا أجد مثل ما يجدون». وأنت لا تعرف حقيقة أحوالهم، ولا ما بينهم وبين الله. فانتفع بالاقتداء بالصالحين، ولا تجعل المقارنة سببا لاحتقار نفسك واليأس من الخير.

لا تظن أنك غير صادق في عبادتك لأنك لا تشعر بحلاوتها في كل وقت. فقد تقوم إلى الصلاة وأنت تجاهد الكسل، وقد تذكر الله وقلبك مثقل بالهموم. ولا يلزم من غياب الشعور باللذة غياب الإخلاص أو بطلان العمل. فاستمر في الطاعة، واجتهد في إصلاح قلبك، واسأل الله القبول.

لا تجعل خوفك من الشيطان يستولي على قلبك، حتى تراقب كل خاطر وتفزع من كل وسوسة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ

كَانَ ضَعِيفًا﴾. فاستعذ بالله من شره، وتوكل عليه، ولا تعط الوساوس أكبر من حجمها. واعلم أن مجرد ورود الخواطر المكروهة عليك لا يعني أنك راض بها أو مُؤاخذ عليها.

وليست كل الأفكار المزعجة والمخاوف المتكررة دليلا على ضعف الإيمان أو تسلط الشيطان، فقد تكون لها أسباب نفسية أو صحية. فإذا صارت الوساوس شديدة، وأثّرت في نومك أو عملك أو حياتك اليومية، فلا تتردد في طلب المساعدة من أهل الاختصاص. فطلب العلاج لا يُنافي التوكل على الله.

ومن الحكمة في مواجهة الوساوس ألا تدخل مع كل خاطر في جدال طويل. فقد يزداد انشغالك بالوسوسة كلما أكثرت من مناقشتها

والتفتيش عن معناها. فأعرض عما لا ينفعك، ولا تُعِد العبادات لمجرد شكوك لا مُعتبر لها شرعا، وتعلّم أحكام دينك من أهل العلم حتى لا تتحكم فيك الأوهام.

إذا زادت عليك الوساوس بعد بداية الاستقامة، فلا تتعجل في الحكم على نفسك بالفشل. فقد تكون أصبحت أكثر انتباها لخواطرك، أو تكون تمر بفترة من القلق والتعب. والمهم أن تتعامل مع ذلك بحكمة، وألا تترك ما أوجب الله عليك، وأن تأخذ بالأسباب النافعة لإصلاح حالك.

يا سالك الطريق إلى الله، لا تطلب حياة خالية من المجاهدة، بل اسأل الله أن يُعينك على طاعته ويثبتك عليها. إن عصيت فتب

وقم، وإن فَترت فجدد نيتك، وإن وسوس لك الشيطان فاستعذ بالله وأعرض، وإن أتعبتك المجاهدة فخذ من الراحة ما يُعينك على الاستمرار. فليس المطلوب ألا تضعف أبدا، وإنما ألا تجعل الضعف سببا للإصرار على المعصية أو ترك الواجبات.

اجعل شعارك في مجاهدة نفسك: «إذا تعبت استرحت ثم واصلت، وإذا ضَعُفت استعنت بالله، وإذا أذنبت تبت، وإذا تعثّرت قمت». فالاستقامة لا تعني أن الإنسان لا يُخطئ، بل أن يحرص على طاعة الله، وأن يُبادر إلى التوبة كلما وقع في المعصية.

ولا تستهن بقليل من الخير تداوم عليه. فقد يكون من أسباب ثباتك أن تجعل لنفسك وِردا من الذكر، ووقتا لطلب العلم، وعملا

نافعا تواظب عليه. ولا تحمل نفسك من النوافل ما يُفضي بك إلى تركها كليا، بل اسلك طريق الاعتدال والمداومة، مع المحافظة على جميع الواجبات.

تذكّر أن الشيطان عدو لك، فلا تعنه على نفسك باليأس والتسويف والانقطاع عن الطاعة. وإذا وجدت من نفسك ضعفا، فلا تجعله حجة للتراجع، بل استعن بالله وابدأ من جديد. فليست العبرة بأن تخلو حياتك من الابتلاء، وإنما بأن تثبت على الحق عند الابتلاء.

احفظ هذه الوصية: الاستمرار على الطاعة، والمبادرة إلى التوبة، وعدم اليأس من رحمة الله. لا تنتظر أن تختفي جميع الخواطر المزعجة

حتى تعبد ربّك، ولا تجعل ما يعارضك من وساوس ومشاق سببا لترك الخير. استعذ بالله، وخذ بالأسباب، وواصل السير بحكمة وصبر.

وليكن همك أن تكون أقرب إلى طاعة الله، وأبعد عن معصيته، وأحسن خلُقا مع خلقه. فليست العبرة بكثرة الكلام عن المجاهدة، بل بأثرها في حياتك. وتذكّر قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾.

اللهم أعنا على مجاهدة نفوسنا، وأعِذنا من شر الشيطان ووساوسه، واحفظنا من اليأس والقنوط والغرور، وارزقنا العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص والثبات على الإيمان والطاعة حتى نلقاك.

احذر المثبطين وشياطين الإنس

يا سالك الطريق إلى الله، قد تلتقي في طريقك بمن يثبّط همتك، ويُهوّن في عينك ما بدأت به من خير، ويشعرك أنك لست أهلا للاستقامة، وأنك لن تستطيع الثبات. فلا تجعل كلامه سببا لترك الطاعة، ولا تسمح لأحد أن يصرفك عن طريق الخير الذي أقبلت عليه.

ومن الناس من لا يكتفي بترك الطاعة، بل يسخر ممن يحافظ عليها، ويحاول أن يُزيّن له الغفلة والمعصية، ويُقنعه أن الاستقامة حِرمان من مَتاع الحياة. فاحذر من يدعوك إلى الباطل، أو يستهزئ

بطاعتك، أو يسعى إلى إفساد دينك. فهذا من التثبيط الذي ينبغي أن تحذره.

وقد يأتيك التثبيط من إنسان قريب منك، أو صديق اعتدت مجالسته، فيقول لك: «لماذا تُتعب نفسك بكثرة الذكر وطلب العلم والعبادة؟ أنت لن تستطيع الاستمرار». فلا تجعل قربه منك سببا لقبول كلام يصرفك عن الخير. وإن كان له عليك حق من برّ أو صلة أو حسن معاملة، فأدّ إليه حقه، ولا تطعه فيما يخالف الشرع.

ولكن انتبه، فليس كل من خالفك في رأي، أو نصحك بالتخفيف من بعض النوافل، أو نبّهك إلى خطإ، من المثبّطين. فقد يكون ناصحا مشفقا يريد لك الخير، وقد يرى من تقصيرك في حق واجب

أو إرهاقك لنفسك ما لا تنتبه إليه. فلا تردّ النصيحة لمجرد أنها لم توافق هواك، بل زِن الكلام بميزان الشرع، واقبل الحق ممن جاء به.

ولا تتعجل في وصف الناس بأنهم من شياطين الإنس، فإنك لا تعلم ما في قلوبهم. وإنما احذر من صفات مَن يدعون إلى المعصية ويُزيّنون الباطل ويصدّون عن الخير. فليس المقصود أن تُسيء الظن بكل من حولك، وإنما أن تحفظ دينك من التأثير الضار، مع العدل وحسن الخلق.

وإذا وجدت أن مجالسة بعض الناس تُضعف همتك، وتُهوّن عليك المعاصي، وتصرفك عن طاعة الله، فاختر لنفسك صحبة صالحة تُعينك على الخير، وتذكّرك بالله، وتنصحك إذا أخطأت. ولا يلزم

من الحذر من الصحبة الضارة أن تقطع أرحامك أو تظلم أحدا، بل أعط كل ذي حق حقه، واحفظ قلبك من التأثر بالباطل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. فلا تجعل أهواء الناس حاكمة على سلوكك، ولا تقدّم رضا الخلق على طاعة الخالق. وإذا سخر منك أحد لأنك تحافظ على الصلاة، أو تتعلّم دينك، أو تجتنب المعاصي، فلا تترك الحق خوفا من كلامه.

واعلم أن الثبات على الطاعة لا يحتاج إلى موافقة جميع الناس عليك. فقد يرضى عنك بعضهم ويسخط آخرون، وقد يمدحونك اليوم ويلومونك غدا. فلا تجعل مدحهم غايتك، ولا ذمّهم سببا

لترك الخير. بل اجعل همك طاعة الله، واستعن به على مجاهدة نفسك، واستمر في إصلاح قلبك وعملك.

يا طالب الطريق إلى الله، لا تسلّم مِفتاح قلبك لكل من تكلم، ولا تسمح لكلمة سخرية أو تثبيط أن تهدم ما بنيته من خير. وإذا ضعفت همتك فجدد نيتك، وإذا احتجت إلى النصيحة فاطلبها من أهل العلم والصلاح، وإذا وجدت مَن يُعينك على الطاعة فالزم صحبته. فالصاحب الصالح نِعم العون على طريق الاستقامة.

امض في طاعة الله بثبات وتواضع، ولا تحتقر مَن تراه أقل منك عملا، فإنك لا تعلم منزلته عند الله، ولا تغترّ بما وفقك الله إليه من خير. وإذا لقيت مَن يثبطك، فلا تجعل ذلك سببا لقسوة قلبك أو

سوء خلُقك، بل كُن حكيما في كلامك وتصرفك، وادع له بالهداية، واحفظ نفسك من شر تأثيره.

إلى الأمام، وتذكّر قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

اللهم ثبّتنا على طاعتك، وارزقنا صحبة الصالحين، واحفظنا من المثبّطين ودعاة السوء، واجعلنا ممن يدعون إلى الخير ويُعينون الناس عليه، وارزقنا الحكمة والإخلاص والثبات حتى نلقاك.

ضياع الوقت وتأجيل الأعمال

يا سالك الطريق إلى الله، من أعجب أحوال الإنسان أنه يحزن إذا ضاع منه مبلغ من المال، وقد يغضب إذا سرق أحد شيئا من ممتلكاته، ولكنه قد يُضيّع ساعات من عمره كل يوم دون أن يشعر بخسارة. يجلس أمام هاتفه، ويتنقّل بين المقاطع والأحاديث التي لا فائدة تُرجى منها، ويؤجّل أعماله، ثم يقول في نهاية اليوم: «لم أجد وقتا». يا مسكين، إن المال إذا ذهب قد يعود، أما الساعة التي مضت من عمرك فلن تعود إليك أبدا.

كم من إنسان يقول: «سأبدأ غدا، سأحضر مجالس علم الدين الأسبوع القادم، وسأُصلح علاقتي بأهلي، وسأترك هذه العادة

السيئة، وسأبدأ مشروعي بعد شهر». ثم يأتي الغد فيؤجل إلى غد آخر، حتى تمر الشهور والسنوات وهو لا يزال في مكانه. إن كلمة «غدا» قد تكون عند بعض الناس سببا في تأجيل أعمال لم يبدؤوا بها، وتعطيل أهداف كانوا يسعون إلى تحقيقها، والتقصير في واجبات كان عليهم أن يؤدوها.

يا طالب إصلاح القلب، ليست المشكلة دائما في قلّة الوقت، بل كثيرا ما تكون في سوء استعماله. فقد يجد الإنسان ساعات لمشاهدة المقاطع والحديث فيما لا ينفع، ولكنه إذا دُعي إلى مجلس علم مدته ساعة قال: «أنا مشغول». وإذا احتاج والداه إلى أن يزورهما أو يخدُمهما اعتذر بضيق الوقت. فاسأل نفسك بصدق:

هل أنت مشغول حقا، أم أنك تُقدّم ما تشتهيه نفسك على ما هو أولى بوقتك؟

ليس كل تأجيل مذموما، فقد يكون تأخير العمل إلى وقت آخر من حسن التدبير إذا اقتضته مصلحة معتبرة، ولم يؤدّ إلى تضييع واجب أو حق. وإنما المذموم أن تؤجّل ما ينبغي فعله بغير عذر، وأن تجعل الكسل والهروب من المشقة يتحكمان في قراراتك. وأخطر من تأجيل أعمال الدنيا تأجيل التوبة والفرائض والحقوق الواجبة، فإن الواجب الشرعي لا يجوز تأخيره عن وقته المحدد بغير عذر معتبر.

تأمل هذه الحقيقة التي يغفُل عنها كثير من الناس: أنت لا تملك ضمانا بأن تعيش إلى الغد. كم من إنسان نام وهو يُخطّط لأعمال

الأسبوع القادم فلم يستيقظ، وكم من رجل خرج من بيته وهو يقول: «عندما أعود سأفعل كذا»، فلم يعد. وكم من شخص أجّل الاعتذار أو ردّ حق إلى صاحبه، فجاءه الموت قبل أن يفعل. فلا تعامل المستقبل كأنه مضمون لك، بل اغتنم ما تستطيع من الخير في الوقت الذي أتاحه الله لك.

يا مَن تؤخر الصلاة بحجة أنك مشغول، انتبه إلى خطورة ما تفعل. فقد تنشغل بعمل أو تجارة أو هاتف، وتقول: «سأصلي بعد قليل»، ثم يتكرّر التأجيل حتى يخرج وقت الصلاة. إنّ الصلاة المفروضة لها أوقات حددها الشرع، ولا يجوز إخراجها عن وقتها بغير عذر

شرعي. فلا تجعل مواعيد الناس وأعمال الدنيا أعظم في قلبك من الفريضة التي فرضها الله عليك.

من أخطر صور التسويف أن يقول الإنسان: «سأتعلّم علم الدين عندما أتفرّغ». تمر السنوات وهو يجهل ما يجب عليه من العقيدة وأحكام الطهارة والصلاة والحلال والحرام، ثم يعتذر بكثرة الانشغال. يا أخي، تعلُّم القدر الواجب عليك من علم الدين ليس هواية تمارسها إذا بقي عندك وقت، بل هو واجب ينبغي أن تقوم به في الوقت الذي يلزمك فيه. فكيف تُنظّم وقتك لكثير من شؤون الدنيا، ثم لا تجد وقتا لتتعلّم ما تصح به عبادتك؟

يا مَن تؤجّل التوبة، لماذا تنتظر؟ أتنتظر أن تكبرَ في السن، أم أن تمرض، أم أن تفقِد لذة المعصية؟ قد يقول أحدهم: «سأترك الحرام بعد الزواج، أو بعد انتهاء الدراسة، أو عندما أبلغ الأربعين». ومَن أخبرك أنك ستعيش إلى ذلك العمر؟ ومَن ضمِن لك أنك ستبادر إلى التوبة حينئذ؟ إن التوبة من الذنب واجبة على الفَور، فلا تجعل طول الأمل سببا في الإصرار على المعصية.

كم من ابن يقول: «سأزور أمي الأسبوع القادم»، ثم ينشغل، وكم من بنت تقول: «سأتصل بأبي غدا»، ثم تنسى. وقد يكون الوالدان ينتظران كلمة طيبة أو زيارة تؤنسهما وتدخل السرور على قلبيهما. فإذا كان عليك حق واجب لوالديك فلا تهمله، وأما ما زاد على

الواجب من البرّ والإحسان فلا تحرِم نفسك فضله. ولا تؤجّل ما تستطيع من الخير حتى يأتي يوم تتمنى فيه سماع صوتهما فلا تجده.

بعض الناس يُؤجلون إصلاح الخلافات العائلية سنوات طويلة. يقول أحدهم: «سأعتذر لأخي عندما تهدأ الأمور»، ويقول آخر: «سأتصالح مع أختي في العيد القادم». ثم يأتي العيد ويمضي، وتبقى القطيعة. فإذا كنت ظالما فبادر إلى التوبة وردّ الحقوق، وإذا كان الإصلاح ممكنا فاسع إليه بالحكمة. ولا تجعل الكِبْر يمنعك من خطوة قد تعيد المودّة إلى عائلة فرقتها الخصومات.

يا أيها الطالب، لا تجعل ليلة الامتحان موعدك الأول مع الكتاب. فقد يكون أمامك شهر كامل للاستعداد، فتؤجل الدراسة يوما بعد

يوم، ثم تضطر إلى السهر والتوتر ومحاولة حفظ ما كان ينبغي فهمه بالتدرّج. قسّم دراستك إلى أعمال صغيرة، وراجع بانتظام، وابدأ بما يصعب عليك قبل أن تتراكم الدروس. فإن التأجيل لا يُلغي المشقة، بل قد يجعلها أشد.

ويا مَن تعمل في وظيفة، احذر أن تجعل التأجيل عادة تُفسد بها مصالح الناس. فقد تؤخر معاملة يحتاج إليها صاحبها، أو تتكاسل عن إنجاز مهمة اؤتمنت عليها، أو تعد زميلا بالمساعدة ثم تتركه ينتظر. وإذا كنت تتقاضى أجرا مقابل عمل في وقت محدد، فلا تتعمّد إضاعة وقت العمل فيما لا يؤذن لك فيه. فإن الأمانة ليست في حفظ الأموال فقط، بل في أداء الأعمال والحقوق أيضا.

بعض الناس لا يبدؤون أيّ مشروع حتى تصبح الظروف مثالية. يريد أحدهم أن يتعلّم لغة، ولكنه ينتظر شراء أفضل الكتب، ويريد آخر أن يبدأ عملا مباحا، ولكنه ينتظر توفّر جميع الإمكانات. وقد تنتظر امرأة يوما خاليا من المسؤوليات لتنظّم بيتها، فلا يأتي ذلك اليوم. فابدأ بما تستطيع، واستعمل ما تملك من وسائل مباحة، ثم حسن عملك بالتدرج.

من أسباب التسويف أن الإنسان ينظر إلى العمل الكبير فيشعر بثقله، فيتركه كله. يرى غرفة تحتاج إلى ترتيب، أو كتابا يحتاج إلى دراسة، أو دَينا يحتاج إلى تنظيم سداده، فيقول: «هذا كثير، سأفعله لاحقا». والعلاج أن تقسّم العمل إلى خطوات واضحة. رتّب جزءا

من الغرفة، واقرأ صفحات محددة، وضع خطة واقعية للوفاء بالدَّيْن. فإن الخطوة الصغيرة التي تُنجزها اليوم خير من خطة ضخمة لا تبدأ بتنفيذها.

احذر أن تخدع نفسك بكثرة التخطيط دون تنفيذ. فقد يشتري أحدهم دفاتر جميلة، ويكتب أهدافا كثيرة، ويضع جدولا مفصّلا لكل ساعة، ثم لا يلتزم بشيء منه. وبعد أيام يترك الجدول ويبدأ بوضع جدول جديد. ليست العبرة بجمال الخطة فحسب، بل بصدق العمل. ضع برنامجا يناسب ظروفك، وابدأ بتنفيذه، وراجع أخطاءك، ولا تجعل التخطيط نفسه وسيلة للهروب من التنفيذ.

من أكبر أسباب ضياع الوقت أن يبدأ الإنسان يومه دون أن يعرف ما يريد إنجازه. يستيقظ، ويفتح الهاتف، ويرد على الرسائل، ويتابع الأخبار، ثم ينتقل من أمر إلى آخر حتى ينتهي النهار. جرّب أن تحدد في بداية يومك ثلاثة أعمال مهمة تريد إنجازها، وقدّم منها ما كان واجبا أو أشد حاجة. فإذا عرفت أولوياتك، قلّ احتمال أن تستهلك الأمور الصغيرة يومك كله.

يا أيها الأب، لا تؤجّل تربية أولادك إلى أن يكبَروا. قد تقول: «ما زالوا صغارا، وسأعلمهم الصلاة عندما يصبحون مراهقين، وسأتحدث معهم عن العقيدة والأخلاق عندما يفهمون أكثر». ثم تفاجأ بأنهم كبِروا وتعلّقت قلوبهم بعادات وأفكار يصعب تغييرها.

فابدأ تعليمهم ما يناسب أعمارهم، وعوّدهم على الخير، وعلمهم الصلاة عند بلوغهم سبع سنين قمرية، ولا تجعل انشغالك بالدنيا سببا في إهمال دينهم.

بعض الأزواج يؤجلون الاهتمام بعلاقتهم الزوجية حتى تتراكم المشكلات. يقول الزوج: «سأجلس مع زوجتي عندما يخفّ ضغط العمل»، وتقول الزوجة: «سأتحدث معه عن المشكلة عندما أجد الوقت المناسب». ثم تمر الأشهر، وتكبُر المسافة بين القلوب. لا تنتظر حتى تصبح العلاقة مهددة بالانهيار لتبدأ الإصلاح. خصص وقتا للحوار، واستمع إلى شريك حياتك، وعالج الخلافات قبل أن تتحول إلى جروح عميقة.

لا تجعل كثرة انشغالك سببا في إهمال صحتك. فقد يشعر الإنسان بأعراض تحتاج إلى مراجعة الطبيب، فيقول: «سأذهب الشهر القادم»، ثم يؤجل مرة بعد أخرى. وقد يُهمل النوم الكافي أو العلاج الموصوف أو الفحوص اللازمة، حتى تتفاقم المشكلة. فلا تتهاون بما تحتاج إليه من رعاية صحية، ولا تجعل التسويف يعرّضك لضرر كان يمكن تداركه.

من أسباب ضياع الوقت أن الإنسان لا يعرف كيف يعتذر عن الطلبات التي لا تلزمه. فقد يقضي يومه في تلبية رغبات الآخرين، ثم لا يجد وقتا لأعماله وحقوق أهله. تعلّم أن تُفرّق بين الواجب والمستحب والمباح، وأن تُعطي كل أمر قدره. وإذا طلب منك

إنسان خدمة غير واجبة وأنت لا تستطيع أداءها، فاعتذر بأدب. فإن حُسن إدارة الوقت يحتاج أحيانا إلى شجاعة قول «لا».

يا مَن اعتدت تأجيل الأعمال الصعبة، راقب نفسك عندما يأتي وقتها. قد تشعر فجأة برغبة في تنظيف المكتب، أو ترتيب الملفات، أو تصفّح الأخبار، مع أنك لم تكن تفكر في هذه الأمور قبل ذلك. وربما كانت هذه الأعمال وسيلة للهروب من المهمة الأساسية. فلا تنخدع بهذا الانشغال الظاهري، وابدأ بما ينبغي إنجازه، ولو لمدة قصيرة، حتى تكسر حاجز التردد.

لا تجعل الخوف من الفشل سببا في التسويف. فقد يؤجل الإنسان تقديم طلب وظيفة لأنه يخشى الرفض، أو يؤخر تعلّم مهارة لأنه

يخاف أن لا يُتقنها، أو يمتنع عن بدء مشروع مباح لأنه يتصور أسوأ النتائج. استشر أهل الخبرة، وادرس المخاطر، وخذ بالأسباب، ثم أقدم على ما ترجّح لك نفعه. فإن التأجيل المستمر لا يحميك دائما من الفشل، بل قد يحرمك فرصة النجاح والتعلّم.

من الناس من يُضيّع ساعات طويلة في متابعة أخبار لا تنفعه، ومناقشات لا تُثمر، ومقاطع لا يتذكر منها شيئا بعد دقائق. ثم إذا أراد قراءة كتاب أو تعلّم مسألة من علم الدين شعر بالتعب والملل. فراقب ما يدخل إلى يومك من مشاغل، ولا تجعل كل إشعار في هاتفك سببا لقطع عملك. فإن تشتيت الانتباه يُضعف القدرة على الإنجاز، ويجعل الأعمال البسيطة تستغرق وقتا أطول مما تحتاج إليه.

احذر من عادة ترك الأعمال نصف مُنجزة. فقد يبدأ الإنسان كتابا ثم يتركه، ويبدأ دورة تعليمية ثم ينقطع عنها، ويبدأ إصلاح عادة سيئة ثم يتوقف. وليس المطلوب أن تُتِم كل ما بدأت مهما تغيّرت الظروف، فقد يكون ترك بعض الأعمال هو القرار الصحيح. ولكن إذا كان العمل نافعا ومناسبا، فعوّد نفسك على الاستمرار حتى تُنجزه، ولا تجعل الحماس للبدايات بديلا عن الصبر على الإتمام.

يا سالك الطريق، اجعل لنفسك وقتا في نهاية اليوم تحاسب فيه نفسك. اسأل: «ما الواجب الذي أدّيته؟ وما الحق الذي قمت به؟ وما العمل النافع الذي أنجزته؟ وما الوقت الذي أضعته؟». ثم انظر كيف تُصلِح يومك التالي. ولا تجعل المحاسبة سببا في اليأس، بل

وسيلة للتعلّم والتقدّم. فمن عرف أين يُضيّع وقته استطاع أن يحسّن استعمال ما بقي منه.

يا أيها الآباء والأمهات، علّموا أولادكم حسن استثمار الوقت بالقدوة قبل الكلام. انصحوا أبناءكم بالاجتهاد وحسن استعمال الوقت، واحرصوا أن يَرَوا منكم ما يعينهم على العمل بنصائحكم. اجعلوا في بيوتكم أوقاتا للصلاة والعلم والدراسة والعمل والراحة المباحة، حتى ينشأ الأولاد وهم يعرفون أن الوقت نعمة ينبغي المحافظة عليها.

إذا شعرت أن أعمالك كثيرة ووقتك ضيق، فلا تجعل القلق يشُلّك عن الإنجاز. رتّب أولوياتك، وقدّم الواجب على المستحب، والمهم

على ما دونه، واستعن بالله، واطلب المساعدة فيما يجوز وتحتاج إليه. ولا تحمّل نفسك فوق طاقتها، فإن تنظيم الوقت لا يعني أن تعمل بلا راحة، بل أن تعطي العبادة والعمل والأهل والجسد حقوقهم دون إفراط أو تفريط.

يا مَن تقول دائما: «سأبدأ غدا»، اجعل اليوم بداية التغيير. لا تنتظر أن تصبح حياتك خالية من المشكلات، ولا أن تزول جميع مشاغلك. ابدأ بما يجب عليك فعله الآن، ثم بما تستطيع من الخير النافع. فإن التخطيط وحده لا يحقق الأهداف ما لم يصحبه عمل، وعمل صالح قليل تؤديه بإخلاص خير من أمنيات كثيرة لا تتحوّل إلى أفعال.

تذكّر أن أعمارنا ليست متساوية، وأن أحدا منا لا يعلم متى تنتهي أيامه. فقد يعيش إنسان سنوات طويلة ولا ينتفع بوقته، وقد يعيش آخر عمرا أقصر ويملؤه بالطاعة والعلم والإحسان. فلا تجعل همك مجرد كثرة السنين، بل حُسْن استعمال ما بقي منها. فإن قيمة العمر ليست في عدد أيامه فقط، بل فيما قدّمه صاحبه من إيمان وعمل صالح.

أخيرا، يا سالك الطريق إلى الله، لا تؤجل توبة تحتاج إليها، ولا صلاة حان وقتها حتى يخرج وقتها، ولا علما واجبا عليك تعلّمه، ولا حقّا يجب عليك أداؤه. وبادر إلى ما تستطيع من الخير، فإن اليوم الذي تعيشه نعمة، والغد الذي تنتظره ليس مضمونا. قال الله تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. فكن من أهل المبادرة، لا من أسرى التسويف، واجعل ساعاتك شاهدة لك بالطاعة والإحسان، لا شاهدة عليك بالغفلة والتقصير. واعلم أن أخطر ما في تأجيل الأعمال ليس أن يتأخر النجاح، بل أن ينقضي العمر قبل أن تبدأ.

إدمان الهاتف ومواقع التواصل الاجتماعي: حين تستهلك الشاشة عمرك وتصرفك عما ينفعك

يا سالك الطريق إلى الله، تأمّل حال كثير من الناس في زماننا: يستيقظ أحدهم فيمد يده إلى هاتفه قبل أن ينهض من فراشه، ولا ينام حتى يكون هاتفه آخر ما تقع عليه عيناه، ويمضي بين ذلك ساعات طويلة يتنقل بين الصور والمقاطع والأخبار والتعليقات. ولو سألته: أين ذهب يومك؟ لما استطاع أن يجيبك إجابة واضحة. لقد أصبح الهاتف عند بعض الناس رفيقا لا يفارقهم، حتى صاروا يخافون الابتعاد عنه أكثر مما يخافون ضياع أوقاتهم.

ليس الهاتف شرا في ذاته، ولا استعمال مواقع التواصل الاجتماعي محرّما بإطلاق، فقد تكون هذه الوسائل سببا في نشر العلم النافع، وتعليم الدين، وصلة الأرحام، وقضاء الحاجات، والدعوة إلى الله. ولكن الوسيلة النافعة قد تتحوّل إلى باب من أبواب الغفلة والمعصية إذا أُسيء استعمالها. فالعبرة ليست بامتلاك الهاتف، بل بما تفعله به، وبما يتركه استعماله من أثر في دينك وقلبك ووقتك.

من أعجب ما نراه أن بعض الناس يقول: ليس عندي وقت لحضور مجلس علم، ولا لتعلّم ما يلزمني من ديني، ولا لزيارة والدي، ولا للجلوس مع أولادي. ثم تجده يقضي ثلاث ساعات أو أربعا كل يوم في مشاهدة مقاطع لا تنفعه. يا أخي، المشكلة ليست دائما في

ضيق الوقت، بل في سوء ترتيب الأولويات. فقد تجد وقتا لما تميل إليه نفسك، ثم تعتذر بضيق الوقت عمّا ينفعك في دينك ودنياك.

احذر أن تتحوّل من إنسان يستعمل الهاتف إلى إنسان يتحكّم الهاتف في يومه ومِزاجه واهتماماته. فإذا كنت لا تستطيع تناول طعامك دون النظر إلى الشاشة، ولا الجلوس مع أهلك دون تفقّد الإشعارات، ولا الانتظار دقائق دون فتح تطبيق، فهذه علامات تدعوك إلى مراجعة عاداتك. فمن مجالات مجاهدة النفس أن تعوّدها على ترك ما لا تحتاج إليه، وألا تستسلم لكل رغبة تعرض لها.

يا طالب إصلاح القلب، لا تنظر إلى الإفراط في استعمال الهاتف على أنه مجرد مشكلة في تنظيم الوقت، بل انظر أيضا إلى أثره في

عبادتك وأخلاقك وعلاقاتك. فقد يشتت قلبك في الصلاة، ويشغلك عن طلب العلم، ويفتح عليك أبواب النظر المحرّم والغيبة والحسد، ويجعلك حاضرا بجسدك غائبا باهتمامك عمن حولك. فليست القضية كم ساعة أمضيت أمام الشاشة فقط، بل ماذا ربحت وماذا خسرت خلالها.

إذا استيقظت من نومك، فلا تجعل أول ما تبدأ به يومك تصفّح أخبار الناس وصورهم ومقاطعهم. ابدأ بما ينفعك من ذكر الله وأداء الصلاة إذا حضر وقتها، والقيام بما عليك من واجبات، ثم استعمل هاتفك فيما تحتاج إليه. فمن المؤسف أن يعرف الإنسان ما نشره المشاهير في الصباح، بينما يغفُل عما افترضه الله عليه.

بعض الناس يؤخرون الصلاة بسبب الهاتف، فيقول أحدهم: سأكمل هذا المقطع ثم أصلي. ثم ينتقل إلى مقطع آخر، حتى يوشك أن يخرج وقت الصلاة، وربما خرج وهو لم يصل. يا أخي، أي شيء هذا الذي جعلك تقدم مشاهدته على فريضة فرضها الله عليك؟ لا تجعل هاتفك ينافس الصلاة على مكانتها في قلبك، ولا تسمح لمقطع عابر أن يكون سببا في تضييع فريضة. أدّ الصلاة في وقتها، واجعل لها من اهتمامك ما يليق بعظم شأنها.

يا أيها الآباء والأمهات، انظروا إلى بيوتكم وقت اجتماع الأسرة. قد يجلس الأب والأم والأولاد حول مائدة واحدة، ولكن كل واحد منهم غارق في هاتفه، فلا حديث ولا مؤانسة ولا سؤال عن

الأحوال. لقد جمعتهم الجدران وفرّقتهم الشاشات. فاحرصوا على أن تكون أوقات الطعام والجلوس العائلي فرصة للتواصل وتقوية الروابط بين أفراد الأسرة، وأبعدوا الهواتف، وتحدثوا مع أولادكم، واستمعوا إليهم، قبل أن يُصبح الغرباء على الإنترنت أقرب إلى قلوبهم منكم.

من المؤلم أن يأتي طفل صغير إلى أبيه يريد أن يحدثه عن شيء أسعده أو أحزنه، فيقول له الأب وهو ينظر إلى هاتفه: انتظر قليلا. ثم يكرر الطفل طلبه، فيغضب الأب ويأمره بالسكوت. يا أيها الأب، قد يكون ما تشاهده أمرا تافها، ولكن ما يريد ولدك قوله عظيم في

نفسه. لا تجعل طفلك يشعر أن هاتفك أهم منه، فإن حاجته إلى اهتمامك وحنانك والاستماع إليه لا تعوضها الألعاب والهدايا.

احذر أن يصبح هاتفك مجلسا دائما للغيبة والنميمة. فقد تجلس وحدك في غرفتك، ولكنك تشارك في مجموعات يتكلم أصحابها في أعراض الناس، ويسخرون من أشكالهم، وينشرون أسرارهم، ويتناقلون فضائحهم. فلا تظن أن كتابة المعصية في رسالة أو تعليق إلكتروني تجعلها أقل خطورة. فإنك مسؤول عما تكتبه وتنشره، فاحفظ لسانك وأصابعك معا.

من الآثار الضارة لمواقع التواصل أنها قد تجعل الإنسان يقارن حياته الحقيقية بالصورة التي يعرضها الآخرون عن حياتهم. يرى بيوتهم

الجميلة، وأسفارهم، وأموالهم، واحتفالاتهم، فيشعر أن حياته ناقصة وأنه محروم من السعادة. وينسى أن الناس يَعرِضون غالبا أجمل لحظاتهم ويُخفون كثيرا من متاعبهم. فلا تجعل صور الآخرين سببا في احتقار نِعم الله عليك، ولا تسمح للشاشة أن تزرع السخط في قلبك.

بعض الناس أصبحوا أسرى للإعجابات والمشاهدات والتعليقات. فإذا نشر أحدهم صورة أو مقطعا ظل يراقب الأرقام، فإن ارتفعت فرح فرحا شديدا، وإن انخفضت حزن واضطرب. يا أخي، لا تجعل قيمتك في نظرك معلقة برقم يظهر على الشاشة. وإن كنت تنشر علما نافعا أو تدعو إلى الله، فاجتهد في الإخلاص، واستفد من

الأرقام في تقويم عملك ومعرفة ما يصل إلى الناس، ولا تجعلها غذاء لحب الظهور والتفاخر.

يا مَن تعمل في الدعوة إلى الله عبر الإنترنت، احذر أن تشغلك وسائل الدعوة عن مقاصدها. فقد ينشغل الداعية ساعات طويلة بتصميم المنشورات ومتابعة المشاهدات والردود، ثم يقصّر في تعلّم علم الدين أو في أداء حقوق أهله أو في إصلاح نفسه. نعم، نشر الخير عبر المنصات عمل نافع، ولكن ينبغي أن يكون منضبطا بالشرع، وألا يتحوّل إلى انشغال بالمظاهر والأرقام على حساب العلم والعمل والإخلاص.

لا تصدّق كل خبر يصلك عبر الهاتف، ولا تنشر كل رسالة مثيرة قبل التثبت منها. فقد يكون فيها كذب أو بهتان أو اتهام لبريء أو إثارة للفتنة بين الناس. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». فليكن لك ميزان قبل النشر: هل الخبر صحيح؟ وهل في نشره مصلحة مشروعة؟ وهل يترتب عليه ظلم أو أذى؟

من الناس مَن يفتح هاتفه لعمل يستغرق دقيقتين، ثم يجد نفسه بعد ساعة يتنقل بين التطبيقات، وقد نسي لماذا فتح الهاتف أصلا. إذا أردت علاجا عمليا لهذه العادة، فحدد قبل فتح الجهاز ما تريد

فعله، وأنجزه، ثم أغلق التطبيق. ولا تتبع كل اقتراح يظهر أمامك، فإن كثيرا من المنصات صُمّمت لجذب انتباهك وإطالة بقائك فيها.

إذا كنت لا تستطيع ترك الهاتف أثناء مجلس العلم، فراجع نفسك. فقد يجلس أحدهم بين يدي المعلم، ثم ينشغل بالرسائل والإشعارات، فيُفوّت عليه من العلم ما حضر لأجله. ومن أدب طالب العلم أن يُحسِن الاستماع، وأن يُعظّم المجلس الذي يتعلّم فيه دينه. فأغلق ما لا تحتاج إليه، ولا تجعل إشعارا عابرا يصرفك عن مسألة قد تحتاج إليها في عبادتك.

يا أيها الزوج، ويا أيتها الزوجة، لا تجعلا الهاتف ضيفا دائما بينكما. فقد يشكو أحد الزوجين من أن شريكه لا يتحدث معه، ولا يستمع

إلى همومه، ولا يشاركه تفاصيل يومه، بينما يقضي ساعات في متابعة الغرباء. إن المودّة تحتاج إلى وقت واهتمام وحسن إصغاء. فلا تنتظر ممن تشاركه حياتك الزوجية أن يشعر بقربك، وأنت لا تمنحه إلا ما تبقّى من انتباهك بعد ساعات التصفح.

من أبواب الفتنة أن يتوسّع الرجل أو المرأة في المحادثات الخاصة مع مَن ليسوا من المحارم عبر وسائل التواصل، فتبدأ المراسلات بكلمات عادية، ثم قد تتحول إلى تعلّق عاطفي وكلام محرّم، وربما أدت إلى خيانة وخراب بيوت. وليست كل مراسلة لغرض مباح ممنوعة، ولكن الواجب مراعاة حدود الشرع والحذر مما يفضي إلى

الحرام. فلا تستهن بمضمون الكلام ومآلاته، واحفظ قلبك وبصرك ولسانك.

لا تظن أن كل ما يضحكك أو يُسلّيك يستحق أن تمنحه وقتك. فقد تمضي ساعات في مشاهدة مقاطع قصيرة لا تتذكر منها شيئا بعد إغلاق الهاتف. وليس الترويح المباح ممنوعا، فإن النفس تحتاج إلى الراحة، ولكن اجعل الترفيه بقدر، ولا تسمح له بأن يبتلع ساعات يومك ويزاحم واجباتك. فهناك فرق بين راحة تُعينك على النشاط، ولهو يتركك أكثر كسلا وغفلة.

إذا أردت أن تقلل تعلقك بالهاتف، فابدأ بخطوات واضحة. أوقف الإشعارات غير الضرورية، وأبعد التطبيقات التي تستهلك وقتك

بلا فائدة، وحدد أوقاتا للتصفح، ولا تحمل هاتفك إلى فراشك إن كان يُفسد نومك. ولا تنتظر أن تختفي الرغبة في التصفح من تلقاء نفسها، بل درّب نفسك على مخالفة العادة، فإن مجاهدة النفس تحتاج إلى صبر ومواظبة.

انتبه إلى أثر الهاتف في نومك وصحتك. فقد يسهر الإنسان إلى ساعات متأخرة يشاهد المقاطع ويتنقّل بين الصفحات، ثم يستيقظ متعبا، فيُقصّر في عمله، ويضعف تركيزه، وربما يفوته أداء صلاة الفجر في وقتها. فلا تجعل متعة ساعة من السهر سببا في فساد يوم كامل.

يا أيها الآباء والأمهات، لا تُعطوا الطفل هاتفا يستطيع من خلاله الوصول إلى كل شيء دون رقابة، ثم تتعجبوا مما يتعلّمه أو يشاهده. ضعوا ضوابط تناسب عمره، واعرفوا التطبيقات التي يستعملها، وتابعوا من يتواصل معه بحكمة، وعلّموه أنه ليس كل ما يظهر على الشاشة صحيحا أو مباحا. ولا تكتفوا بالمنع والتحذير، بل وفّروا له من الأنشطة النافعة والصحبة الصالحة ما يعينه على حسن استعمال وقته.

جرب أن تخصص في يومك وقتا تبتعد فيه عن الهاتف، فتتعلّم مسألة من علم الدين، أو تجلس مع أهلك، أو تتفكر في أحوال نفسك، أو تُنجز عملا تؤجله منذ مدة. وإذا كنت قد تلقّيت القرآن من

أهل المعرفة بقراءته، فاجعل لتلاوته نصيبا من وقتك. وستكتشف أن كثيرا من الأمور التي كنت تظن أنك لا تجد لها وقتا يمكن إنجازها إذا استعدت بعض الساعات التي كانت تضيع في التصفح.

اسأل نفسك في نهاية اليوم سؤالا صريحا: ماذا أخذ الهاتف من وقتي، وماذا أعطاني؟ هل تعلّمت علما نافعا؟ هل وصلت رحما؟ هل نشرت خيرا؟ هل قضيت حاجة؟ أم أنني أمضيت ساعات في متابعة ما لا يعنيني؟ لا تحاسب نفسك بعدد الدقائق فقط، بل بما فعلته وبآثاره في دينك ودنياك. فإن محاسبة النفس تكشف للإنسان عادات كان يظنها بسيطة، وهي تستنزف جزءا كبيرا من عمره.

يا سالك الطريق إلى الله، اجعل هاتفك خادما لأهدافك النافعة، لا سيّدا على وقتك. استعمله لتعلّم علم الدين، وسماع الدروس، وصلة الأرحام، والدعوة إلى الله، وقضاء المصالح المباحة. فالجهاز نفسه الذي قد يشغلك عن الطاعة يمكن أن يكون وسيلة إلى أعمال خير كثيرة، والعبرة بما تختاره وبمقدار انضباطك في استعماله.

لا تنتظر حتى تضيع منك سنوات لتكتشف أن أكثر ذكرياتك كانت أمام شاشة صغيرة. اجلس مع والديك ما داما على قيد الحياة، والعب مع أولادك قبل أن يكبَروا، وأحسن معاشرة زوجك أو زوجتك، وزر أقاربك، ورافق أهل العلم والصلاح. فإن كثيرا من

هذه الفرص إذا مضت لا تعود، ولا يستطيع الهاتف أن يعوّضك عن لحظة محبة صادقة فاتتك.

إذا وجدت نفسك شديد التعلق بالهاتف، فلا تيأس من تغيير عادتك. ابدأ بتقليل الاستعمال شيئا فشيئا، واستبدل بعض أوقات التصفح بأعمال نافعة، واطلب المساعدة إذا صار الأمر خارجا عن قدرتك على التنظيم وأثّر في حياتك تأثيرا شديدا. وتذكّر أن التغلب على عادة سيئة لا يتحقق دائما في يوم واحد، بل يحتاج إلى صبر وثبات ومتابعة.

تذكر أنك ستُسأل يوم القيامة عن عمرك فيم أفنيته، وعن علمك ماذا عملت به، وعن مالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته، وعن

جسمك فيم أبليته، كما جاء في الحديث. فكيف ترضى أن يمضي جزء كبير من عمرك في أمور لا تنفعك، وربما تضرك؟ اجعل استحضار الحساب دافعا إلى حسن استعمال وقتك، والحرص على ما ينفعك في آخرتك.

وأخيرا، يا طالب إصلاح القلب، لا تجعل أصابعك أسرع إلى فتح التطبيقات من همتك إلى الطاعة، ولا تجعل اهتمامك بأخبار الناس أكبر من اهتمامك بإصلاح نفسك. ضع الهاتف في موضعه الصحيح، وأعط الصلاة حقها، والعلم حقه، والوالدين حقهما، والزوج أو الزوجة والأولاد حقوقهم، والنفس حقها من الراحة المباحة. فعمرك أثمن من أن تستهلكه الشاشات، وأيامك أغلى من

أن تُضيّعها فيما لا ينفع، والسعيد من جعل وسائل الدنيا عونا له على طاعة الله، لا سببا في الغفلة عنها.

قوة الشخصية والشجاعة في قول «لا»

يا أهل الطريق، أريد أن أحدثكم اليوم عن أمر مهم قد يغيّر حياة الإنسان، بل قد يكون سببا في نجاته من معاص ومصائب عظيمة، وهو قوة الشخصية والثقة بالنفس، والشجاعة في قول كلمة صغيرة في حروفها، عظيمة في أثرها، وهي كلمة «لا».

عندما كنت أدخل السجون الكندية لتعليم السجناء أمور الإسلام، اطلعت على دراسة تناولت بعض الأسباب التي قد تدفع الناس إلى ارتكاب الجرائم ودخول السجن. وكان مما لفت انتباهي فيها ضعف

الشخصية والعجز عن رفض طلبات الآخرين، حتى عندما يعلم الإنسان أن ما يُطلب منه خطأ أو حرام.

تصوروا شابا يعرف أن تعاطي المخدِّرات حرام ومضر، ولكنه يجلس مع رفقاء السوء، فيقدمون له المخدّر ويقولون: «جرب». فيخجل من الرفض، ويخشى أن يسخروا منه، فيتناوله، لا لأنه مقتنع به، بل لأنه لم تكن لديه الشجاعة ليقول: «لا».

وقد يطلب منه أحد رفاقه أن يشارك في سرقة أو اعتداء أو عمل محرم، وهو يعلم أن ذلك خطأ، ولكنه يخاف أن يرفض لئلا يخسر صداقتهم أو يتهموه بالجبن، فيوافق، ثم قد يجد نفسه أمام الشرطة والمحاكم، وتنقلب حياته رأسا على عقب.

يا طالب الطريق، لا يكفي أن تعرف الحلال والحرام، بل تحتاج أيضا إلى قوة شخصية تعينك على العمل بما تعلّمت. فإذا علمت أن أمرا محرّم، فلا تجعل الخجل من رفضه سببا للوقوع فيه.

تعلّم أن تقول «لا» عندما يكون الرفض هو الموقف الصحيح. فليست هذه الكلمة دائما علامة على سوء الأدب أو قلّة الاحترام، بل قد تُنقذك من معصية، وتحفظ كرامتك، وتحمي مستقبلك. تعلّم متى تقول «نعم»، ومتى تقول «لا»، ولا تجعل خوفك من الناس يتحكم في قراراتك.

لا تجعل خوفك من خسارة الأصدقاء سببا لخسارة نفسك. فإذا كان صديقك لا يحترمك إلا عندما توافقه على الحرام، فهذه ليست

صداقة نافعة. الصديق الصالح لا يطلب منك أن تعصي الله حتى يرضى عنك، بل يُعينك على طاعته وينصحك إذا أخطأت.

ليس كل من يرفض ضعيفا، وليس كل من يوافق شجاعا. فقد يكون أشجع إنسان في المجلس هو الذي يقول: «لن أفعل هذا»، بينما يوافق الآخرون خوفا من السخرية أو الرفض. فالشجاعة ليست دائما في الإقدام، بل قد تكون في الامتناع.

يا طالب الطريق، لا تبع مبادئك مقابل قَبول الناس لك. فبعض الناس يغيّر كلامه ومواقفه وتصرفاته حسب من يجالسه، فإذا كان مع الصالحين سار معهم في الخير، وإذا كان مع أهل الفساد جاراهم

في الفساد. فأين شخصيتك؟ وأين مبادئك؟ لا تجعل دينك تابعا لرضا الناس عنك.

قد تُعرَض عليك معصية لا يستغرق رفضها إلا ثواني معدودة، ولكن الموافقة عليها قد تترك آثارا تمتد سنوات. فلا تستهن بقوة القرار، ولا تحتقر كلمة «لا» حين تكون واجبة أو ضرورية.

لا تخلط بين الحياء وضعف الشخصية. فقد يمتنع الإنسان عن الاعتراض لأنه يظن أن الرفض قلة أدب. والحياء خلُق محمود، ولكنه لا يمنعك من رفض الحرام، ولا من المطالبة بحقك، ولا من حماية نفسك من الاستغلال. فكن حييا مؤدبا، ولا تكن عاجزا عن قول الحق.

إذا كنت في مجلس يُقدّم فيه الخمر، أو يُتعاطى فيه الناس المخدِّرات، أو يدعونك فيه إلى معصية، فلا تخجل من رفض المشاركة. وأمر بالمعروف وانه عن المنكر على وَفق أحكام الشرع وما تستطيعه. لماذا تخجل من طاعة الله، بينما لا يخجل بعضهم من المعصية؟

لا تجعل السخرية تهزمك. قد يقولون لك: «أنت جبان، أنت متشدد، أنت لا تعرف كيف تستمتع بالحياة». فهل ستغير مبادئك بسبب كلمات يقولونها؟! لا تجعل سخريتهم تقودك إلى الحرام، فإن ما يقولونه اليوم قد ينسونه غدا، أما عواقب فعلك فقد تبقى معك طويلا.

نحن ندعوك إلى قوة الشخصية، لا إلى الكِبر والظلم. كن واثقا من قدرتك على اتخاذ القرار الصحيح بعون الله، ولكن لا تحتقر غيرك، ولا تتكبر على أحد، ولا تظن أنك معصوم من الخطإ.

ليس صاحب الشخصية القوية هو الذي يصرخ أكثر، أو يهدد أكثر، أو يفرض رأيه بالقوة. بل من علامات قوة الشخصية أن تضبط غضبك، وتتحكم في تصرفاتك، وترفض الحرام، وتثبت على الحق دون ظلم أو اعتداء.

بعض الناس يخاف أن يبقى وحيدا، فيقبل علاقات مؤذية، أو يوافق على أشياء لا يريدها، حتى لا يخسر من حوله. يا أخي، لا تجعل

حاجتك إلى الصحبة سببا للتنازل عن دينك وكرامتك. فالوحدة المؤقّتة قد تكون أهوَن من صحبة تجرّك إلى المعاصي والمصائب.

تعلّم أن ترفض بهدوء وحزم. إذا طلب منك أحد أمرا محرّما، فقل: «لا، لن أشارك في هذا الأمر». وإذا طلب منك أمرا لا يجب عليك ولا تستطيع القيام به، فاعتذر بأدب. لا تحتاج إلى الصراخ ولا إلى الشتائم حتى تثبت أنك صاحب شخصية قوية.

ولا تُكثر من تبرير رفضك في كل موقف. فبعض الناس إذا قال «لا» شعر أنه مطالب بتقديم عشرات الأعذار حتى يرضى الآخرون. تعلّم أن تقول بأدب: «لا أستطيع»، أو «لا أوافق على

هذا». وليس كل قرار شخصي يحتاج إلى تبرير مُطوّل، مع مراعاة حقوق الآخرين وما يجب عليك تجاههم.

انتبه إلى ضغط الجماعة. قد تكون وحدك مقتنعا أن العمل خطأ، ولكنك ترى عشرة أشخاص يوافقون عليه، فتبدأ تشك في موقفك. تذكّر أن كثرة الموافقين لا تجعل الحرام حلالا، ولا تجعل الخطأ صوابا. فلا تجعل الكثرة وحدها ميزانا للحق والباطل.

لا تجعل رغبتك في الظهور بمظهر الشجاع تدفعك إلى التهوّر. قد يستفزك أحدهم فيقول: «إذا كنت رجلا فافعل كذا»، فيدفعك غرورك إلى عمل خطير أو محرم. يا طالب الطريق، ليست الشجاعة

أن تُثبت قوتك أمام السفهاء، بل أن تملك نفسك وترفض الاستفزاز.

الثقة بالنفس تُبنى بالمواقف الصغيرة. ابدأ من حياتك اليومية، فإذا طلب منك أحد أمرا لا يجوز فارفضه، وإذا حاول شخص استغلالك فضع حدودا مناسبة، وإذا أخطأت فاعترف، وإذا جهلت فقل: «لا أعلم». ومع الممارسة تصبح أقدر على اتخاذ القرارات الصعبة.

وإذا وقعت في الخطإ بسبب خوفك من الناس، فلا تيأس من إصلاح نفسك. ربما وافقت في الماضي على أمر محرّم لأنك لم تجرؤ

على الرفض. تب إلى الله، وتعلّم من تجربتك، ودرّب نفسك على اتخاذ موقف مختلف إذا تكرر الأمر.

صاحب الشخصية القوية يقبل النصيحة. لا تظن أن الثقة بالنفس تعني رفض كل توجيه، أو الاعتراض على كل نصيحة. بل من قوة الشخصية أن تسمع الحق، وأن تتراجع عن الخطإ، وأن تقول: «كنت مخطئا». أما الإصرار على الباطل خوفا من الاعتراف بالخطإ فليس قوة، بل ضعف تستّر بالعناد.

يا شاب، إذا دعاك أصحابك إلى المخدِّرات أو السرقة أو الاعتداء، فلا تكتف برفض الفعل، بل ابتعد عن الصحبة التي تجرك إلى الفساد. فإن البقاء في مواطن الفتنة مع ضعف القدرة على المقاومة

قد يُعرّضك للخطر مرة بعد مرة. وابحث عن أصحاب يعينونك على الخير ويحترمون استقامتك.

يا فتاة، إذا حاول أحد أن يضغط عليك لتفعلي ما لا يحل لك، أو هددك بتركك إن لم تستجيبي لطلب محرّم، فلا تجعلي خوفك من فُقدانه يدفعك إلى التنازل عن دينك وكرامتك. وإذا هددك أو ابتزك، فاطلبي المساعدة ممن تثقين به، ولا تتحمّلي الأذى وحدك.

لا تجعل لطفك بابا لاستغلالك. فبعض الناس يعرف أنك تخجل من الرفض، فيُكثر طلباته منك، ويضغط عليك، ويحمّلك ما لا تطيق. تعلّم أن تساعد عندما تستطيع، وأن تعتذر عما لا يجب

عليك إذا لم تستطعه. فالإحسان إلى الناس لا يعني أن تترك لهم التحكم في حياتك.

قد يكون الإنسان كثير الصلاة والذكر، ولكنه إذا جلس مع رفقاء السوء ضعُف أمامهم ووافقهم على المعصية. يا طالب الطريق، اجتهد في أن يظهر أثر عبادتك في قراراتك ومواقفك، لا في مجلس العبادة فقط. فإن من ثمرات العلم والطاعة أن يُعينا الإنسان على مخالفة هواه والثبات على الحق.

لا تظن أن قول «لا» يحتاج دائما إلى مواجهة طويلة. أحيانا يكفي أن تقول: «لا أريد»، وأحيانا يكون الأفضل أن تنصرف من المكان.

وإذا كان الموقف خطيرا، فاحفظ سلامتك واطلب المساعدة، ولا تدخل في مواجهة تعرّضك للأذى.

حدد مبادئك قبل أن تتعرض للضغط. قرر من الآن أنك لن تتعاطى المخدِّرات، ولن تشارك في ظلم أو سرقة أو غِش، ولن توافق على معصية لإرضاء الآخرين. فالقرار الذي تتخذه بهدوء مسبقا قد يكون أسهل عليك من القرار الذي تحاول اتخاذه تحت الضغط.

وقبل أن توافق على أمر مهم، اسأل نفسك: هل هذا جائز شرعا؟ هل فيه ضرر عليّ أو على غيري؟ هل أفعله عن اقتناع أم خوفا من الناس؟ وما عواقبه؟ وإذا احتجت إلى المشورة، فاستشر من تثق بدينه وعلمه أو خبرته في الأمر الذي تسأل عنه.

واعلم أن قوة الشخصية لا تُبيح لك رفض حقوق الآخرين. فليس من الشجاعة أن يقول الإنسان «لا» لواجب عليه، أو لحق يجب أن يؤديه. فالقوة المحمودة أن ترفض الحرام، وأن تثبت على الحق، وأن تؤدي ما عليك من واجبات ولو خالف ذلك هواك.

اربط ثقتك بنفسك بالتواضع والاستعانة بالله. اعرف قدراتك، ونمّ مهاراتك، وتحمل مسؤولية قراراتك، ولكن لا تغتر بنفسك. احمد الله على ما وفقك إليه، وتذكر أنك قد تخطئ وتحتاج إلى النصيحة. فالثقة المحمودة لا تنافي التواضع، والحزم لا ينافي الرحمة.

يا طالب الطريق، لا أريدك أن تكون إنسانا يسهل على كل أحد أن يقوده إلى حيث يشاء. أريدك صاحب عقل ودين وشخصية،

تعرف الحق فتتبعه، وتعرف الحرام فتجتنبه، ولو خالفك الناس. كن لطيفا في معاملتك، قويا في تمسكك بالحق، متواضعا مع الناس، عزيز النفس عن الحرام.

يا أحبابي، لا نريد من السلوك أن يجعل الإنسان خائفا من الناس، عاجزا عن اتخاذ القرار، مستسلما لكل ضغط. نريد سلوكا يُربي الإنسان على الصدق والشجاعة وضبط النفس والثبات على الحق، ويجعله قويا دون تكبّر، متواضعا دون ضعف، لطيفا دون سذاجة، شجاعا دون تهور.

وأخيرا، يا طالب الطريق، احفظ هذه القاعدة جيدا: لا تجعل أحدا يقودك إلى معصية. لا توافق لأنك تخجل، ولا لأنك تخاف أن

يسخروا منك، ولا لأنك تريد أن تكون محبوبا. قل «لا» عندما يجب أن تقولها، فقد تخسر بها صديقا سيئا، ولكنك تحمي نفسك من مصيبة عظيمة. وقد يغضب منك إنسان لأنك رفضت الحرام، ولكنك تكون قد قدّمت طاعة الله على رضاه. فليس السالك من يُكثر الكلام عن الطريق فقط، بل من يثبت على الحق عندما تدعوه نفسه أو يدعوه الناس إلى خلافه.

اللهم ارزقنا قوة في الحق، وثباتا على الطاعة، وشجاعة في رفض الحرام، وحكمة في اتخاذ القرارات. اللهم لا تجعلنا ممن يبيعون دينهم لإرضاء الناس، ولا ممن يتكبرون على عبادك، واجعلنا متواضعين أقوياء في الحق، ثابتين على طاعتك حتى الممات.

الصلاة ميزان السالك وأساس استقامته

لا تبحث بعيدا عن أول علامات صدقك في الطريق. انظر إلى صلاتك: كيف تحافظ عليها؟ وكيف تستعد لها؟ وما مكانتها في قلبك؟ فالصلاة ليست أمرا هامشيا في حياة السالك، بل هي من أعظم أسس استقامته.

أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله الصلاة الواجبة. فلا تظن أنك تسلك طريق الصالحين وأنت من المتهاونين بالصلاة. وقبل أن تبحث عن كثرة الأوراد والنوافل، انظر إلى الفرائض التي أوجبها الله عليك، فإن الفرائض مُقدّمة على النوافل.

ليس السلوك أن تُكثر الكلام عن صفاء القلب وأسرار الطريق، ثم تنقر الصلاة نقرا. السلوك تربية تظهر آثارها في عبادتك وأخلاقك ومعاملاتك. من أعظم ثمار التأثر بالمواعظ أن يظهر أثرها في تحسين صلاتك، والازدياد من الطاعات، والابتعاد عن المعاصي.

من شأن السالك أن يتهيأ للصلاة قبل دخولها، لا أن يدخلها بجسد حاضر وقلب لا يزال يجري خلف الدنيا. اجعل للصلاة هيبة في قلبك، وتوضأ لها بعناية، وأقبل عليها بسكينة، واحرص على أداء أركانها وشروطها كما أمر الله.

لا يكن همك في الصلاة أن تنتهي منها، بل ليكن همك أن تؤديها على الوجه الذي يرضي الله. واجعل من أهداف سلوكك أن

تتحسن صلاتك شهرا بعد شهر، فتزداد عناية بأحكامها، وحرصا على الطمأنينة فيها، وتعظيما لله عند أدائها.

لا تجعل ثناء الناس ميزانك، بل انظر إلى حالك مع فرائض الله، وفي مقدّمتها الصلاة. قد يمدحك ألف إنسان، وقد يظنون بك الصلاح، ولكن السؤال الذي ينبغي أن تواجه به نفسك هو: كيف أنا مع الصلاة؟ فلا تنخدع بصورة رسمها الناس عنك، وأنت أعرف منهم بتقصيرك.

حين يُغلق عليك الباب، ويحين وقت الصلاة، ولا يراك أحد من الناس، هناك يظهر شيء من صدقك. هل تقوم إلى الصلاة مبادرا،

أم تتثاقل وتؤخرها؟ لا تجعل حسن ظن الناس بك يحجُب عنك ما تعرفه من تفريطك في حق الله.

الولي لا يتقرب إلى الله بترك فرائضه. ومَن طلب مقامات الصالحين وهو مضيّع للصلاة، فقد طلب الثمرة قبل أن يغرس الشجرة. لا تحدثني عن الأسرار والأذواق والمقامات قبل أن تحدثني عن الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

تريد السلوك؟ ابدأ بالمحافظة على الصلاة. تريد إصلاح القلب؟ عظّم الصلاة. تريد أن تعرف أين أنت من الطريق؟ انظر إلى صلاتك، لا إلى عدد من يمدحك، ولا إلى مكانتك بين الناس.

فليس المهم أن يظن الناس أنك من الصالحين، بل أن تجتهد في أن تكون منهم حقا.

اللهم أصلح صلاتنا، وثبت قلوبنا على طاعتك، واجعلنا من عبادك الصالحين.

الشوق إلى الصلاة وحلاوة المحافظة عليها

رُوي عن عن أحد الصالحين رضي الله عنه أنه قال: «ما جاء وقت صلاة قط إلا وقد أخذت لها أُهبتها». وروي عنه أيضا أنه قال: «ما دخل عليّ وقت صلاة إلا وأنا مشتاق إليها»، وأنه قال: «ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء». فتأمل هذه الهمة العالية، وهذا الاستعداد للصلاة، وهذا الشوق إليها.

بعض الناس ينتظر انتهاء الصلاة، وبعضهم ينتظر دخول وقتها شوقا إليها. فالصلاة عند مَن رزقه الله محبتها ليست عبئا يريد

التخلص منه، بل طاعة يفرح بها ويشتاق إلى أدائها. وما أجمل أن ينتقل الإنسان من مجرد أداء الواجب إلى الفرح بأدائه.

كان من شأن الصالحين الاستعداد للصلاة والعناية بها، ونحن أحوج ما نكون إلى أن نُربي نفوسنا على ذلك. فلا تجعل الصلاة آخر ما تفكر فيه بعد أعمالك ومشاغلك، بل اجعل لها مكانة في قلبك، واستعد لها قبل دخول وقتها متى استطعت.

يا طالب الطريق، من نعم الله العظيمة أن يرزقك محبة الصلاة والشوق إليها. فإذا وجدت نفسك تنتظر وقتها بفرح، فاحمد الله على هذه النعمة، ولا تغترّ بحالك. وإذا لم تجد هذه الحلاوة، فلا

تيأس ولا تترك المجاهدة، فقد يكون في مخالفة النفس والثبات على الطاعة خير عظيم.

لا تنتظر حضور القلب حتى تصلي، بل حافظ على الصلاة في وقتها، وأحسن أداءها، وجاهد نفسك على الخشوع فيها. فإن الإنسان قد يبدأ الطاعة وهي ثقيلة على نفسه، ثم يُعينه الله على الاستمرار فيها حتى يُصبح أداؤها أحب إليه وأيسر عليه.

إذا قالت لك نفسك عند دخول وقت الصلاة: «بعد قليل»، فلا تجعل التسويف عادة لك، بل بادر إلى أدائها. وكلما انتصرت على الكسل والتثاقل، ازددت تمرّسا على مجاهدة النفس. فلا تستصغر

هذه الانتصارات التي لا يراها الناس، فقد يكون لها أثر عظيم في إصلاح قلبك.

قد تبدأ المحافظة على الصلاة بمجاهدة النفس، ثم تصبح محافظتك عليها عادة راسخة، ثم يرزقك الله حلاوتها، حتى يصبح فواتها أمرا ثقيلا على قلبك. فلا تستعجل الثمرة، ولا تتوقف عن السير لأنك لم تجدها بعد. وتذكر أن من ثبت نبت.

كل صلاة تحافظ عليها فيها فرصة لتربية نفسك على الطاعة، وكل مرة تقدّم فيها الصلاة على ما يشغلك تعوّد فيها قلبك تقديم حق الله على هوى النفس. فلا تجعل صلاتك مجرد حركات تؤديها، بل

اجتهد في أن تكون سببا لزيادة خوفك من الله وحرصك على طاعته.

لا تستسلم للفتور، ولا تظن أن قلبك سيبقى على حال واحدة. قد تمر بأيام تجد فيها نشاطا وإقبالا على الطاعة، وأيام تجد فيها كسلا وثِقَلا. فإذا أقبل قلبك فاحمد الله، وإذا فتر فاستعن بالله واثبت على الفرائض، ولا تجعل تقلّب مشاعرك سببا للتفريط في واجباتك.

اجعل من أهدافك أن يأتي عليك يوم تسمع فيه الأذان فيفرح قلبك قبل أن تتحرك قدماك. وإذا فاتتك حلاوة الصلاة اليوم، فلا

تيأس من أن يرزقك الله إياها غدا. داوم على الطاعة، وأكثر من الدعاء، واسأل الله أن يجعل الصلاة قرّة عين لك.

يا سالك الطريق، لا تبحث عن حلاوة السلوك بعيدا عن طاعة الله. أصلح صلاتك، وعظّمها، وحافظ عليها، وجاهد نفسك حتى تألف المبادرة إليها. فإن رزقك الله الشوق والحلاوة فاحمده، وإن لم تجد ذلك فلا تترك الطاعة، فالعبرة أن تثبت على ما أمرك الله به.

اللهم حبّب إلينا الصلاة، وأعنّا على المحافظة عليها، وارزقنا الخشوع فيها، واجعلها قرة أعيننا، وثبّتنا على طاعتك حتى الممات.

أدب الوضوء والاستعداد للصلاة

إسباغ الوضوء عبادة عظيمة، والعناية بسننه زيادة في الخير، والدخول في الصلاة بقلب حاضر نعمة جليلة. فلا تجعل الوضوء مجرد عمل تؤديه على عجل، بل أحسنه وأعطه ما يستحق من العناية.

من جمال السلوك إلى الله أن يكون لوضوئك وقار، ولصلاتك هيبة، ولذكرك حضور. فمَن اعتاد العجلة والغفلة في الوضوء قد يحمل هذه العادة معه إلى الصلاة، ومَن عوّد نفسه السكينة عند الوضوء، كان أقرب إلى السكينة في الصلاة.

لا تهمل سنن الوضوء بحجة أنها ليست فرائض، فالسالك إلى الله حريص على أبواب الخير. ومن ذلك التسمية، والسواك، وغسل الكفين في ابتداء الوضوء، والتثليث فيما يُسن فيه، والذكر الوارد بعده .وهذه أعمال ينبغي أن تحرص عليها مع المحافظة على فرائض الوضوء وشروطه.

إذا فرغت من وضوئك، فلا تندفع إلى الصلاة اندفاع الغافل. أقبل عليها بسكينة، واجمع قلبك، وحاول أن تُبعد عن ذهنك ما يشغلك من أمور الدنيا. وقبل التكبير، تذكر أنك مُقبل على أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

إذا قلت: «الله أكبر»، فاستحضر عظمة الله، ولا تدع مشاغل الدنيا تستولي على قلبك. ومن أدب الصلاة أن تجتنب العبث فيها، وأن تجاهد نفسك على الخشوع، وأن تؤدي أركانها بطمأنينة وعناية.

يا سالك الطريق إلى الله، ليكن وضوؤك وضوء مَن يعظم العبادة، ومشيك إلى الصلاة مشي مَن يشتاق إليها، وتكبيرك تكبير مَن ترك مشاغل الدنيا وراء ظهره، وصلاتك صلاة مَن يستحضر أن الله يراه ويسمعه.

اللهم أعنا على إحسان الطهارة والصلاة، وارزقنا الخشوع وحضور القلب، واجعلنا من المحافظين على فرائضك وسنن نبيك صلى الله عليه وسلم.

أسرار الذكر وأثره في حياة القلب

يا طالب الطريق إلى الله، هناك باب عظيم من أبواب الخير، لا يحتاج إلى مال، ولا إلى سفر، ولا إلى مشقة عظيمة، ومع ذلك فهو من أجل أبواب الطاعة، ومن أعظم أسباب حياة القلوب وصفائها وطمأنينتها. إنه باب ذكر الله تعالى.

سبحان الله. كم من إنسان يبحث عن الراحة في السفر، وعن السعادة في المال، وعن الطمأنينة في صحبة الناس، وينسى أن من أعظم أسباب طمأنينة القلب ذكر الله. قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. فما أعظم هذا الباب، وما أشد حاجتنا إليه.

لا تستصغر قولك: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». إنها كلمات يسيرة على اللسان، عظيمة الفضل والثواب. فكيف يزهد العاقل في عبادة يستطيع أن يُكثر منها في يومه وليلته؟ ومن أعظم أسرار الذكر أنك تستطيع أن تلازمه في أحوال كثيرة، وأنت تمشي، وأنت تنتظر، وأنت جالس، وأنت في طريقك إلى العمل. فكم من أوقات تمر دون فائدة، ولو عمّرتها بالذكر لجمعت فيها خيرا كثيرا.

الذكر باللسان عبادة عظيمة، وحضور القلب والتفكر في معاني الذكر يزيدان العبد انتفاعا بهذه العبادة. فإذا قلت: «أستغفر الله»، فتذكّر حاجتك إلى مغفرة ربّك، وإذا قلت: «الحمد لله»، فتذكّر

نعم الله عليك، وإذا قلت: «لا إله إلا الله»، فاستحضر عظمة التوحيد. وهكذا يجتمع ذكر اللسان مع حضور القلب، فيزداد العبد انتفاعا بذكره.

يا طالب الطريق، هل جربت أن تجعل لك وقتا تجلس فيه بعيدا عن الضجيج، تذكر الله بالتسبيح والتهليل والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا تنتظر أحدا، ولا تشغل نفسك بأخبار الناس. وما أجمل أن تكون وحدك في غرفتك، لا يراك أحد، ولسانك عامر بذكر الله، وقلبك مقبل على الطاعة. لا تحتاج إلى جمهور ولا إلى ثناء، وإنما ترجو ثواب ربّك ورضاه.

بعض الناس إذا جلس وحده ضاق صدره، وأسرع إلى هاتفه يبحث عما يشغله. أما مَن اعتاد الذكر، فقد يجد في خلوته فرصة ثمينة للتسبيح والاستغفار والدعاء. فليست الوحدة دائما وحشة، بل قد تكون بابا من أبواب الخير والأنس بالطاعة.

ومن أجمل آثار الذكر أنه يُعين الإنسان على الخروج من دوّامة الأفكار التي لا تنفعه. فبدلا من أن يبقى مشغولا بكلام فلان، وتصرف فلان، ومشكلة فلان، يشغل لسانه بالتسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار. ومن أعظم ما يُعين على صفاء القلب أن تقلل من الكلام الذي لا ينفع، وأن تعوّد لسانك ذكر الله. فما

أجمل أن ينتقل اللسان من كثرة الكلام في الخَلق إلى كثرة ذكر الخالق.

من الناس من يذكر الله دقائق ثم يترك الذكر أياما، ومنهم من يجعل لنفسه وِردا يداوم عليه. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». فلا تستهن بالقليل الذي تداوم عليه، فإن الدوام على العمل الصالح خير من حماس شديد ينقطع سريعا. اجعل لك دقائق في الصباح، ودقائق في المساء، تُعمّرها بالذكر، ثم زد بحسب استطاعتك.

لا تقل: «أنا أذكر الله كثيرا، ولكنني لا أشعر بشيء». وهل جُعِلت الطاعة مشروطة بالشعور باللذة؟ اذكر الله طلبا لثوابه، ومحبة

لطاعته. فإن وجدت حلاوة فاحمد الله، وإن لم تجدها فلا تترك الذكر. ولا تقارن حالك بحال غيرك، فقد يجد الإنسان حلاوة الطاعة في وقت ولا يجدها في وقت آخر. والمهم أن تُخلص النية، وتلتزم بأحكام الشرع، وتثبت على الطاعة.

يا طالب الطريق، قد تمر عليك أيام تجد فيها نشاطا عظيما للذكر، ثم تأتي أيام يثقل فيها الذكر عليك. فلا تجعل تغير مشاعرك سببا لترك وِردك. ابدأ بما تيسر من التسبيح والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وجاهد نفسك على الاستمرار. فالثبات على الطاعة في أيام الفتور من ميادين مجاهدة النفس، وفيه يظهر صدق العزيمة.

ولا تحصر الذكر في الأوقات التي تكون فيها مرتاحا ومسرورا. اذكر الله في أيام النشاط والتعب، وفي ساعات الفرح والحزن، فالذكر عبادة في جميع الأحوال التي يصح فيها، وليس مجرد وسيلة لتحسين المِزاج. وما أجمل أن يصبح الذكر صاحبا لك في يومك وليلتك، دون أن تُهمل واجباتك وحقوق من حولك.

ومن الأوقات المباركة وقت السحر. فهل جربت أن تستيقظ قبل الفجر، فتجلس تذكر الله وتستغفره، بينما كثير من الناس نيام؟ قال الله تعالى في وصف المتقين: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. فلا تحرِم نفسك من نصيب من هذه العبادة العظيمة متى تيسر لك ذلك.

ومن أعظم الأذكار الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاجعل لها نصيبا من يومك، وأكثر منها محبة لرسول الله، وتعظيما لقدره الشريف، وطلبا للثواب. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا». فما أعظم هذا الفضل.

يا طالب الطريق، لا تؤجل بداية هذه الحياة الجميلة. لا تقل: «عندما أتفرّغ سأذكر، وعندما تتحسن ظروفي سأداوم». ابدأ الآن ولو بالقليل، ثم استمر. اجعل لك سرا جميلا في حياتك: وِردا من الذكر تحافظ عليه، ولسانا تعوّده ذكر الله، وقلبا تجاهده على الإقبال على الطاعة.

يا أهل الطريق، يا أهل الذكر والمحبة، أبشروا بفضل الله. لقد فُتح لكم باب عظيم من أبواب الخير، لا يمنعكم منه فقر، ولا يحتاج إلى جاه أو منصب. فاغتنموا أوقاتكم، ولا تستصغروا تسبيحة ولا تحميدة ولا تهليلة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

إن للذكر حلاوة، وللمداومة بركة، وللإقبال على الطاعة أنسا. فامضوا ولا تتوقفوا، واثبتوا ولا تملوا، واستعينوا بالله ولا تعجِزوا.

أسرار قيام الليل وكيف تصبح من أهله

يا طالب الطريق إلى الله، يا مَن يشتاق قلبك إلى حلاوة الإيمان، هناك باب عظيم من أبواب السلوك، قد يغير حياتك كلها إذا أحسنت الدخول منه، إنه باب العبادة في جوف الليل، حين تهدأ الأصوات، وتقل المشاغل، وتتهيأ النفس للإقبال على الطاعة.

هل جربت يوما أن تستيقظ والناس نيام، فتتوضأ وتصلي ركعتين، ثم تجلس تذكر الله وتدعوه؟ هل ذقت حلاوة تلك اللحظات التي لا يشغلك فيها هاتف، ولا عمل، ولا حديث الناس؟ هناك لذة في

الطاعة لا يعرفها كثير من الناس، وسعادة لا تشتريها الأموال، ومن أعظم أسباب تحصيل ذلك قيام الليل.

لا تظن أن قيام الليل عبادة خاصة بالأولياء والصالحين الكبار، وأنك لست أهلا لها. بل ابدأ ولو بركعتين، ولو بدقائق قليلة من الصلاة والذكر والاستغفار. فليس المقصود أن تكلف نفسك ما لا تطيق، وإنما أن تفتح لها بابا من أبواب الخير، ثم تعوّدها الدخول منه.

يا أحبابي، لا نريد أن نحدثكم عن قيام الليل لتسمعوا كلاما جميلا ثم تنسوه، بل نريد أن نوقظ في قلوبكم الشوق إلى هذه العبادة. فمن الجميل أن تقرأ عن أحوال الصالحين وتعجب بهم، ولكن

الأجمل أن تبدأ بالاقتداء بهم. لا تكتف بالإعجاب بمن يقوم الليل، بل قم أنت وصل، ولو قليلا.

من أسرار قيام الليل أنه يُربّيك على الإخلاص. تصلي بعيدا عن أعين الناس، فلا تطلب ثناءهم، ولا تنتظر إعجابهم، وإنما تقوم طلبا لثواب الله ورضاه. وما أجمل أن يكون لك عمل صالح لا يعرفه عنك أحد. لا تنشره، ولا تتحدث عنه لطلب المدح، بل اجعله ذخيرة لك يوم القيامة.

ومن أسرار العبادة في الليل أنها تعلّمك الصبر على الطاعة. فحين تترك فراشك الدافئ لتتوضأ وتصلي، فأنت تدرّب نفسك على تقديم ما يحبه الله على ما تشتهيه من الراحة. لا تنتظر حتى تصبح

صاحب همة عظيمة لتقوم الليل، بل قم الليل لتقوى همتك. فالطاعة تعين على الطاعة، والمداومة على الخير تفتح للعبد أبوابا أخرى من الخير.

بعض الناس يبحث عن السعادة في السفر، وبعضهم في المال، وبعضهم في مجالس الأصدقاء. أما مَن ذاق حلاوة قيام الليل، فقد يجد في ركعتين من السكينة والطمأنينة ما لا يجده في كثير من متاع الدنيا. وإذا أثقلتك الهموم، وكثرت عليك المشاغل، فاجعل لنفسك نصيبا من الصلاة والذكر والدعاء في الليل، فقد يرزقك الله بذلك انشراحا في الصدر وقوة على مواجهة مشاق الحياة.

يا طالب الطريق، لا تقل: «أنا كثير الذنوب، فكيف أقوم الليل؟» بل قل: «أنا كثير الذنوب، وما أحوجني إلى التوبة والاستغفار» لا تجعل معاصيك سببا لليأس من الطاعة، بل اجعل تذكر ذنوبك دافعا إلى التوبة والإقبال على الله. فأنت محتاج إلى الطاعة والاستغفار، ولست مستغنيا عنهما بحال من الأحوال.

وفي سكون الليل، اجعل للقرآن نصيبا من وقتك. فإن كنت قد تلقيت تلاوته ممن يصح التلقي عنه، فاقرأ ما تيسر منه بتدبر، ولو آيات قليلة. وإذا مررت بآية رحمة فارج رحمة الله، وإذا مررت بآية وعيد فخف من عذابه. ومن لم يتلقّ التلاوة، فليجتهد في تعلّمها.

إذا اعتدت قيام الليل، فلا تعجب بنفسك، ولا تنظر باحتقار إلى مَن ينام. فكم من قائم لليل أفسد العجب والرياء عليه عمله، وكم من نائم عنده من الصدق والإخلاص ما لا تعلمه. فلا تجعل نافلتك سببا للكبر وازدراء الناس، بل احمد الله على توفيقه، واسأله الإخلاص والثبات.

ومن علامات الانتفاع بقيام الليل أن يظهر أثره في نهارك، في صلاتك، وأخلاقك، وصبرك، ومعاملتك لأهلك، وحفظ لسانك. فليس المقصود مجرد السهر وكثرة الركعات، بل أن تكون هذه العبادة سببا في إصلاح نفسك وقلبك. فاحذر أن تقوم الليل

بالصلاة، ثم تقضي نهارك في أذى الناس وسوء الخُلق، فإن من ثمرات الطاعة أن تُعينك على إصلاح نفسك وتحسين معاملتك للخلق.

كيف تصبح من أهل قيام الليل وتداوم عليه؟

قيام الليل باب عظيم من أبواب السلوك إلى الله، وليس مجرد عبادة تؤديها حين يشتد حماسك، ثم تتركها عند أول شعور بالكسل. إنه يحتاج إلى عزيمة، ومجاهدة للنفس، وصبر على الطاعة، حتى يُصبح جزءا من حياتك، تشتاق إليه وتحرص على المحافظة عليه.

كم من إنسان يسمع عن قيام الليل فيتأثر ويقول: «ما أجمل هذه العبادة» ثم يأتي الليل فينام، ويأتي الليل الثاني فينام، وتمر الشهور والسنوات وهو لا يزال يتمنى. يا أخي، إلى متى تبقى تتمنى؟ متى

تبدأ؟ إن مجرد تمني الطاعة لا يكفي، بل المهم أن تنتقل من التمني إلى العمل، وأن تبادر إلى فعل الخير.

أول خطوة في طريق المحافظة على قيام الليل ألا تؤجل البداية. لا تنتظر رمضان، ولا ليلة الجمعة، ولا انتهاء مشاغلك. قد يوسوس لك الشيطان قائلا: «أنت متعب الليلة، ابدأ غدا»، فإذا جاء الغد وجد لك عذرا آخر، وهكذا تمضي الأيام وأنت محروم من خير كثير. فلا تستسلم للتسويف، وبادر إلى الطاعة ما دمت قادرا عليها.

لا تبدأ بما لا تطيق. فقد تتحمس فتصلي ساعتين في أول ليلة، ثم تعجِز في الليلة الثانية، فتترك القيام كله. ابدأ بركعتين خفيفتين، ثم

زد إذا وجدت في نفسك قدرة على ذلك. فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع، والعبرة ليست بقوة البداية فقط، بل بالصبر على الاستمرار.

من أعظم ما يعينك على قيام الليل أن تنظّم وقتك، وتنام مبكرا ما استطعت، وتعزم قبل نومك على الاستيقاظ، وتضبط منبهك، وتسأل الله أن يعينك على طاعته. وإن خشيت ألا تستيقظ آخر الليل، فصل ما تيسر لك بعد صلاة العشاء وقبل أن تنام، فإن صلاة الليل لا تنحصر في وقت السحر.

كيف تريد أن تستيقظ لقيام الليل وأنت تقضي ساعات طويلة تتنقل بين المقاطع والصور والأخبار؟ قد تسهر إلى ساعة متأخرة

دون فائدة تُذكر، ثم تقول: «لا أستطيع الاستيقاظ للقيام» يا أخي، أعطيت هاتفك ساعات، أفلا تعطي آخرتك دقائق؟ احرص على وقتك، وقلل من السهر الذي لا ينفعك.

لو انتظرت حتى تشعر بالرغبة والنشاط في كل طاعة، لفاتك خير كثير. فالنفس أحيانا تحتاج إلى مجاهدة، والكسل لا يزول دائما بمجرد التمني. إذا استيقظت وكنت قادرا على القيام، فلا تطل التردد، بل قم وتوضأ وابدأ الصلاة، فقد تجد النشاط بعد أن تبدأ. لا تنتظر حتى تصبح صاحب همة عظيمة لتقوم الليل، بل قم الليل لتقوى همتك.

كم مرة استيقظت ثم قلت: «سأنام خمس دقائق إضافية»، فإذا بك تستيقظ بعد طلوع الشمس، وقد فاتك قيام الليل، وربما فاتتك صلاة الفجر في وقتها. لا تجعل فراشك ينتصر عليك كل ليلة، ولا تدخل في مفاوضات طويلة مع نفسك. إذا حان وقت القيام وكنت مستطيعا، فاستعن بالله وبادر.

ليس المقصود أن تتفاخر بأنك صليت عشر ركعات أو عشرين ركعة، بل المهم أن تكون صلاتك خالصة لله، وأن تعتني بالخشوع وحضور القلب. لا تجعل العبادة منافسة لطلب المدح والظهور، وإنما اجتهد في حسن أدائها والإخلاص فيها. فرُبَّ عمل قليل عَظُم نفعه لصاحبه بصدق نيته.

ليس كل عمل صالح تحتاج إلى أن تُخبر الناس به. اجعل لنفسك نصيبا من النوافل لا تتحدث عنه لطلب المدح، ولا تنشره لِتُعجب الناس بنفسك. ففي إخفاء العبادة إعانة على الإخلاص وحماية للقلب من الرياء والعجب. وإذا وفقك الله للقيام، فاحمده على ذلك، ولا تحتقر مَن لم يُوفّق إليه، فأنت لا تعلم ما عند غيرك من أعمال صالحة وإخلاص.

ربما تحافظ على القيام ثلاث ليال، ثم يغلبك النوم في الليلة الرابعة. فلا تقل: «فشلت، ولن أستطيع الاستمرار». بل جدد عزيمتك، وحاول في الليلة التالية. لا تجعل ليلة فاتك فيها القيام سببا لتركه

شهرا كاملا. فالموفّق ليس مَن لا يتعثّر أبدا، بل مَن يُجدّد محاولته ولا يستسلم للكسل.

ليس المطلوب أن تسهر الليل كله حتى تنهك جسدك، وتعجز عن أداء واجباتك في النهار، أو تفرط في صلاة الفجر. بل اجتهد بحكمة، وحافظ على الفرائض، وأعط جسدك حقه من الراحة، وخذ من النوافل ما تستطيع المداومة عليه. فلا ينبغي أن تكون النافلة سببا في تضييع واجب.

ستأتيك ليال تشعر فيها بحلاوة الصلاة، وليال أخرى لا تجد فيها تلك الحلاوة. فلا تجعل تقلب مشاعرك يتحكم في عبادتك. أنت تعبد الله طلبا لثوابه ورضاه، لا لمجرد الشعور باللذة. فإن وجدت

حلاوة فاحمد الله، وإن لم تجدها فاستمر، ولا تستعجل الثمرة، فالنفس تحتاج إلى صبر ومجاهدة.

مَن أراد أن يصلُح حاله في الليل، فليجاهد نفسه أيضا في النهار. احفظ لسانك من الغيبة والكذب، وغض بصرك عن الحرام، واجتنب الظلم وأذى الناس. فالسلوك إلى الله ليس صلاة في الليل ثم إطلاقا للنفس في المعاصي بالنهار. ومن ثمرات الطاعة أن تعينك على إصلاح قلبك وتحسين أخلاقك ومعاملتك للخلق.

لماذا يظن بعض الشباب أن قيام الليل عبادة خاصة بمن تقدم بهم العمر؟ ما أجمل الشاب الذي يجمع بين نشاطه في طلب العلم والعمل، وبين محافظته على الفرائض ونصيبه من قيام الليل. لا تقل:

«سأهتم بهذه العبادة عندما أكبر»، فإنك لا تدري كم بقي من عمرك، وما أجمل أن تغتنم شبابك في طاعة الله.

لا تعتمد على قوة عزيمتك وحدها، بل اسأل الله دائما أن يعينك على طاعته. قل: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». واسأله أن يحبّب إليك قيام الليل، وأن يقوي عزيمتك، وأن يرزقك الإخلاص والثبات. فأنت لا تستغني عن توفيق الله طرفة عين.

يا طالب الطريق، لا تجعل قيام الليل مناسبة نادرة لا تتكرر إلا إذا سمعت موعظة مؤثرة. السر العظيم هو الاستمرار، ثم الاستمرار، ثم الاستمرار. لا تبحث عن بداية عظيمة تنطفئ بعد أيام، بل ابحث

عن عبادة تستطيع المحافظة عليها سنوات. تخيّل أنك حافظت على ركعتين كل ليلة مدة سنة كاملة، فكم سيجتمع لك من ركعات وأذكار ودعوات. هكذا تُبنى حياة الطاعة، بخطوات صغيرة متواصلة.

يا مَن تبحث عن السكينة، يا مَن تشكو قسوة القلب، يا مَن تريد أن تبدأ حياة جديدة مع الطاعة، هذا باب عظيم من أبواب الخير مفتوح أمامك. لا تحرم نفسك منه، ولا تستصعب الطريق قبل أن تسلكه. واجعل من أهدافك أن تصل إلى مرحلة تحب فيها قيام الليل، وتشتاق إليه، وتحزن إذا فاتك، وتفرح إذا وفقك الله إليه، دون أن تغتر بنفسك أو تحتقر غيرك.

لا تقل: «متى أصبح من أهل قيام الليل؟» بل قم الليلة، وابدأ السير، وجاهد نفسك، واستعن بالله. لا تقل: «سأبدأ الأسبوع القادم»، ولا: «عندما تتحسن ظروفي». ابدأ الليلة بركعتين، فقد يكون هذا القرار من أعظم القرارات التي اتخذتها في حياتك. وتذكر أن الطريق لا يقطعه المتمنون، وإنما يسلكه العاملون.

اللهم حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وحبّب إلينا الصلاة والقرآن والذكر وقيام الليل، وأعنّا على مجاهدة نفوسنا، ولا تجعلنا ممن يسمعون المواعظ ولا يعملون بها. اللهم ارزقنا الإخلاص والثبات وحسن الخاتمة، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك مؤمنين.

القرآن الكريم حياة القلوب ونور الطريق

يا أهل الطريق، يا طلاب الآخرة، يا مَن تبحثون عن حلاوة الإيمان وأنوار الطاعة، إن من أعظم أبواب الخير التي ينبغي لطالب الطريق أن يُقبل عليها باب القرآن الكريم، كلام الله تعالى، الذي جعله هدى ورحمة للمؤمنين.

هنيئا لمن يشتاق إلى المصحف، ويفرح بتلاوته، ويجد فيه أُنسا وطمأنينة، حتى يصبح القرآن رفيقا له في بيته وسفره، وفي صحته ومرضه، وفي فرحه وحزنه.

قد يبحث الإنسان عن السكينة والطمأنينة، ويشتكي من قسوة قلبه، ويقول: «أريد أن أتغيّر، وأن أُصلح نفسي، وأن أذوق حلاوة الطاعة». ثم تمر عليه الأيام وهو لا يفتح المصحف إلا نادرا. فكيف يرجو أن ينتفع بأنوار القرآن وهو بعيد عن تلاوته وتدبّره؟

يا طالب الطريق، لا تجعل القرآن كتابا تفتحه في رمضان ثم تغلقه بقية السنة، ولا تجعله كتابا تقرؤه عند المصائب فقط. اجعله رفيق حياتك، تقرؤه في أيام الرخاء كما تقرؤه في أيام الشدة، وتأنس بتلاوته في مختلف أحوالك.

هناك فرق بين إنسان يقرأ القرآن ليكمل عددا من الصفحات، وإنسان يقرؤه وهو يستحضر أنه يتلو كلام الله، ويرجو ثوابه،

ويتدبّر معانيه، ويسعى إلى العمل بما فيه. فاجمع بين كثرة التلاوة وحضور القلب والعمل بالقرآن.

يا أحبابي، نريد أن نصل إلى مرحلة يصبح فيها فتح المصحف من أحب الأعمال إلينا، ونشعر فيها أن يوما مضى من غير تلاوة القرآن قد فاتنا فيه خير عظيم. فلنبدأ اليوم رحلة جديدة مع كتاب الله.

ومن المهم أن نعتني بصحة التلاوة، وأن نحرص على تلقي القرآن مشافهة من ثقة عارف بالقراءة. فمَن تلقاه على هذا الوجه ثم تلاه كما تلقاه، فله ثواب التلاوة. أما مَن قرأه بلسانه دون أن يتلقاه مشافهة من ثقة عارف، ولو لم يخطئ في قراءته، فلا ثواب له على

التلاوة. ومَن نظر إلى حروف القرآن بنيّة تعظيمه، ولو لم يتلها، فله ثواب على هذا التعظيم. فاحرص على التلقي والتعلّم، واجعل عنايتك بصحة التلاوة أعظم من حرصك على كثرة القراءة.

القرآن حياة القلوب. فكما يحتاج جسدك إلى الطعام والشراب، يحتاج قلبك إلى الإيمان والذكر والطاعة. ومن أعظم ما تغذي به قلبك تلاوة القرآن الكريم، وتدبّر معانيه، والعمل بأحكامه. فلا تعتن بجسدك وتغفل عن قلبك.

كم ساعة تقضيها كل يوم في هاتفك؟ وكم رسالة تقرأ؟ وكم مقطعا تشاهد؟ ثم إذا جاء وقت القرآن قلت: «ليس عندي وقت». يا أخي، ليست المشكلة دائما في ضيق الوقت، بل قد تكون في

ترتيب الأولويات. فانظر كيف تُنفق ساعات يومك، واسأل نفسك: هل أعطيت كتاب الله ما يليق به من العناية؟

للقرآن بركات عظيمة يجد آثارها مَن يلازمه بإخلاص، ويتدبر آياته، ويعمل بما تعلّمه منه. فيُرجى له أن يزداد قلبه نورا بالإيمان، وبصيرة بالحق، ومحبة للطاعة، ونفورا من المعصية.

قد تعود من عملك مرهقا، أو تكون مُثقلا بالهموم، فتقول: «لا أستطيع قراءة جزء كامل». ومن قال إنك مطالب بجزء كامل؟ اقرأ صفحة، أو نصف صفحة، أو ما تيسر لك، ولكن لا تجعل التعب المعتاد سببا لترك وِردك دائما. فالقليل الذي تداوم عليه أنفع لك من حماس مؤقت يعقُبه انقطاع طويل.

ومن أعظم فوائد القرآن أنه يوقظ القلب من الغفلة. قد تقرأ آية عن الموت فتتذكر آخرتك، وآية عن الجنة فتشتاق إليها، وآية عن النار فتخاف من عذاب الله، وآية عن التوبة فتجدد عزيمتك على ترك المعصية. هكذا ينتفع القلب بالقرآن، فلا تكون التلاوة مجرد كلمات تمر على اللسان، بل عبادة تترك أثرها في النفس والسلوك.

لا تستعجل في التلاوة حتى يفوتك التدبر. ليس المقصود أن تنتهي من أكبر عدد من الصفحات دون أن تنتبه إلى ما تقرأ. اقرأ بتأن، وقف عند الآيات التي تحتاج إلى تأمل، وارجع إلى أهل العلم لفهم ما أشكل عليك من معانيها، ولا تتكلم في تفسير القرآن بغير علم.

اجعل لك وِردا من القرآن لا تتنازل عنه بسهولة. حدد وقتا يناسبك، بعد الفجر أو بعد العشاء أو في أي وقت تستطيع المحافظة عليه. ولا تنتظر أن تفرغ من جميع أشغالك، فإن الأشغال قد لا تنتهي. المهم أن يكون للقرآن مكان ثابت في يومك.

ومن بركات القرآن أنه يذكرك بحقيقة الدنيا. حين تقرأ عن الموت والحساب والآخرة، تدرك أن الدنيا ليست دار بقاء، وأن المال والمنصب والشهرة لا ينبغي أن تشغلك عن الاستعداد ليوم القيامة. وما أحوجنا إلى هذا التذكير في زمن كثرت فيه المشاغل والملهيات.

اجعل القرآن سببا لمحاسبة نفسك. إذا قرأت عن الصادقين، فانظر إلى صدقك. وإذا قرأت عن الصابرين، فانظر إلى صبرك. وإذا

قرأت عن المحسنين، فانظر إلى إحسانك. وإذا قرأت عن التوبة، فبادر إليها. فلا يكن همك أن تعرف أوصاف أهل الخير فقط، بل أن تجاهد نفسك لتتحلى بأخلاقهم.

لا تحرم بيتك من تلاوة القرآن وتعلّمه. ما أجمل أن يعتاد أهل البيت سماع التلاوة، وأن يرى الأبناء آباءهم وأمهاتهم يقرؤون القرآن، وأن تكون في الأسرة أوقات للتلاوة والتعلّم. فإن التربية بالقدوة من أعظم وسائل غرس محبة القرآن في القلوب. وقد يكون منظر أب يقرأ القرآن أمام أولاده أبلغ في نفوسهم من مواعظ كثيرة.

يا مَن تعمل في الدعوة، وتعلّم الناس، وتنشر المواعظ، وتساعد الآخرين على الطاعة، لا تجعل انشغالك بإصلاح غيرك سببا في

إهمال نفسك. قد تقضي ساعات في تحضير الدروس وإرشاد الناس، ثم لا تجد وقتا لوِردك من القرآن. وأنت أيضا تحتاج إلى ما يوقظ قلبك ويعينك على الثبات والاستقامة. فلا تكن شديد الحرص على نفع غيرك، غافلا عن حاجة نفسك إلى التزود من الطاعة.

الحياة مليئة بالفتن والمشاغل، والنفس تتقلب بين النشاط والكسل. ومن أعظم ما يعين على الثبات ملازمة كتاب الله، وتعلّم ما فيه من الهدى، والعمل بأوامره، والاستعانة بالله على الاستقامة. فإذا أقبلت عليك فتنة أو شدة، كنت أحوج ما تكون إلى العلم والإيمان وحسن التوكل على الله.

وإذا رزقك الله صوتا حسنا في التلاوة، وأُعجب الناس بقراءتك، فاحذر أن يتسلل حب المدح إلى قلبك. لا تجعل همك أن يقول الناس: «ما أجمل صوته»، بل اجعل غايتك طلب ثواب الله ورضاه. فليست العبرة بكثرة من يعجبون بصوتك، وإنما بصدق نيتك وصحة عملك.

قد تتغير حياتك بآية واحدة. كم من إنسان سمع آية من القرآن فكانت سببا في توبته، أو رجوعه إلى الصلاة، أو تركه معصية، أو إصلاح خلق من أخلاقه. فلا تستهن بآية تقرؤها أو تسمعها وتتدبر معناها، فقد تكون سببا لخير عظيم في حياتك.

يا طالب الطريق، قد تعرف أسماء كثير من العلماء والأولياء، وتحفظ أخبارهم ومواعظهم، وهذا خير، ولكن لا تجعل انشغالك بأخبار الصالحين يحرمك من ملازمة القرآن الذي كانوا يعظمونه ويعتنون به. فمن حسن الاقتداء بالصالحين أن تسلك طريقهم في طاعة الله، لا أن تكتفي بالإعجاب بأخبارهم.

هناك أناس إذا جلسوا إلى المصحف شعروا براحة عظيمة، حتى يتمنوا لو طال بهم الوقت في التلاوة. ولم يصلوا إلى هذه الحال بمجرد التمني، بل بالمداومة والتعلّم والمجاهدة وحسن الإقبال على العبادة. فاصبر على نفسك، ولا تستعجل الثمرة.

وقد تمر عليك أيام لا تشعر فيها بحلاوة خاصة أثناء التلاوة، فلا تتوقف بسبب ذلك. اقرأ لأن تلاوة القرآن عبادة عظيمة، ولأنك ترجو ثواب الله ورضاه، لا لأنك تنتظر شعورا معينا. فإن وجدت حلاوة فاحمد الله، وإن لم تجدها فاستمر، ولا تجعل تقلب مشاعرك يتحكم في عبادتك.

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾.

يا أهل الطريق، إن أردتم أن تعرفوا مقدار عنايتكم بكتاب الله، فلا تنظروا فقط إلى عدد المصاحف الموجودة في بيوتكم، ولا إلى عدد التطبيقات القرآنية في هواتفكم، بل انظروا إلى علاقتكم اليومية بالقرآن. كم تقرؤون منه؟ وكم تتدبرون من آياته؟ وكم تعملون بما تعلّمتم من أحكامه وآدابه؟

يا مَن مضت عليك أيام وأسابيع لم تفتح فيها المصحف، إلى متى يبقى القرآن بعيدا عن يومك وأنت تعلم عظيم فضله؟ ألا يستحق كتاب الله أن تجعل له نصيبا من وقتك؟ افتح المصحف اليوم، وابدأ بما تيسر لك، ثم جاهد نفسك على المداومة.

وأريد أن أسألك سؤالا، وأرجو أن تجيب عنه نفسك بصدق: لو نظرت إلى الساعات التي قضيتها هذا الأسبوع على هاتفك، ثم نظرت إلى الدقائق التي قضيتها في تلاوة القرآن، فهل ستكون راضيا عن حالك؟ إن لم تكن راضيا، فلا تكتف بالحسرة، بل ابدأ بإصلاح ذلك من اليوم.

يا طالب الطريق، اجعل من أهدافك أن تصل إلى مرحلة تشتاق فيها إلى وِردك من القرآن كما يشتاق الإنسان إلى لقاء من يحب، فإذا شغلتك الدنيا عنه شعرت أنك فقدت شيئا عزيزا، وحرصت على ألا يتكرر ذلك.

ما أجمل أن تبدأ يومك بكلام الله. قبل الأخبار والرسائل والانشغال بأحاديث الناس، افتح المصحف واقرأ ما تيسر لك. وإن لم يتيسر لك ذلك في أول النهار، فلا تدع اليوم يمضي دون أن تخصص وقتا لكتاب الله.

يا أهل الطريق، القرآن ثم القرآن ثم القرآن. لا تبحثوا عن أسرار السلوك وأنواره وتغفلوا عن كتاب الله. اجعلوا القرآن أساسا من

أسس تربيتكم، واحرصوا على تلاوته الصحيحة وتدبر معانيه، واعملوا بما تعلّمتم منه. فليس السلوك إلى الله مجرد كلام عن القلوب والمقامات، وإنما هو إيمان وطاعة ومجاهدة للنفس واستقامة على شرع الله.

لا تجعل المصحف أقرب الكتب إلى يدك في رمضان، وأبعدها عن يدك بقية العام. افتحه اليوم، واجعل له نصيبا من وقتك، واصبر على تلاوته، وجاهد نفسك على الاستمرار.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وسبب هدايتنا وثباتنا. اللهم ارزقنا حسن تلاوته، وصحة تلقيه، وتدبر معانيه، والعمل بأحكامه. اللهم حبب إلينا كتابك، وأعنا على

ملازمته، وارزقنا الإخلاص في تلاوته وتعلّمه وتعليمه، واجعلنا من عبادك الصالحين، وتوفنا على الإيمان.

حلاوة السلوك وسعادة القلوب

من ذاق حلاوة الطاعة والسلوك إلى الله، عرف أن في الدنيا سعادة عظيمة يغفُل عنها كثير من الناس، سعادة لا تُشترى بالمال، ولا تُنال بالشهرة والمناصب، وإنما يجدها العبد في طاعة ربّه وصدق إقباله على عبادته.

كلما تقدمت في طريق الطاعة، بدأت تكتشف أن السعادة التي كنت تبحث عنها بعيدا قد تجدها قريبة منك، في سجدة خاشعة، وذكر صادق، ودعوة خفية، وعمل صالح لا يعلم به أحد من الناس.

من أجمل ثمرات السلوك أن يخف ضجيج الدنيا في قلبك، وأن تقل سيطرة همومها عليك، وأن تجد في الطاعة سكينة تعينك على مواجهة مشاق الحياة. فبينما يتنافس كثير من الناس في المال والمظاهر وما يفنى، يحرص طالب الطريق على قلب أنقى، وإيمان أقوى، وصلاة أحسن، وعمل أخلص لله.

ومن أجمل ما في هذا الطريق أنك لا تحتاج إلى أن يراك الناس وأنت تصلي أو تذكر أو تتصدق. يكفيك أن الله يعلم بعملك ونيتك. وما أعظمها من راحة أن تعمل الخير دون أن تنتظر مدحا أو شكرا من أحد، وأن يكون همك أن يتقبل الله عملك.

للطاعة حلاوة قد يعجز اللسان عن وصفها، ولصدق الإقبال على العبادة آثار في القلب لا تدرك بمجرد القراءة عنها. فبعض ما يجده العبد من الأنس والطمأنينة يصعب علينا وصفه بالكلمات. وهذه الحلاوة يذوق منها العبد بقدر ما يوفقه الله إليه من الطاعة ومجاهدة النفس والصبر.

لا تستغرب إذا رأيت بعض أهل الطاعة يفرحون بالذكر والصلاة والخلوة للعبادة، ويشتاقون إلى أوقاتها. فقد وجدوا فيها ما لم يجدوه في كثير من ملذات الدنيا. وهذه نعمة عظيمة تستحق الشكر، لا العجب بالنفس ولا احتقار من لم يصل إلى مثل هذه الحال.

يا لها من نعمة أن تنام وقلبك خال من الحقد والحسد، وأن تستيقظ وأنت حريص على طاعة الله، وأن تمضي يومك بين صلاة وذكر وعمل نافع وإحسان إلى الناس. ليست السعادة أن تخلو حياتك من المشاكل، بل أن يكون لك من الإيمان والطاعة ما يعينك على مواجهتها بالصبر وحسن التوكل على الله.

لا تظن أن طريق السلوك كله مشقة ومجاهدة. نعم، فيه مخالفة لهوى النفس، وصبر على الطاعة، وابتعاد عن المعاصي، ولكن فيه أيضا من الراحة القلبية والأنس بالعبادة ما يجعل العبد يحمد الله على أن وفقه لهذا الطريق. وقد تشق عليك الطاعة في بدايتها، ثم تصبح مع المداومة من أحب الأعمال إلى قلبك.

ولكن تذكر أن حلاوة الطاعة ليست شرطا لصحتها، ولا دليلا قاطعا على قبولها. فقد تمر بأيام تجد فيها نشاطا وأنسا، وأيام أخرى تجد فيها فتورا وثقلا. فلا تجعل عبادتك تابعة لمشاعرك، بل اثبت على الطاعة طلبا لثواب الله ورضاه، سواء وجدت الحلاوة أم لم تجدها.

يا أهل الطريق، اثبتوا على الطاعة، ولا ترجعوا إلى الغفلة بعد أن وفقكم الله لليقظة. لا تسمحوا لمشاغل الدنيا أن تسلبكم ما وجدتموه من خير في الصلاة والذكر ومجاهدة النفس. وإذا ضعفتم فجددوا عزيمتكم، وإذا تعثرتم فعودوا إلى الطاعة، وإذا وفقكم الله لخير فاحمدوه واسألوه الثبات.

وتذكروا أن أعظم ما يرجوه السالك ليس ما يجده في الدنيا من راحة وحلاوة، وإنما أن يموت على الإيمان، وأن ينجو من عذاب الله، وأن يدخل الجنة مع الصالحين.

اللهم حبب إلينا الإيمان والطاعة، وزينهما في قلوبنا، وارزقنا حلاوة العبادة وصدق الإخلاص والثبات على دينك، واجعلنا من الصالحين، واختم لنا بالإيمان، واجمعنا في جنات النعيم.

محبة أولياء الله وحلاوة أحوالهم

يا طالب الطريق، إن محبة أولياء الله الصالحين من أجمل ما يتحلى به قلب المؤمن. فهم عباد أكرمهم الله بالإيمان والتقوى، ووفقهم لطاعته ومجاهدة أنفسهم. ومحبتهم ليست مجرد إعجاب بأخبارهم وأحوالهم، بل محبة تدفعك إلى الاقتداء بهم في الخير، والسير على طريق الإيمان والاستقامة.

سبحان الله، ما الذي عرفه هؤلاء الصالحون من حقيقة الدنيا حتى هانت عليهم زينتها؟ وما الذي وجدوه من حلاوة الطاعة حتى صارت عندهم أحب من كثير من ملذاتها؟ لقد أدركوا أن الدنيا

زائلة، وأن الآخرة هي دار البقاء، فلم يجعلوا همهم الأكبر جمع ما يفنى، وإنما اجتهدوا في الاستعداد لما يبقى.

للصالحين أفراح قد لا يفهمها من غلبت عليه الغفلة. قد يفرح أحدهم بركعتين يصليهما في الخفاء أكثر من فرح غيره بمال كثير، وقد يجد في ذكر الله من السكينة ما لا يجده غيره في مجالس اللهو. فليست أفراح القلوب كلها مرتبطة بالمال والمظاهر، بل منها ما ينبع من الإيمان والطاعة وصدق النية.

وإذا ذاق القلب شيئا من حلاوة الطاعة، بدأ ينظر إلى الدنيا نظرة مختلفة. فكم من أمور يتخاصم الناس من أجلها، ويحزنون على فواتها، لا تستحق أن يشغل المؤمن بها قلبه عن طاعة ربّه. وكم من

عمل صغير في أعين الناس يعظم ثوابه عند الله بصدق النية والإخلاص.

ومن أجمل أحوال أولياء الله أنهم لا يجعلون ما ينالونه من محبة الناس وتعظيمهم سببا للكبر، بل يزدادون تواضعا وخوفا من العجب. ومهما كثرت طاعاتهم، لا يغترون بها، بل يتذكرون تقصيرهم، ويسألون الله القبول والثبات. فليس من شأن الصالح أن يتكبر على الناس بما وفقه الله إليه من الخير.

ومن شدة حرصهم على الإخلاص أنهم يراقبون نياتهم في أعمال قد لا يخطر فيها الرياء على بال كثير من الناس. فقد يخشى أحدهم أن يفرح بمدح الناس فرحا يحمله على طلب ثنائهم بعمله، أو أن يجعل

همه نيل منزلة في قلوبهم. وهذا يدعونا إلى أن نفتش في قلوبنا، وأن نسأل أنفسنا: لمن نعمل؟ وماذا نريد من وراء أعمالنا؟

قد يكون الرجل مشهورا بين الناس، وقلبه زاهد في الشهرة، لا يطلبها ولا يغتر بها. وقد يكون مجهولا، وقلبه يتمنى أن تتجه إليه الأنظار، وأن تذكر محاسنه في المجالس. فليست الشهرة وحدها دليلا على حب الظهور، ولا الخمول وحده دليلا على الإخلاص، وإنما العبرة بحال القلب وصدق النية.

ومن عرف حقيقة الدنيا، لم يجعل مدح الناس وذمهم ميزانا لمنزلته عند الله. فالمدح قد يزول، والذم قد ينقطع، والناس تتغير أحوالهم وآراؤهم. أما العمل الصالح الذي تقبله الله فثوابه باق. فلا تجعل

سعادتك معلقة بألسنة الناس، ولا تجعل همك أن يرضى عنك الخلق ولو على حساب طاعة الخالق.

وليست كثرة الأتباع دليلا على علو المنزلة عند الله، كما أن قلتهم ليست دليلا على الخذلان. قد يكون الإنسان محبوبا عند الآلاف وهو مقصر في حق ربّه، وقد يكون مجهولا عند أكثر الناس وهو من أهل الصلاح والتقوى. فلا تغتر بالأعداد، ولا تجعلها ميزانا للحكم على صلاح الناس ومنزلتهم.

والزاهد حقا هو من لم يتعلق قلبه بالدنيا تعلقا يصرفه عن طاعة الله. ومن أدق أبواب الزهد الزهد في التصفيق والثناء وحب الظهور. فقد يسهل على الإنسان أن يترك شيئا من المال، ولكن

يصعب عليه أن يترك الرغبة في أن يتحدث الناس عن فضله وأعماله.

وقد يسمع الصالح ثناء الناس عليه، فيزداد تواضعا وخوفا من التقصير، لأنه يعرف من نفسه ما لا يعرفون. فلا يجعل ثناءهم شهادة له بالكمال، ولا ينسى أن الله يعلم سره وعلانيته. وما أجمل أن يكون مدح الناس سببا في زيادة شكرك لله، لا في زيادة إعجابك بنفسك.

وبينما يجعل كثير من الناس همهم الأكبر جمع المال وتحصيل ملذات الدنيا، يحرص أهل الصلاح على الاستكثار من الحسنات، لأنهم يعلمون أن العمر قصير، وأن الموت آت، وأن ما يقدمه العبد من

الخير هو الذي ينفعه في آخرته. فلا ينشغلون بما جمعوه من الدنيا عما قدموه ليوم الحساب.

ومن أجمل أحوال الصالحين أنهم يكتفون بعلم الله بأعمالهم، ولا يحتاجون إلى أن يطلع الناس على كل خير يفعلونه. قد يصلي أحدهم في خلوته، أو يتصدق في السر، أو يذرف دمعة من خشية الله، ولا يعلم بذلك أحد من الناس. ولكن الله تعالى يعلم ذلك كله، ولا يضيع عنده عمل صالح تقبله.

وأنت يا طالب الطريق، ألا يكفيك أن الله يعلم بك؟ ألا يكفيك أنه يعلم ما تخفيه من نية صالحة، وما تقدمه من خير، وما تبذله من جهد في مجاهدة نفسك؟ تفعل الخير ولا يراك الناس، وتدعو ربّك

ولا يسمعك أحد منهم، وتذرف دمعة لا يعلم بها من حولك، ولكن الله يعلم ذلك كله. فلماذا تُتعب قلبك في طلب ثناء الناس، وأنت تستطيع أن تعمل لثواب الله ورضاه؟

يا محب أولياء الله، لا تجعل محبتك لهم مجرد كلمات ترددها، ولا تكتف بسماع أخبارهم والإعجاب بأحوالهم. تعلّم من تواضعهم، وجاهد نفسك على الإخلاص، واحرص على الطاعة، وطهر قلبك من الكبر والحسد وحب الظهور. فليس المقصود أن تعرف كيف كانوا يعيشون فقط، بل أن تأخذ من سيرتهم ما يصلح حياتك.

واعلم أن الولاية ليست بالدعاوى ولا بالمظاهر، وإنما أصلها الإيمان والتقوى. قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. فاحرص على محبة الصالحين والاقتداء بهم، ولا تنس أن الطريق إلى الولاية يبدأ بصحة الإيمان، والمحافظة على الفرائض، واجتناب المحرمات، والإكثار من الطاعات.

اللهم ارزقنا محبة أوليائك الصالحين، ومحبة أهل الصدق والإخلاص، واجعل في قلوبنا شوقا إلى الاقتداء بهم في الخير، وارزقنا التواضع والزهد في ثناء الناس، وطهر قلوبنا من الرياء والعجب وحب الظهور، واجمعنا بالصالحين في جنات النعيم.

الصحبة الصالحة وأثر البيئة في السلوك

يا طالب الطريق إلى الله، ليس كل من تضحك معه يَصلح أن تصاحبه، وليس كل من ترتاح إلى مجالسته يَصلح أن تأتمنه على أسرارك. فبعض المجالس يزيد في قلبك حب الطاعة، وبعضها قد يُضعف في ساعة ما اجتهدت أياما في بنائه. فانتبه لمن تجالس، فإن للصحبة أثرا عظيما في صلاح القلوب وفسادها.

قد لا يكون سبب فتورك عن الطاعة ضعف عزيمتك وحده، بل ربما كانت البيئة التي تعيش فيها تضعف همتك وتصرف قلبك عن الإقبال على طاعة الله، وأنت لا تشعر. فقد تكون حريصا على

الذكر والصلاة ومجالس العلم، ثم تكثر من مجالسة من يستثقلون هذه الأعمال، حتى تجد نفسك بعد مدة تستثقل ما كنت تحبه من الخير.

أتريد أن تسلك الطريق إلى الله، ثم تجعل من أقرب الناس إليك من يهون عليك المعاصي، ويُثبّطك عن الطاعات، ويسخر من أهل الصلاح؟ كيف تريد لقلبك أن يصفو وأنت تُعرّضه كل يوم لما يُكدّره؟ لا تستهن بأثر المجالسة، فإن القلب يتأثر بما يسمع ويرى، وقد يتغير الإنسان شيئا فشيئا دون أن ينتبه.

قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.
وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسُّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ». فالصحبة ليست أمرا هينا، بل قد تكون سببا في صلاح الإنسان أو فساده.

ليس المطلوب أن تهجر الناس جميعا، ولا أن تتكبر على من تراه مقصرا، ولكن أن تحسن اختيار من تُصاحبه وتُكثر مجالسته. خالط الناس بالخير، وأحسن إليهم، وانصحهم بالحكمة، ولكن لا تجعل قلبك معرضا لكل تأثير يُضعف دينك. فالمؤمن يجمع بين الإحسان إلى الناس والحرص على سلامة قلبه.

ليس كل من تحبه تكون كثرة صحبته نافعة لك، وليس كل من تصاحبه ينبغي أن تستشيره، وليس كل من تستشيره ينبغي أن تُطلعه على أسرارك. فللناس مراتب في القرب والثقة، ولا يصح أن تجعل الجميع في منزلة واحدة. أحسن إلى الجميع، ولكن أحسن اختيار من تأتمنه على خاصة أمورك.

الصحبة الصالحة ليست مجرد صحبة أشخاص يظهر عليهم التديّن، بل هي صحبة من تجد عندهم الصدق والأمانة وحسن الخلق والتواضع والنصيحة والعلم النافع. فلا تغتر بالمظاهر والكلمات الجميلة وحدها، بل انظر إلى الأخلاق والمعاملات، وإلى أثر مجالسة الإنسان على دينك وسلوكك.

يا طالب الطريق، ابحث عمن إذا رآك غافلا ذكّرك، وإذا رآك ضعيفا شجعك، وإذا رآك مقصرا نصحك، وإذا رآك مُقبلا على الطاعة أعانك. ابحث عن صاحب يفرح بخيرك، ويحفظ سرك، ويستر عيبك، ولا يحسُدك على نعمة أنعم الله بها عليك. هذه صحبة تستحق أن تحرص عليها، وتشكر الله على وجودها في حياتك.

قد يفتح الله لك بابا من أبواب الطاعة على يد صاحب صالح، بكلمة صادقة، أو نصيحة مخلصة، أو دعوة إلى مجلس علم. ورُبَّ إنسان تغير مسار حياته بسبب صاحب أخذ بيده إلى الخير. فلا تستهن بأثر الصحبة الصالحة، ولا تنس فضل من كان سببا في إقبالك على طاعة أو توبتك من معصية.

واحذر من صاحب يجعل مجالسه ميدانا للحديث عن عيوب الناس. اليوم يتكلم عن فلان، وغدا عن آخر، وبعد غد عن ثالث، حتى تصبح مشغولا بعيوب الخلق، ناسيا عيوب نفسك. وقد تجد نفسك بعد مدة تشاركه في الغيبة والانتقاص من الناس. فإن كنت تريد إصلاح قلبك، فلا تجعل الغيبة حديث مجالسك.

ومن أخطر المجالس مجالس الحسد والحقد والمقارنات الدنيوية. قد يدخلها الإنسان وهو راض بما قسم الله له، ثم يخرج منها منشغلا بما عند غيره، ناسيا ما أنعم الله به عليه. فاحذر مَن يعوّدك النظر إلى ما في أيدي الناس بعين الحسد، ويجعل حياتك مليئة بالمقارنات المستمرة بينك وبين غيرك.

يا طالب الطريق، احذر من صاحب إذا ذكرت أمامه رجلا صالحا أخذ يبحث عن عيوبه، وإذا أثنيت على صاحب علم بدأ ينتقص منه، وإذا أردت حضور مجلس خير أخذ يسوق لك الأعذار لتتخلف عنه. فلا تغتر بلطف كلامه وحسن معاملته إذا كان دأبه صرفك عن الخير وتنفيرك من أهله.

بعض الناس لا يدعوك صراحة إلى المعصية، ولكنه يُكثر من الكلام الذي يهون من شأن الطاعة ويُعظّم أمور الدنيا. فإذا حرصت على مجالس العلم قال لك: لا تبالغ. وإذا أردت ترك المعاصي قال: لقد تغيرت علينا. وإذا اجتهدت في الطاعة أخذ يثبط همتك. فميز بين

النصيحة الصادقة التي يراد بها خيرك، والتثبيط الذي يصرفك عن طاعة الله.

لا تصاحب من يزين لك المعصية ثم يقول لك: الله غفور رحيم. نعم، الله غفور رحيم، ولكن رحمته ليست حجة للإصرار على المعاصي. ومن صدق في محبته لك أعانك على التوبة، ونصحك بترك الحرام، ولم يجعل محبته لك سببا في تشجيعك على مخالفة أمر الله.

قد يكون لك صاحب تحبه منذ سنوات، ولكنك كلما جالسته ضعُفت همتك للطاعة، وانشغلت بما لا ينفع، وربما وقعت في المعصية. فلا تجعل طول الصحبة سببا للاستمرار فيما يضر دينك.

وإن احتجت إلى تقليل مجالسته، فافعل ذلك بأدب وحكمة، دون ظلم أو تكبر.

لا تقل: أنا قوي الإيمان ولا أتأثر بأحد. فإن القلوب تتقلب، والنفوس تضعف، والمجالسة تؤثر. وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من جليس السوء، فكيف يأمن الإنسان على نفسه ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم؟ لا تغتر بما أنت عليه من الطاعة، واسأل الله دائما الثبات والسلامة.

ولا تظن أن البيئة المحيطة بك تقتصر على الأشخاص الذين تجالسهم. فهاتفك جزء من بيئتك، وما تشاهده وتسمعه يؤثر فيك، ومن تتابعهم يوميا على مواقع التواصل قد يكون لهم أثر كبير في

أفكارك وأخلاقك. فاحذر أن تبني في قلبك حب الطاعة في مجالس العلم والذكر، ثم تُضعف ذلك بسوء ما تشاهده وتسمعه وتتابعه.

بعد كل مجلس تجلسه، اسأل نفسك: ماذا أضاف هذا المجلس إلى قلبي؟ هل زادني حبا للطاعة، وحرصا على الخير، ورغبة في إصلاح نفسي؟ أم خرجت منه وقد ازدادت غفلتي، وانشغلت بعيوب الناس، وضعُفت همتي؟ ليس المقصود أن تخلو كل مجالسك من المباحات والأنس، ولكن ألا تكون صحبتك سببا في إفساد دينك وأخلاقك.

وقبل أن تنشغل بتقييم أصحابك، قف مع نفسك واسألها: هل أنا صاحب صالح لغيري؟ هل أفرح بطاعتهم؟ هل أستر عيوبهم وأحفظ

أسرارهم؟ هل أشجعهم على الخير وأنصحهم عند التقصير؟ أم أنني أمارس ما أحذر الناس منه؟ وكما تحرص على اختيار الصحبة الصالحة، فاحرص أيضا على مجاهدة نفسك لتكون لأصحابك صاحبا صالحا.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾. تأمل هذه الحسرة، فإنه يتحسر على خليل كان سببا في ضلاله. فاختر من تحب أن تكون معه يوم القيامة، ولا تجعل صحبتك في الدنيا سببا لحسرتك في الآخرة.

اللهم ارزقنا صحبة الصالحين، ومجالسة المتقين، ومحبة أوليائك، وأبعد عنا كل صحبة تفسد علينا قلوبنا وديننا، واجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

شخصية السالك: قوة وأخلاق وحسن معاملة

يا طالب الطريق، ليس السلوك إلى الله مجرد أذكار ترددها، أو أوراد تقرؤها، أو مجالس تحضرها، بل هو أيضا تربية لشخصيتك، وتهذيب لأخلاقك، وإصلاح لتصرفاتك، حتى يظهر أثر الطاعة في حياتك كلها. فلا يكفي أن تكون مجتهدا في العبادة إذا كانت أخلاقك ومعاملاتك تحتاج إلى إصلاح.

بعض الناس إذا سمع كلمة «سالك» تخيل إنسانا منعزلا عن المجتمع، قليل الكلام، لا يضحك، ولا يهتم بمظهره، ولا يحسن التعامل مع الناس. وهذا تصوّر خاطئ، فالسلوك الصحيح لا يلغي شخصيتك،

بل يهذبها، ويقوي ما فيها من خير، ويعينك على التخلص من عيوبها.

نريد سالكا صاحب شخصية قوية، واثقا من نفسه دون غرور، متواضعا دون ذل، لطيفا دون ضعف، جادا دون عبوس، شجاعا دون تهور، وصاحب هيبة دون تكبر. فليست القوة في قسوة القلب، ولا التواضع في إهانة النفس، ولا الوقار في تجهم الوجه، وإنما الفضل في أن تضع كل خُلُق في موضعه.

سالك الطريق قوي الشخصية، لا يخاف من قول الحق بالحكمة، ولا يرضى بالظلم والإذلال، ولا يجعل رضا الناس مقدما على طاعة الله. ولكنه لا يستعمل قوته في التكبر والاعتداء، ولا يجعل الشجاعة

ذريعة للفظاظة. فالقوة المحمودة هي التي تحمل صاحبها على الحق والعدل وحسن التصرف.

لا تظن أن حسن الخلق يعني أن تسمح للناس بإهانتك وتحقيرك والتعدي على حقوقك. يمكنك أن تكون لطيفا، متسامحا، رحيما، ومع ذلك تضع حدودا واضحة في معاملاتك. وتعلّم أن تقول «لا» حين يكون القبول ضررا أو معصية، وأن تطالب بحقك بأدب وحزم، دون ظلم أو تجاوز.

سالك الطريق يعتني بنظافة جسده وثيابه، وطيب رائحته، وحسن مظهره، دون تكلف أو مخالفة للشرع. فليس مجرد إهمال المظهر دليلا على الزهد، ولا الأناقة المباحة منافية للتقوى. ومن حسن

معاملة الناس أن تراعي نظافتك ورائحتك، وألا تكون سببا في أذاهم أو نفورهم.

سالك الطريق بشوش الوجه، لا يجعل العبوس علامة على التديّن، ولا يتعمد إظهار الحزن والصرامة ليظن الناس أنه من أهل الصلاح. يبتسم، ويرحب بالناس، ويحسن استقبالهم، ويدخل السرور على قلوبهم. فلا تجعل من يجالسك يشعر أنه في مجلس توبيخ ومحاسبة، بل كن حسن العشرة، لين الجانب.

سالك الطريق يحسن الكلام والاستماع. لا يصرخ ليظهر قوته، ولا يقاطع الناس كلما تكلموا، ولا يستأثر بالحديث كأن غيره ليس عنده ما يستحق أن يُسمع. يعرف متى يتكلم ومتى يسكت، ويختار

كلماته بعناية، ويتصرف مع من يخالفه في الرأي بحكمة، ولا يجعل كل نقاش معركة لإثبات أنه على صواب.

سالك الطريق ليس ساذجا، فحسن الظن بالناس لا يعني أن يصدق كل ما يسمع، أو يثق بكل من يلقاه، أو يسلم أسراره وأمواله لكل أحد. يكون طيب القلب، ولكنه واع، فطن، حسن التصرف، يتثبت قبل أن يحكم، ويتأنى قبل أن يثق، ولا يجعل طيبته بابا لاستغلاله.

سالك الطريق لا يعيش أسيرا لآراء الناس، فلا يغير مبادئه كلما تغيرت أهواؤهم، ولا يجعل مدحهم غايته، ولا يترك الحق خوفا من انتقادهم. ومع ذلك لا يرفض النصيحة بحجة قوة الشخصية، بل

يسمعها، وينظر فيها بإنصاف، ويقبل ما ظهر له أنه حق، ولو جاءه ممن هو أصغر منه.

سالك الطريق صاحب مروءة وشهامة، إذا رأى محتاجا ساعده بقدر استطاعته، وإذا علم بمظلوم سعى في نصرته بالحق، وإذا وعد وفى، وإذا اؤتمن حفظ الأمانة. لا يكتفي بالكلام عن الأخلاق، بل تظهر أخلاقه عند الحاجة إليه، وعند اختبار صدقه ووفائه.

سالك الطريق لا يتصنع شخصية غريبة ليقنع الناس أنه من أهل الولاية. لا يتكلف في مشيته، ولا يغير نبرة صوته ليبدو صاحب منزلة عالية، ولا يتعمد استعمال عبارات غامضة ليظن الناس أنه

صاحب أسرار. كن على طبيعتك، ودع التكلف والتمثيل، فإن الصلاح لا يحتاج إلى مظاهر مصطنعة.

سالك الطريق حسن المعاملة مع زوجته. فليس من حسن السلوك أن تكون لطيفا مع أصحابك، مبتسما في مجالس العلم، ثم تعود إلى بيتك غليظا، سريع الغضب، لا تسمع منك زوجتك كلمة طيبة. فبيتك من أعظم ميادين اختبار أخلاقك، وحسن معاملتك لأهلك أولى من تكلف اللطف مع الغرباء.

سالك الطريق أب رحيم ومسؤول، لا يكتفي بإطعام أولاده وكسوتهم، بل يسمع لهم، ويحاورهم، ويعلمهم أمور دينهم، ويشجعهم على الخير، ويهتم بما يشغل قلوبهم وعقولهم. لا يجعل

الخوف منه أساس علاقته بهم، بل يجمع بين الرحمة والحزم، وبين المحبة والتوجيه.

ليس من شروط السلوك أن تحرم نفسك من كل مباح، أو أن تعيش عابسا منطويا على نفسك. يجوز لك أن تمزح مزاحا مباحا، وأن تفرح، وأن تستمتع بما أحل الله، وأن تجلس مع أهلك وأصدقائك. فليست كل ابتسامة غفلة، ولا كل راحة ضعفا في السلوك، وإنما المطلوب أن تضبط حياتك بأحكام الشرع.

سالك الطريق شجاع في الاعتراف بالخطأ. إذا أخطأ قال: «أخطأت»، وإذا ظلم اعتذر ورد الحقوق، وإذا جهل مسألة قال: «لا أعلم». لا يرى في الاعتراف بالخطأ إهانة لكرامته، بل يراه من

علامات الصدق والنُضج. فالكِبر أن تصر على الباطل لئلا يقول الناس إنك أخطأت.

سالك الطريق لا يقيس صلاحه بالمظاهر وحدها. فقد يكون حسن الهيئة، جميل الكلام، معروفا بين الناس، ولكنه يعلم أن حقيقة الصلاح ليست في الصورة التي يراها الآخرون، بل في صحة الإيمان والتقوى والعمل الصالح وحسن الخُلق. فلا تنخدع بمظهرك، ولا تجعل ثناء الناس عليك دليلا على كمالك.

سالك الطريق إنسان نافع أينما كان. في بيته مصدر رحمة، وفي عمله أمين، ومع جيرانه حسن المعاملة، وفي مجتمعه صاحب خير. لا يجعل الناس ينفرون من التديّن بسبب سوء أخلاقه، بل يجتهد

أن يكون قدوة حسنة، وأن يكون وجوده بين الناس سببا في نفعهم وإدخال السرور عليهم.

يا طالب الطريق، إذا كنت لا تحسن التعامل مع الناس، ولا تلتزم بالمواعيد، ولا تؤدي مسؤولياتك كما ينبغي، فلا تجعل انشغالك بالأوراد والمجالس عذرا لإهمال إصلاح هذه الأمور. فتهذيب الشخصية جزء مهم من تربية النفس، والوفاء بالحقوق والواجبات من أهم ما ينبغي أن تحرِص عليه.

يا طالب الطريق، لا تجعل شخصيتك تتغير أمام شيخك، ثم تعود إلى طباعك السيئة إذا غاب عنك. لا تكن مؤدبا في مجلس العلم، فظا في العمل، ظالما في البيت. فالأخلاق الحسنة ليست ثوبا تلبَسه

أمام أناس وتخلعه أمام آخرين. نريد أخلاقا صادقة ثابتة، لا تمثيلا مؤقتا.

نريد سالكا إذا رآه الناس عرفوا حسن أخلاقه قبل أن يعرفوا كثرة أوراده. نريده قوي الشخصية، حسن المظهر، بشوش الوجه، جميل الكلام، ملتزما بالمواعيد، أمينا في العمل، رحيما بأهله، نافعا لمجتمعه. نريده أن يجمع بين العبادة والعلم، وبين الأدب والشجاعة، وبين التواضع وعزة النفس، وبين الزهد وتحمل المسؤولية.

يا طالب الطريق، لا تهرب من مسؤوليات الحياة باسم السلوك، بل عش فيها عبدا صالحا، تؤدي حقوق الله وحقوق العباد. ولا تجعل

الناس يعرفون أنك سالك من كثرة كلامك عن السلوك، بل اجعلهم يرون أثره في صدقك وأمانتك ورحمتك وحسن معاملتك.

اللهم حسن أخلاقنا، وأصلح أحوالنا، وقو عزائمنا على طاعتك، وارزقنا التواضع دون ذل، والشجاعة دون ظلم، والحكمة في أقوالنا وأفعالنا، واجعلنا من عبادك الصالحين الذين ينفعون الناس ولا يؤذونهم، وارزقنا العلم النافع والعمل الصالح وحسن الخاتمة.

حسن الخلق وجمال المعاملة مع الناس

يا طالب الطريق إلى الله، قد تكون كثير الصلاة والذكر، محبا لمجالس العلم، حريصا على الطاعات، ولكن كيف تتعامل مع الناس؟ هل تبتسم في وجوههم؟ هل تحسن الكلام معهم؟ هل يشعرون بالراحة في صحبتك؟ فإن السلوك إلى الله ليس عبادات تؤديها في خلوتك فحسب، بل أخلاق تظهر آثارها في معاملاتك اليومية.

هل لاحظت أن بعض الناس إذا دخلوا مجلسا أضاءوه بابتسامتهم ولطفهم وحسن كلامهم، فإذا غابوا اشتاق إليهم الحاضرون؟ وفي المقابل، هناك من يدخل المجلس فينشر التوتر والانتقاد والتجهم، حتى يتمنى الناس انتهاء الزيارة. فاسأل نفسك: من أي الفريقين

أنت؟ وهل يفرح الناس بقدومك، أم يتنفسون الصُّعداء عند انصرافك؟

من الناس من لا يبتسم إلا إذا كانت له مصلحة، ولا يشكر إلا من كان أعلى منه منزلة، ولا يحسن الكلام إلا مع من يحتاج إليه. أما صاحب الخُلُق الحسن، فإنه يعامل الناس بالأدب واللطف، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، سواء احتاج إليهم أم لم يحتج. فلا تجعل حسن معاملتك سِلعة تمنحها لمن تنتظر منه منفعة.

قد ينسى الناس كثيرا مما قلته لهم، ولكن بعض مواقفك معهم قد يبقى في ذاكرتهم سنوات. رُبَّ كلمة طيبة قلتها لإنسان حزين خففت عنه هما عظيما، ورُبَّ ابتسامة صادقة أدخلت السرور إلى

قلب متعب، ورُبَّ كلمة قاسية جرحت قلبا لم تكن تعلم ما يعانيه. فانتبه إلى الأثر الذي تتركه في قلوب الناس.

لا تبخل على الناس بابتسامة صادقة. فقد تقابل إنسانا يحمل في قلبه هموما لا تعلمها، فتبتسم في وجهه وتسلم عليه ببشاشة، فيشعر بشيء من الأنس والراحة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ». فكيف يعتاد سالك الطريق العُبوس والتجهم، وهو يستطيع أن يكسب الأجر ويدخل السرور إلى القلوب بابتسامة؟

كم من إنسان يبخل بالكلام الجميل، وكأنه يدفع ثمنه من ماله. لا يقول لزوجته كلمة محبة، ولا يشجع أولاده، ولا يشكر من يخدمه،

ولا يثني على من أحسن عمله. يا أخي، ماذا تخسر إذا قلت كلمة طيبة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ». فاجعل لسانك مصدر خير ومودة، لا مصدر جراح وأحزان.

تعلّم أن تقول: «شكرا». إذا أحسن إليك أحد، فلا تتعامل مع إحسانه وكأنه أمر لا يستحق الشكر. اشكر زوجتك على تعبها، واشكري زوجك على إحسانه، واشكروا أولادكم على مساعدتهم، وأظهروا التقدير لمن قدم لكم خدمة ولو كانت صغيرة. فلا تجعل الاعتياد على إحسان الآخرين ينسيك فضلهم، ولا تظن أن كلمة الشكر تُنقص من منزلتك.

أفش السلام بين إخوانك. من المؤسف أن ترى مسلما يدخل مجلسا فلا يسلم، أو يمر بإخوانه وكأنه لا يعرفهم، أو يخص بالسلام من له عنده مصلحة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». فالسلام ليس مجرد عادة اجتماعية، بل تحية مباركة وسبب للمحبة. فعود نفسك أن تبدأ بالسلام، وأن ترد التحية بأحسن منها أو بمثلها.

يا طالب الطريق، لا تجعل دخولك إلى بيتك سببا في خوف أهلك وتوترهم. بعض الناس إذا دخل بيته سكت الأولاد، وتغيرت ملامح الزوجة، وخاف الجميع أن يقولوا شيئا يُغضبه، فإذا خرج تنفسوا الصُّعداء. أهذا هو الأثر الذي تريد أن تتركه في بيتك؟ اجعل أهلك

يفرحون بقدومك، ويأنسون بحضورك، فإن أولى الناس بحسن خلقك هم الذين يعيشون معك.

الهدية الصغيرة قد تصنع محبة كبيرة. ليس المطلوب أن تشتري هدايا غالية، فقد تكون هدية بسيطة سببا في إدخال سرور عظيم إلى قلب إنسان. كتاب نافع، أو طعام يحبه، أو شيء تعلم أنه يحتاج إليه. لا تنظر إلى ثمن الهدية فقط، بل إلى ما تحمله من اهتمام ومودة. وقد ورد في الحديث: «تَهَادَوْا تَحَابُّوا».

لا تنتظر مناسبة حتى تزور أحباءك. كم من إنسان لا يزور أقاربه وأصدقاءه إلا في الأعراس والمآتم، وتمر الشهور والسنون دون أن يسأل عنهم. خصص وقتا لزيارة والديك وأرحامك وأصدقائك،

وتفقد المريض والوحيد وكبير السن. وإذا تعذرت الزيارة فلتكن رسالة طيبة أو اتصال تطمئن به عليهم. فلا تجعل صلتك بالناس مرتبطة بالمصلحة الدنيوية وحدها.

امدح الخير عندما تراه. بعض الناس سريع في اكتشاف الأخطاء، ولكنه بطيء في الاعتراف بالمحاسن. إذا أخطأ أحد أمامه انتقده، وإذا أحسن سكت وكأن شيئا لم يحدث. فلماذا ترى الأخطاء ولا ترى المحاسن؟ إذا رأيت من إنسان خلقا حسنا أو عملا جميلا، فاذكره بخير دون مبالغة أو كذب، مع مراعاة ما يَصلح لحاله. فإن التشجيع الصادق يرفع الهمم ويقوي المحبة.

لا تُحرِج الناس أمام الآخرين. قد يخطئ إنسان في كلامه، أو ينسى أمرا، أو يتصرف تصرفا غير مناسب، فيجد من يسارِع إلى تصحيحه أمام الجميع بطريقة تحرجه وتجرح مشاعره. يا طالب الطريق، ليس كل خطأ يحتاج إلى تشهير، ولا كل نصيحة ينبغي أن تكون أمام الناس. فاختر للنصيحة وقتها وطريقتها المناسبة، واحفظ كرامة من تنصحه، ما لم تدع الحاجة الشرعية إلى غير ذلك.

أنصت عندما يتحدث إليك أحد. من حسن الخلق أن تعطي المتحدث اهتمامك، فلا تنشغل بهاتفك كلما بدأ إنسان يحدثك، ولا تقاطعه باستمرار، ولا تحول كل حديث إلى قصة عن نفسك. فقد يكون المتحدث أمامك بحاجة إلى من يسمعه أكثر من حاجته

إلى من ينصحه. والإنصات باهتمام من صور حسن المعاملة التي تقوي المودة بين الناس.

لا تجعل المزاح وسيلة لإهانة الناس. بعض الناس يظن نفسه خفيف الظل، ولكنه لا يضحك الجالسين إلا بالسخرية من الآخرين. يعلق على شكل هذا، ولهجة ذاك، وفقر فلان، وخطأ غيره، ثم إذا غضب أحد قال: «كنت أمزح». يا أخي، ليس كل ما يضحك الناس مباحا، وليست السخرية من الخلق دليلا على خفة الظل. فامزح بأدب، ولا تجعل ضحك المجلس على حساب كرامة أخيك.

تذكّر الناس في أفراحهم وأحزانهم. إذا رُزق أخوك مولودا فهنئه، وإذا نجح ابنه فبارك له، وإذا مرض فاسأل عنه، وإذا فقد عزيزا

فعزّه وواسه. لا تكن حاضرا فقط عندما تحتاج إلى الناس، غائبا عندما يحتاجون إليك. فإن المودة الصادقة تظهر في المواقف، لا في الكلمات الجميلة وحدها.

لا تُكثر من الشكوى في كل مجلس. هناك من إذا جلست معه بدأ يشكو من العمل والناس والأهل والزمان، حتى تخرج من عنده مُثقل القلب. لا حرج أن تشكو همك إلى من تثق به طلبا للعون والمواساة، ولكن لا تجعل كل مجلس مناسبة لنشر التشاؤم والتذمر. حاول أن تكون صاحب حديث نافع، وكلمة مشجعة، وروح تبعث الأمل.

قد ترى إنسانا يتواضع للأغنياء وأصحاب المناصب، ولكنه يتكبر على العامل والخادم والفقير. فأين حسن الخلق؟ يا طالب الطريق، عامل إخوانك باحترام، ولا تجعل مال الإنسان أو منصبه أو شهرته مقياسا لكرامته عندك. فقد يكون من تحتقره عند الله خيرا منك، وقد يكون من تعظمه لدنياه أقل منه منزلة عند الله.

لا تكن ثقيلا على الناس. من حسن الأدب أن تراعي ظروف الآخرين وأوقاتهم، فلا تُطل الزيارة إذا علمت أنهم منشغلون، ولا تتصل في أوقات غير مناسبة دون حاجة، ولا تفرض نفسك على من يحتاج إلى الراحة أو الانشغال بشؤونه. كن لطيفا في حضورك،

حسنا في انصرافك، واترك وراءك أثرا جميلا يجعل الناس يشتاقون إلى لقائك.

إذا أخطأت فاعتذر. بعض الناس يرى الاعتذار ضعفا وإهانة لكرامته، مع أن الاعتذار الصادق من علامات قوة النفس وحسن الخلق. إذا أخطأت في حق زوجتك أو ولدك أو صديقك أو أحد إخوانك، فلا تتكبر عن قول: «أخطأت، سامحني». وإن كان عليك حق لأحد فأده إليه، فإن الاعتذار وحده لا يسقط حقوق العباد.

اجعل من أهدافك أن تدخل السرور إلى قلب إنسان كلما استطعت. ربما باتصال تطمئن فيه على مريض، أو مساعدة تقدمها لمحتاج، أو كلمة تشجيع تقولها لمهموم، أو هدية تدخل بها الفرح إلى

بيت. ليس المطلوب أن تحل مشاكل العالم، بل ألا تبخل بما تستطيع من الخير، فرُبَّ عمل صغير في نظرك كان عظيم الأثر في قلب غيرك.

من السهل أن تكون لطيفا مع من يوافقك ويحبك ويمدحك، ولكن الامتحان الحقيقي لأخلاقك يظهر عندما يخالفك أحد أو ينتقدك أو يسيء إليك. هل تفقد أعصابك وتطلق لسانك بالإهانات؟ أم تضبط نفسك وترد بما يليق؟ ليس معنى حسن الخلق أن تقبل الظلم، بل أن تطالب بحقك دون أن تتخلى عن الأدب والعدل.

يا طالب الطريق، قد يتأثر الناس بحسن معاملتك أكثر مما يتأثرون بكثرة كلامك. عندما يرون صدقك وأمانتك وتواضعك ورحمتك،

فإنك تقدم لهم صورة جميلة عن أثر الإيمان في حياة الإنسان. فلا تجعل بين عباداتك وأخلاقك تناقضا، بل اجعل حسن معاملتك للناس ثمرة ظاهرة من ثمار السلوك إلى الله.

ابدأ من اليوم بخمس عادات بسيطة: ابتسم في وجوه الناس، وأفش السلام، وأكثر من الكلمات الطيبة، واشكر من أحسن إليك، وتفقد من غاب عنك. لا تحتقر هذه الأعمال، فقد تكون سببا في محبة عظيمة وأجر كبير، وقد يُغير الله بها حياة إنسان دون أن تشعر.

تذكر أن الناس قد لا يتذكرون كم كنت غنيا، ولا نوع السيارة التي كنت تقودها، ولا عدد الألقاب التي حملتها، ولكن كثيرا منهم سيتذكرون كيف عاملتهم، وكيف واسيتهم وشجعتهم وحفظت

كرامتهم. فاجعل لنفسك أثرا طيبا يبقى في القلوب بعد غيابك، وكن ممن إذا حضروا أنِس الناس بهم، وإذا غابوا اشتاقوا إليهم، وإذا ذُكروا دُعي لهم بالخير.

يا طالب الطريق إلى الله، اجعل من حسن خلقك عبادة تتقرب بها إلى الله، ومن ابتسامتك صدقة، ومن كلامك سببا للمودة، ومن حضورك أنسا، ومن غيابك ذكرا جميلا. فإن جمال السلوك لا يظهر في الخلوة وحدها، بل يظهر أيضا في الطريقة التي تعامل بها عباد الله.

أسأل الله أن يُحسّن أخلاقك، ويُطهّر قلبك من الكبر والحقد والحسد، ويجعل لسانك عامرا بالكلام الطيب، ووجهك بشوشا في

وجوه الناس، وأن يجعلك سببا في إدخال السرور إلى قلوب عباده، وأن يحبب إليك الإحسان، ويعينك على الصبر والرفق والتواضع.

الغضب وسرعة الانفعال: كيف تهدم لحظة غضب ما بنيته في سنوات؟

يا سالك الطريق إلى الله، ليس كل من رفع صوته قويا، ولا كل من سكت ضعيفا. فقد يكون الساكت أقدر على الرد، ولكنه يملك نفسه، ويعرف أن كلمة واحدة في لحظة غضب قد تهدم محبة بُنيت في سنوات.

من أعظم ما ينبغي أن تتعلّمه في حياتك أن تتحكم في غضبك قبل أن يتحكم هو فيك. فكم من إنسان خسر زوجته، أو جرح أولاده، أو قطع رحمه، أو أفسد صداقة قديمة، لأنه لم يصبر دقائق حتى يهدأ.

الغضب شعور طبيعي يعتري الإنسان، وليس كل غضب مذموما، ولكن الخطر أن تجعل غضبك قائدا لعقلك ولسانك وتصرفاتك. فليس المطلوب أن تعيش بلا غضب، بل أن تتعلّم متى تغضب، ولماذا تغضب، وكيف تتصرف إذا غضبت.

تأمل حالك عندما تغضب: هل تتغير ألفاظك؟ هل يرتفع صوتك؟ هل تجرح من تحب؟ هل تقول كلاما تندم عليه بعد ساعة؟ إن معرفة الإنسان بعيوبه أول خطوة في إصلاح نفسه، ومن لم يعترف بمشكلته يصعب عليه علاجها.

يا طالب إصلاح القلب، لا تظن أن حسن الخلق يظهر فقط عندما تكون مرتاحا وسعيدا، بل يظهر خصوصا عندما تُستفز، وتُخالَف،

وتُظلم، وتسمع ما لا يعجبك. ففي هذه المواقف يُختبر صبرك، ويظهر مقدار مجاهدتك لنفسك.

إذا غضبت من زوجتك أو غضبت من زوجك، فلا تجعلا الخلاف معركة لإثبات من الأقوى ومن الذي ينتصر. أنتما شريكان في حياة واحدة، وليس أحدكما عدوا للآخر. وقد يكون التنازل عن كلمة جارحة أعظم أثرا من الانتصار في جدال طويل.

بعض الآباء يصرخون في وجوه أولادهم لأتفه الأسباب، ثم يتعجبون لماذا يخاف الأولاد منهم ولا يصارحونهم بمشكلاتهم. تذكر أن ابنك يحتاج إلى تربيتك وتوجيهك، لا إلى أن يعيش مرعوبا من غضبك.

فالخوف الشديد قد يجعله يُخفي عنك أخطاءه بدل أن يطلب مساعدتك.

لا تتخذ قرارا مصيريا وأنت في شدة الغضب. لا تقطع علاقة، ولا تتلفظ بالطلاق، ولا تستقل من عملك، ولا ترسل رسالة قاسية قبل أن تهدأ وتفكر في العواقب. واحذر خصوصا من التهاون بألفاظ الطلاق، فإن مجرد الغضب لا يمنع وقوعه، وقد تترتب على كلمة تقولها آثار شرعية لا يستهان بها. فبعض القرارات يمكن إصلاحها، وبعضها يترك آثارا يصعب تداركها.

وأقبح ما يقع فيه بعض الناس عند الغضب أن يسب الله تعالى، أو دين الإسلام، أو القرآن الكريم، أو نبيا من الأنبياء. وهذا كفر

مخرج من الإسلام، وليس الغضب عذرا يُبيح للإنسان أن ينطق بالكفر. فمن وقع في ذلك وجب عليه أن يرجع فورا إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين، فيقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدا رسول الله»، ويجب عليه أيضا أن يندم على ما صدر منه، وأن يعزم على ألا يعود إلى مثله. فاحفظ لسانك عند الغضب، ولا تستهن بكلمة قد تكون سببا في خروجك من الإسلام.

إذا استفزك أحد بكلامه، فلا تظن أن عليك الرد فورا. تستطيع أن تقول له بهدوء: «سنتكلم في هذا الموضوع لاحقا». هذه العبارة البسيطة قد تمنع خصومة طويلة، وتحفظ لك كرامتك، وتمنحك وقتا لتختار جوابك بحكمة لا بانفعال.

انتبه إلى الكلمات التي تستعملها عند الغضب، مثل: «أنت دائما هكذا»، «أنت لا تفهم شيئا»، «لم أر منك خيرا قط». هذه العبارات قد تمحو في نفس السامع ذكرى إحسانك إليه. ناقش الخطأ الذي وقع، ولا تجعل خطأ واحدا سببا لإنكار كل خير سابق.

من الناس من يعتذر بعد كل نوبة غضب، ثم يعود إلى الصراخ والإهانة في اليوم التالي. الاعتذار حسن، ولكنه لا يكفي إذا لم يصحبه سعي جاد إلى تغيير السلوك. فلا تجعل كلمة «سامحني» وسيلة للتهرب من إصلاح نفسك.

إذا شعرت بأن غضبك يشتد، فتوقف عن الكلام قليلا، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وابتعد عن موضع الجدال إن استطعت.

وليس من الضروري أن تحسم كل خلاف في اللحظة نفسها. أحيانا يكون تأجيل النقاش نصف الحل.

لا تجعل أفراد أسرتك يدفعون ثمن المشكلات التي تواجهها خارج البيت. فقد يظلمك مديرك، أو يُرهقك عملك، أو تتراكم عليك الديون، ولكن لماذا تجعل زوجتك وأولادك يتحملون عُبوس وجهك وقسوة لسانك؟ تعلّم أن تفصل بين ضغوط حياتك وحقوق من يعيشون معك، فإنهم ليسوا مسؤولين عما أصابك من تعب وأذى، ولا ينبغي أن تجعلهم مجالا لتفريغ غضبك.

بعض الناس يغضب إذا خالفه أحد في الرأي، وكأن الاختلاف إهانة لشخصه. يا أخي، ليس كل من خالفك يعاديك، وليس كل من

ناقشك يريد التقليل من شأنك. تعلّم أن تسمع الرأي المخالف دون أن تتحول المناقشة إلى خصومة شخصية.

لا تستعمل أسرار الناس سلاحا عند الغضب. فقد يأتمنك صديق على سر، أو تُصارحك زوجتك بأمر يؤلمها، ثم يقع بينكما خلاف، فتفضح ما أخبرتك به. هذا من أقبح ما يفسد الثقة، وقد يسامحك الإنسان على غضبك، ولكنه يصعب عليه أن يأتمنك مرة أخرى.

انتبه إلى غضبك في وسائل التواصل الاجتماعي. لا تكتب تعليقا جارحا لمجرد أن منشورا لم يعجبك، ولا تدخل في مشاجرة مع شخص لا تعرفه. اسأل نفسك قبل النشر: هل في كلامي فائدة؟ وهل سأرضى أن يُقرأ هذا الكلام أمام الناس بعد سنة؟

من علامات ضعف ضبط النفس أن يشتد غضب الإنسان على من لا يستطيعون الرد عليه، ثم يتكلم بأدب شديد مع من يخاف سلطتهم. فتراه يصرخ في وجه زوجته وأولاده، ولكنه يضبط لسانه أمام مديره. فإن كنت تستطيع التحكم في غضبك مع القوي، فاجتهد في التحكم فيه مع الضعيف.

لا تخلط بين الحزم والغضب. تستطيع أن تمنع ولدك من تصرف خاطئ دون إهانته، وأن تطالب بحقك دون سب، وأن ترفض الظلم دون تهديد. الحزم يحتاج إلى وضوح وثبات، أما الصراخ فليس دليلا على قوة الموقف.

إذا أخطأ أحد في حقك، فلا تجمع في قلبك كل أخطائه القديمة ثم تخرجها دفعة واحدة عند أول خلاف. ناقش المشكلة الحاضرة بقدرها، ولا تحول كل نقاش إلى محاكمة لتاريخ العلاقة كله. فإن هذا الأسلوب يجعل المصالحة أصعب.

بعض الناس إذا غضب قال: «هذه طبيعتي، وأنا عصبي منذ صغري، ولا أستطيع تغيير نفسي». لا تجعل طبعك حجة للاستمرار في إيذاء الآخرين. قد يكون تغيير العادات صعبا، ولكنه ممكن بالمجاهدة والتدريب والاستعانة بالله. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

إذا كنت سريع الغضب، فراقب الأسباب التي تسبق انفعالك. هل تزداد عصبيتك عندما لا تنام جيدا؟ عندما تجوع؟ عندما تتراكم عليك الأعمال؟ عندما تشعر بأن أحدا لا يحترمك؟ معرفة هذه الأسباب تساعدك على الوقاية، فلا تنتظر حتى تنفجر ثم تبحث عن الحل.

لا تعاقب من تحب بالصمت الطويل لمجرد أنك غاضب منه. فلا حرج عليك في أن تطلب بعض الوقت لتهدأ، ولكن لا تجعل تجاهل الآخر وسيلة لإذلاله أو تخويفه أو إجباره على التنازل. قل بوضوح: «أنا غاضب الآن، وأحتاج إلى بعض الوقت، ثم نعود للكلام بهدوء».

إذا غضبت من أخيك أو أختك بسبب مال أو ميراث أو كلمة قيلت، فتذكر أن بينكما رحما لا ينبغي الاستهانة بحقها. لا تسمح لخلاف محدود أن يتحول إلى قطيعة تمتد سنوات، ثم يرثها أولادكما من بعدكما. طالب بحقك بالطرق المشروعة، ولا تجعل الغضب سببا للظلم أو قطيعة الرحم بغير عذر شرعي.

احذر أن يتحول غضبك إلى ظلم. فلا تضرب بغير حق، ولا تكسر الأشياء من حولك لإرهاب من أمامك، ولا تسد عليه طريق الخروج، ولا تهدده بالأذى. إذا شعرت أنك قد تفقد السيطرة، فابتعد عن الموقف واطلب المساعدة المناسبة. فإن سلامة إخوانك مقدمة على إكمال نقاش تافه.

تذكر وصية النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي طلب منه الوصية، فقال له: «لَا تَغْضَبْ»، فردد مرارا، قال: «لَا تَغْضَبْ». اجعل هذه الوصية حاضرة في ذهنك، ولا سيما عندما تشعر بأنك على وشك الانفعال. وليكن لك تدريب يومي: كلما استطعت كظم غضبك دون ظلم نفسك أو غيرك، فاحمد الله على توفيقه، واعزم على المزيد من إصلاح خُلقك.

يا سالك الطريق، لا تنتظر أن تصبح إنسانا لا يغضب أبدا، فهذا ليس المطلوب. ولكن اجتهد أن تصبح إنسانا لا يظلم إذا غضب، ولا يُهين إذا اختلف، ولا يندفع إلى ما يندم عليه. هذه منزلة عظيمة من حسن الخلق تستحق أن تجاهد نفسك من أجلها.

إذا انتهى خلاف بينك وبين أحد، فراجع نفسك بإنصاف. لا تسأل فقط: ماذا فعل هو حتى أغضبني؟ بل اسأل أيضا: هل بالغت في رد فعلي؟ هل جرحت بكلمة؟ هل كان يمكنني معالجة الموقف بطريقة أفضل؟ فإن محاسبة النفس باب من أبواب إصلاح القلب.

قد لا يتذكر أولادك بعد عشرين سنة مقدار المال الذي أنفقته عليهم، ولكنهم قد يتذكرون كيف كنت تعاملهم عندما يخطئون. وقد تنسى زوجتك تفاصيل خلاف قديم، ولكنها قد لا تنسى كلمة قاسية آلمتها. فاحرص أن تترك في قلوب أهلك ذكريات من الرحمة والأمان، لا آثارا من الخوف والإهانة.

لا تحتقر الانتصارات الصغيرة على غضبك. فقد تنجح اليوم في خفض صوتك، وغدا في تأجيل رد قاس، وبعد غد في الاستماع إلى من يخالفك في الرأي دون مقاطعته إن لم تدع الحاجة. ومع استمرار المجاهدة تتحسن أخلاقك شيئا فشيئا، وتصبح أكثر قدرة على التعامل مع المواقف الصعبة.

وأخيرا، يا طالب رضا الله، تذكر أن ضبط الغضب ليس مجرد مهارة لتحسين علاقاتك بالناس، بل هو أيضا عبادة تؤجر عليها إذا حسنت نيتك. فاجعل من كل موقف يستفزك فرصة لمجاهدة نفسك، واستحضر قول الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ الناسِ وَالله يحِب الْمحْسِنِينَ﴾. فما أجمل أن تخرج من موقف

أغضبك وقد حفظت لسانك، وصنت حقوق الناس، ورجوت محبة الله وثوابه.

حفظ اللسان وفضيلة الصمت

يا سالك الطريق إلى الله، لو تأملت في الخصومات التي تقع بين الناس، لوجدت أن اللسان كان سببا في كثير منها. كلمة قيلت في لحظة غضب، أو سر أُفشي، أو غيبة نقلت، أو سخرية جرحت قلبا، أو اتهام أفسد علاقة. وربما كانت بين رجلين محبة استمرت عشرين سنة، فجاءت كلمة واحدة فهدمت ما بنته الأيام. فيا عجبا من عضو صغير في جسم الإنسان، يستطيع أن يجمع القلوب أو يفرقها، وأن يصلح البيوت أو يخربها.

من أعظم علامات العقل والحكمة أن يعرف الإنسان متى يتكلم ومتى يسكت. فليس كل ما تعرفه ينبغي أن تقوله، ولا كل ما تسمعه

ينبغي أن تنقله، ولا كل ما يخطر ببالك يستحق أن يخرج من فمك. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». فاجعل هذه الوصية ميزانا لكلامك قبل أن تنطق به.

يا طالب إصلاح القلب، لا تغتر بكثرة كلامك ولا بقدرتك على الرد السريع وإسكات الآخرين. فقد يكون الرجل فصيحا حاضر الجواب، ولكنه يجر على نفسه المصائب بسبب لسانه، وقد يكون قليل الكلام، ولكنه حكيم يعرف عواقب الكلمات. فليس الذكي من يجد جوابا لكل كلمة، وإنما الذكي من يعرف أي الكلمات ينبغي أن تقال وأيها ينبغي أن تُترك.

كم من إنسان دخل مجلسا وهو محبوب بين أصحابه، فخرج منه وقد خسر محبتهم بسبب كلمة جارحة. وكم من أخوين تفرقا بسبب كلام نقله إليهما نمام. وكم من جارين كانا على مودة، ثم أفسدت علاقتهما إشاعة لم يتثبت أحدهما من صحتها. إن كثيرا من العداوات لا تبدأ بأعمال كبيرة، بل بكلمات استهان بها أصحابها.

يا مَن تريد سلوك الطريق إلى الله، اعلم أن حفظ اللسان ليس أمرا ثانويا في تزكية النفس، بل هو من أعظم أبواب الاستقامة. فقد يجتهد الإنسان في الصلاة والصيام والذكر، ثم يقع في الغيبة والبهتان والسب بغير حق والنميمة، فيأثم ويُضيّع على نفسه كثيرا من الخير. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ

الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». فاسأل نفسك: هل الناس آمنون من لساني؟

يا أخي، قبل أن تتكلم، توقف لحظة واسأل نفسك ثلاثة أسئلة: هل ما سأقوله صحيح؟ وهل يجوز لي قوله شرعا؟ وهل في قوله مصلحة معتبرة؟ فقد يكون الكلام صحيحا ولكنه غيبة محرمة، وقد يكون مباحا في أصله ولكنه يثير فتنة لا حاجة إليها، وقد يكون كذبا يظلم بريئا. فلا تجعل لسانك يسبق عقلك وعلمك، فإن لحظة تفكير قد تمنع سنوات من الندم.

الكلمة إذا خرجت من الفم كانت كالسهم إذا خرج من القوس. تستطيع أن تندم على إطلاقه، ولكنك لا تستطيع أن تعيده قبل

أن يُصيب هدفه. قد تعتذر بعد الإهانة، وقد يسامحك من جرحته، ولكن بعض الكلمات تبقى في الذاكرة سنوات طويلة. فاحذر أن تقول ما تندم عليه، وربما لا تستطيع إصلاح أثره كاملا.

تأمل كم من خصومة بدأت بشتيمة، ثم تطورت إلى اعتداء وسفك دماء. وقد قيل في التحذير من آفات اللسان:

احفظ لسانك أيها الإنسان، لا يلدغنك إنه ثعبان. كم في المقابر من قتيل لسانه،كانت تهاب لقاءه الشجعان.

فلا تحتقر خطورة الكلمة، ولا تظن أن الشجاعة في استفزاز الناس وإهانتهم. فإن العاقل يحفظ نفسه وغيره من أسباب الفتنة والعدوان.

من أخطر أمراض المجالس الغيبة، وهي أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره مما فيه، في غير موضع يُبيحه الشرع. فكم من مجلس يبدأ بحديث عادي، ثم يتحول إلى ذكر عيوب فلان وفلانة، والضحك على أشكال الناس وأحوالهم. يا أخي، لماذا تجعل أعراض المسلمين مادة لتسليتك؟

يا مَن تنقل الكلام بين الأقارب، اتق الله في العائلات التي قد تُخربها بلسانك. قد تقول امرأة لأختها: «زوجة أخيك لا تحبك»، وقد يقول رجل لأخيه: «سمعت أن أختك تتكلم عليك»، فتبدأ الشكوك والخصومات، وربما تنقطع الأرحام سنوات. وكل ذلك

بسبب إنسان لم يعرف متى يسكت. فكم من عائلة كانت مجتمعة، ففرقها لسان نمام أكثر مما فرقتها المسافات.

لا تجعل الصراحة حجة للوقاحة، ولا تجعل قول الحق ذريعة لإهانة الناس. فقد يقول أحدهم: «أنا لا أخاف من أحد، وأقول ما في قلبي مباشرة». ثم يجرح هذا، ويحتقر ذاك، ويفضح عيوب الآخرين. يا أخي، ليس كل ما في قلبك حقا، وليس كل حق يجوز قوله بأي أسلوب وفي أي مجلس. فتعلّم أن تجمع بين الصدق والحكمة وحسن الخُلق.

يا أيها الزوجان، لا تجعلا خصوصيات بيتكما مادة لأحاديث المجالس. فقد يكشف أحدكما للآخرين أمورا خاصة تتعلق بالطرف

الآخر، ثم تنتشر بين الأقارب والأصدقاء. وما كان ينبغي أن يبقى بينكما يصبح حديث الناس. فاحفظا أسرار بيتكما، ولا تكشفا منها إلا ما تدعو إليه حاجة معتبرة، كطلب فتوى أو نصيحة أو دفع ظلم.

يا أيها الأب، ويا أيتها الأم، احذرا أن تُحطما نفوس أولادكما بكلماتكما. لا تقل لولدك: «أنت فاشل، ولا فائدة منك، ولن تصبح شيئا في حياتك». ولا تقولي لابنتك: «أنت غبية، وأختك أفضل منك في كل شيء». فقد يُصدّق الطفل هذه الكلمات، ويحمل أثرها معه إلى الكبر. علموا أولادكم الصواب، وصححوا أخطاءهم، ولكن لا تجعلوا التربية قائمة على الإهانة والتحقير.

من أخطر ما يفسد الثقة بين الناس أن يجعل الإنسان أسرار غيره مادة للحديث. فقد يُخبرك صديق بمشكلة يمر بها، أو يُطلعك أحد على أمر خاص، فتذكره في مجلس لمجرد إثارة انتباه الحاضرين. يا أخي، ليس كل ما عرفته عن الناس يحق لك أن تنشره حيث شئت. فاحفظ ما اؤتمنت عليه، ولا تجعل ثقة الناس بك سببا في فضحهم.

احذر من السُّخرية التي يضحك بسببها الحاضرون ويتألم بسببها صاحبها. فقد تسخر من شكل إنسان، أو لهجته، أو فقره، أو ضعفه، ثم تقول: «كنت أمزح فقط». وليس كل مزاح مباحا، ولا يجوز إيذاء إخوانك واحتقارهم بحجة إضحاك المجلس. وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾.

بعض الناس إذا سمعوا خبرا عن شخص أسرعوا إلى نشره دون تثبت، وربما كان الخبر كذبا أو مبالغة أو سوء فهم. ثم إذا تبين لهم خطؤهم قالوا: «نحن نقلنا ما سمعنا فقط». يا أخي، لا تتسرع في نشر كل ما يصل إليك من أخبار، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». فاحفظ لسانك عن الأخبار التي لا تعلم صحتها، ولا تكن أداة لنشر البهتان.

من آفات اللسان كثرة الجدال في الأمور التي لا تنفع. فقد يجلس رجلان ساعة كاملة يتخاصمان حول رأي شخصي أو خبر لا أهمية له، ثم يفترقان وقد امتلأ قلب كل منهما بالغضب. يا طالب

الطريق، ليس من الحكمة أن تدخل في كل نقاش، أو أن تطيل الجدال مع كل من يخالفك في الرأي. فإذا كان استمرار الجدال لا يحقق مصلحة، وكان السكوت عنه مشروعا، فتركه أولى من إضاعة الوقت وإفساد المودة.

إذا رأيت إنسانا أخطأ، فلا تسارع إلى فضيحته أمام الناس. فقد تستطيع نصحه سرا بكلمات قليلة، فيقبل منك ويُصلح حاله. أما إذا جعلت النصيحة وسيلة لإذلاله وإظهار تفوقك عليه، فقد تُفسد أكثر مما تصلح. وليس معنى ذلك السكوت عن المنكرات التي يجب إنكارها، وإنما المقصود أن يكون إنكار المنكر بعلم وحكمة، وعلى الوجه الذي يقتضيه الشرع.

يا مَن اعتدت كثرة الكلام، جرب أن تراقب نفسك في مجلس واحد. كم مرة تكلمت فيما لا يعنيك؟ وكم مرة قاطعت غيرك؟ وكم مرة نقلت خبرا لا حاجة إليه؟ وكم مرة تكلمت لتظهر أنك أعلم من الحاضرين؟ إن محاسبة اللسان تكشف للإنسان عيوبا قد لا ينتبه إليها. وليس المقصود أن تعيش صامتا لا تتحدث، بل أن تجعل كلامك منضبطا بالخير والحاجة والمصلحة.

لا تظن أن آفات اللسان تقتصر على الكلام المنطوق، فإن ما تكتبه في الهاتف ومواقع التواصل يدخل في مسؤوليتك أيضا. فقد تكتب تعليقا جارحا، أو تنشر إشاعة، أو تُرسل رسالة نميمة، أو تُشارك في السخرية من إنسان. وربما يصل كلامك إلى آلاف الناس،

فيعظم أثره. فاحفظ أصابعك كما تحفظ لسانك، ولا تجعل سهولة الكتابة والنشر سببا في التهاون بحقوق العباد.

من الناس من يظن أن السكوت عن كل شيء فضيلة، وهذا خطأ. فقد يجب عليك أن تتكلم لتعلّم جاهلا، أو تنكر منكرا بالشروط الشرعية، أو تشهد بالحق، أو تدفع ظلما، أو تؤدي نصيحة واجبة. فليس المقصود من فضيلة الصمت ترك الكلام النافع أو الواجب، وإنما المقصود حفظ اللسان عن الحرام وما لا فائدة فيه. فخير الكلام ما كان في موضعه، وخير الصمت ما منع شرا أو حفظ حقا.

احذر من الكلام الذي يُفسد القلوب دون أن يشعر صاحبه، ككثرة الشكوى من الناس، وتفسير تصرفاتهم دائما بأسوإ

الاحتمالات، وترديد العبارات التي تثير الحسد والغيرة والعداوة. فقد تجلس مع شخص هادئ القلب، ثم تملأ صدره بالضغائن بسبب حديثك المستمر عن عيوب الآخرين. فليكن وجودك في المجالس سببا في الإصلاح والطمأنينة، لا في نشر الشكوك والخصومات.

إذا أخطأت بلسانك، فلا تكتف بأن تقول: «لم أقصد». فقد لا تكون قصدت الإيذاء، ولكنك آذيت بالفعل. اعتذر عما بدر منك، ورد الحقوق إن ترتبت على كلامك، وأصلح ما أفسدت بحسب استطاعتك. فإن كنت نشرت كذبا فصححه، وإن كنت نقلت كلاما أوقع العداوة فاسع في إزالة أثره بالطرق المشروعة.

يا سالك الطريق، اجعل لنفسك قاعدة لا تتنازل عنها: لا أتكلم بكلام محرم، ولا أنقل ما يُفسد بين الناس، ولا أفشي سرا اؤتمنت عليه، ولا أظلم إنسانا بلساني. وإذا ترددت بين كلمة قد تُفسد وصمت لا يترتب عليه ترك واجب، فاختر الصمت حتى تتبين الأمر. فإن حفظ اللسان قبل الخطإ أيسر من إصلاح ما يُفسده بعد ذلك.

يا طالب إصلاح القلب، لا تجعل كثرة الكلام علامة على حضورك بين الناس، ولا تظن أن سكوتك عن فُضول الحديث ينقص من قدرك. فقد يكون الصمت عبادة إذا قصدت به حفظ نفسك عن الحرام، وقد يكون الكلام عبادة إذا قصدت به تعليم الخير

والإصلاح بين الناس. فتعلّم أن تزن كلماتك بميزان الشرع، لا بميزان الرغبة في الظهور وإثبات الذات.

إذا أردت أن تعرف مقدار تقدمك في مجاهدة نفسك، فانظر إلى لسانك عند الخصومة، وعندما تسمع خبرا عن شخص لا تحبه، وعندما تجلس في مجلس تكثر فيه الغيبة. هل تمتنع عن البهتان؟ هل ترفض المشاركة في الغيبة؟ هل تحفظ الأمانات ولو اختلفت مع أصحابها؟ فإن ضبط اللسان في هذه المواقف من علامات حسن الخلق وصدق مجاهدة النفس.

لا تجعل مجالسك خالية من الكلام النافع. فإذا جلست مع أهلك وأصدقائك، فحدثهم بما يفيدهم، واسأل عن أحوالهم، وأدخل

السرور المباح على قلوبهم، وذكرهم بالله بحكمة، وتجنب الخوض في أعراض الناس. فإن المجلس الذي يخرج منه الحاضرون وقد ازدادت بينهم المحبة والمعرفة والخير، خير من مجلس يخرجون منه مُحمّلين بالأحقاد والذنوب.

تذكر أن الكلمة الطيبة قد تصلح ما أفسدته كلمات كثيرة، وأن الاعتذار الصادق قد يفتح بابا للمصالحة، وأن النصيحة الحكيمة قد تنقذ إنسانا من خطإ عظيم. فلا تستعمل لسانك في الهدم وأنت قادر على استعماله في البناء. وعود نفسك أن يكون كلامك سببا في نشر العلم، وجبر الخواطر، وإصلاح ذات البين، والدلالة على الخير.

وأخيرا، يا سالك الطريق إلى الله، اجعل لسانك مِفتاحا للخير لا مِفتاحا للشر، وميزانك في الكلام رضا الله لا رضا النفس. لا تتكلم لمجرد أنك تستطيع الكلام، ولا ترد على كل من استفزك، ولا تنقل كل ما تسمع، ولا تجعل رغبتك في الظهور تحملك على ما حرّم الله. واستحضر قول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾. فكل كلمة تقولها محسوبة عليك، وكل مجلس تجلسه فرصة لزيادة حسناتك، والسعيد من ملك لسانه، وأصلح قلبه، وجعل كلامه عونا له على طاعة الله.

الكلمة الطيبة وجبر الخواطر: جبر الخواطر من شِيَمِ الأكابر

يا سالك الطريق إلى الله، من أجمل الأخلاق التي يتحلى بها الإنسان أن يرفُق بقلوب الناس، ويعرف كيف يواسي الحزين، ويشجع المحبط، ويخفف عن المبتلى، ويجبر خاطر من أثقلته الهموم. فقد لا تملك مالا تعطيه، ولا منصبا تنفع به، ولكنك تملك لسانا تستطيع أن تقول به كلمة طيبة تخفف حزنا، أو تُعيد أملا، أو تُشعر إنسانا بأنه ليس وحيدا في محنته. فلا تحتقر الكلمة الطيبة، فقد تكون عندك أمرا صغيرا، وهي عند غيرك شيء عظيم.

جبر الخواطر من شِيَمِ الأكابر، وليس المقصود بالأكابر أصحاب الأموال والمناصب، بل أصحاب النفوس الكريمة والأخلاق الرفيعة. فقد يكون الإنسان فقيرا، ولكنه عظيم الخلق، يعرف كيف يحفظ كرامة المحتاج، وكيف يواسي المصاب، وكيف يدخل السرور على قلب مهموم. وقد يكون آخر غنيا مشهورا، ولكنه قاسي القلب لا يبالي بآلام الناس. فالعظمة الحقيقية ليست فيما تملكه من الدنيا، بل فيما تحمله من رحمة وحسن خلق.

كم من إنسان كان على وشك الاستسلام لليأس، فجاءته كلمة تشجيع أعادت إليه الأمل. وكم من طالب ظن أنه عاجز عن النجاح، فقال له معلمه: «تستطيع أن تتحسن»، فبدأ يجتهد. وكم

من مريض شعر بالخوف والوحدة، فزاره صديق وواساه بكلمات صادقة، فخف عنه بعض ألمه. إن الكلمة الطيبة قد لا تغير الظروف التي يمر بها الإنسان، ولكنها قد تعينه على احتمالها ومواجهتها.

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ». فتأمل كيف جعل الشرع حسن الكلام بابا من أبواب الخير. قد لا تستطيع أن تتصدق بمال كل يوم، ولكنك تستطيع أن تواسي حزينا، وأن تشكر محسنا، وأن تدعو لأخيك بخير، وأن تقول كلمة تثبت بها قلب مبتلى. فما أوسع أبواب الطاعة لمن أراد أن يبتغي مرضاة الله.

يا طالب إصلاح القلب، لا تظن أن جبر الخواطر مجرد عبارات مجاملة تقال للناس. فقد يحتاج جبر الخاطر إلى زيارة، أو مساعدة، أو ستر عيب، أو رد مظلمة، أو إنصاف مظلوم، أو اعتذار صادق. وليس كل كلام لطيف جائزا، فلا يجوز أن نجبر خاطر إنسان بالكذب المحرم أو المداهنة في الباطل. إنما جبر الخواطر المحمود هو الإحسان الذي يوافق الشرع، ويحفظ كرامة الإخوان، ويخفف ألمهم.

يا أيها الزوج، قد تكون زوجتك متعبة من أعمال البيت ورعاية الأولاد، فلا تحتاج منك إلى محاضرة طويلة عن الصبر، بل إلى كلمة حانية تقول فيها: «أعلم أنك تعبت اليوم، جزاك الله خيرا على ما

تفعلينه لأجلنا». وربما احتاجت إلى أن تساعدها في بعض أعمالها أكثر من حاجتها إلى الكلام. فلا تجعل اللطف غائبا عن بيتك، ولا تكن كريما في كلماتك مع الغرباء بخيلا بها مع زوجتك.

ويا أيتها الزوجة، قد يعود زوجك من عمله وقد تعرض لموقف أزعجه، أو أصابه إخفاق في أمر كان يرجو نجاحه. فلا تزيدي همه بالتقريع والمقارنة بالآخرين، بل اسمعي منه، وذكريه بما فيه من خير، وشجعيه على المحاولة من جديد. فليس جبر الخاطر أن تمدحيه بما ليس فيه، بل أن تذكريه بجوانب قوته، وتعينيه على إصلاح ما يحتاج إلى إصلاح.

يا أيها الأب، إذا أخفق ولدك في امتحان أو مسابقة، فلا تجعل خيبته أشد بإهانته أمام إخوته. قل له: «لم تحصل على النتيجة التي كنت تتمناها هذه المرة، ولكنك تستطيع أن تتعلّم وتتحسن، وسنبحث معا عن سبب التقصير». فإن التربية تحتاج إلى تصحيح الأخطاء، ولكنها لا تحتاج إلى تحطيم النفوس. وقد تكون كلمة تشجيع من أب سببا في أن يستعيد ولده ثقته بنفسه وينهض بعد إخفاقه.

ويا أيتها الأم، قد تأتي ابنتك حزينة لأنها تعرضت لسخرية في المدرسة، أو لأنها لم تنجح في أمر كانت تتمناه. لا تستهيني بألمها فتقولي: «هذا أمر تافه، لماذا تبكين؟». بل استمعي إليها، وأشعريها

أنك تفهمين حزنها، ثم ساعديها على النظر إلى الأمر بحكمة. فما يبدو صغيرا في نظر الكبير قد يكون عظيما في قلب الصغير، وجبر الخاطر يبدأ أحيانا بالإصغاء إلى من يتألم، وإظهار التفهم لما يعانيه، ومواساته بالكلمة الطيبة.

من أجمل صور جبر الخواطر أن تحفظ كرامة الفقير عندما تساعده. لا تسأله أمام الناس عن تفاصيل حاجته، ولا تُذكّره بفضلك عليه، ولا تنشر صورته وأنت تعطيه المال لتنال إعجاب الآخرين. أعنه بما تستطيع، واحفظ ستره، واجعل عطاءك خاليا من المنّ والأذى. فقد يحتاج الفقير إلى المال، ولكنه يحتاج أيضا إلى أن يشعر أن فقره لم يسلبه كرامته.

يا مَن تزور مريضا، لا تجعل زيارتك سببا في زيادة خوفه. لا تُكثر أمامه من ذكر من ماتوا بالمرض نفسه، ولا تسرد له القصص المخيفة، ولا تتكلم وكأنك تعرف مصيره. اسأل عن حاله، وادع له بالشفاء، وقدم له ما يحتاج إليه من مساعدة، واحترم رغبته في الراحة. وقد يكون من أعظم جبر خاطره أن تجلس معه بهدوء، وتستمع إليه، وتشعره أنه ليس وحيدا في محنته.

إذا رأيت إنسانا فقد عزيزا عليه، فلا تظن أن جبر خاطره يكون بإسكاته عن الحزن أو مطالبته بأن يتجاوز مصيبته بسرعة. فقد يحتاج إلى من يسمع ذكرياته، أو يعينه في شؤونه، أو يزوره بعد انصراف المعزين. قل له ما فيه تسلية مشروعة، وادع للميت

المسلم، وكن قريبا منه دون إلحاح. فإن بعض المصابين يتذكرون طوال حياتهم من وقف معهم في أيام الحزن، خصوصا بعد أن يعود سائر الناس إلى حياتهم المعتادة.

يا أيها المعلّم، قد يكون في صفك طالب ضعيف المستوى، يخشى المشاركة لأنه اعتاد أن يضحك عليه زملاؤه. فإذا أجاب إجابة خاطئة، فلا تجعله موضع سخرية، بل صحح له برفق، وشجعه على المحاولة. وإذا لاحظت تقدما ولو يسيرا فأظهر له أنك رأيته. فقد تكون أنت أول من يُشعر هذا الطالب أنه قادر على التعلّم، وربما غيرت كلمة منك نظرته إلى نفسه ومستقبله.

يا مَن تعمل مسؤولا عن الآخرين، لا تحتقر أثر الكلمة الطيبة في نفوس الموظفين والعاملين معك. قد يكون أحدهم أمضى ساعات طويلة في إنجاز عمل متعب، فلا تبخل عليه بقولك: «أحسنت، جزاك الله خيرا». وإذا أخطأ فصحح خطأه دون إذلال. فإن جبر الخواطر في العمل ليس إلغاء للمحاسبة ولا تساهلا في الحقوق، بل هو الجمع بين العدل وحسن المعاملة.

من جبر الخواطر أن تنتبه إلى الإنسان الذي لا ينتبه إليه أحد. قد يكون في المجلس شخص خجول لا يعرف كيف يدخل في الحديث، أو رجل جديد لا يعرف الحاضرين، أو كبير في السن يجلس بعيدا عن الناس. اقترب منه، وسلم عليه، وأفسح له مكانا، وأشركه في

الحديث بما يناسبه. فقد يعود إلى بيته سعيدا لأنه شعر أن أحدا لاحظ وجوده واحترمه.

إذا أخطأت في حق إنسان، فقد يكون أعظم ما تجبر به خاطره أن تعتذر إليه اعتذارا صادقا. لا تقل له: «أنت حساس أكثر من اللازم»، ولا تحمل المسؤولية كلها على سوء فهمه. اعترف بما صدر منك من خطإ، وأصلح ما ترتب عليه من ظلم، واطلب منه المسامحة حيث يناسب ذلك. فإن الاعتذار ليس ضعفا، بل قد يكون علامة على قوة النفس والقدرة على محاسبتها.

يا سالك الطريق، احذر أن تجعل جبر الخواطر وسيلة للتَّملّق وطلب المنافع. فقد يمدح بعض الناس أصحاب الأموال والمناصب بما ليس

فيهم، ثم يزعمون أنهم يجبرون خواطرهم. وهذا ليس من حسن الخلق، بل قد يكون كذبا ونفاقا في المعاملة. امدح ما تعلّم أنه حسن بقدر الحاجة والمصلحة، ولا تبالغ، ولا تجعل رضا الناس مُقدّما على رضا الله.

قد يأتيك إنسان يشكو مشكلة، فتسارع إلى إعطائه الحلول قبل أن ينهي كلامه. وربما كان يعرف كثيرا من هذه الحلول، ولكنه يحتاج أولا إلى من يستمع إليه. تعلّم أن تُصغي دون مقاطعة، وأن تسأل عما يحتاج إليه، وألا تحول كل حديث إلى قصة عن نفسك. فإن من جبر الخواطر أن يشعر الإنسان أن كلامه مسموع، وأن ألمه لم يقابل بالاستهانة.

من جبر الخواطر أن تذكر فضل من أحسن إليك، وأن تشكره على معروف قديم لم ينسه قلبك. قد يكون معلما علمك في صغرك، أو صديقا وقف معك في محنة، أو قريبا ساعدك عندما ضاقت بك الحال. اتصل به وقل له: «ما زلت أذكر إحسانك إلي، جزاك الله خيرا». فقد تكون هذه الكلمات سببا في سعادة عظيمة لإنسان ظن أن معروفه قد نسي.

يا مَن تعمل في الدعوة إلى الله، تذكر أن الناس الذين تحاول تعليمهم ليسوا جميعا في حال واحدة. قد يأتيك إنسان مُثقل بالهموم، أو شاب خائف من ماضيه، أو امرأة تبحث عن نصيحة بعد مصيبة. علمهم ما يحتاجون إليه من علم الدين، ولكن لا تجعل أسلوبك

قاسيا ينفرهم من مجالس الخير. كن واضحا في بيان الواجب والحرام، رفيقا في التعليم، مشجعا على التوبة والطاعة. فإن الرحمة بالمتعلّمين لا تعني التهاون في أحكام الشرع.

قد يكون في عائلتك شخص لم يحقق ما حققه إخوته من نجاح دنيوي. ربما لم يُكمل دراسته، أو لم يجد عملا مناسبا، أو مرّ بظروف صعبة. لا تجعل المناسبات العائلية محاكم يُقارَن فيها الناس بعضهم ببعض. عامله بإحسان، واذكر ما فيه من خير، وساعده بما تستطيع دون أن تشعره بالنقص. فإن الإنسان لا تقاس كرامته براتبه أو شهادته أو منصبه.

لا تحتقر الأعمال الصغيرة في جبر الخواطر. قد تُرسل رسالة اطمئنان إلى مريض، أو تزور شخصا تعلم أنه يعيش وحده، أو تتذكر إنسانا غاب عن المجلس فتسأل عنه، أو تُبارك لصديق على نجاح طال انتظاره. هذه الأعمال قد تبدو بسيطة، ولكن أثرها في القلوب كبير. فقد يكون أشد ما يؤلم الإنسان أن يشعر أنه منسي، وأن غيابه لا يلتفت إليه أحد.

يا طالب إصلاح القلب، اجعل جبر الخواطر خُلقا ثابتا في حياتك، لا تصرفا عابرا تفعله عندما تكون مرتاحا فقط. كن رحيما بمن أخفق، ورفيقا بمن ضعف، ومُنصفا لمن ظُلم، ولطيفا مع من يطلب منك المساعدة ولا تستطيع إعانته. وليس معنى ذلك أن تتنازل عن

حق واجب، أو تسكت عن منكر يجب إنكاره، بل أن تقوم بما أوجب الله عليك دون قسوة لا مبرر لها.

إذا أردت أن تجبر خاطر إنسان، فافعل ذلك بصدق، لا لمجرد أن يراك الناس مُحسنا. فقد تكون كلمة تقولها في السر أعظم نفعا من ثناء طويل أمام الناس، وقد يكون حفظ كرامة محتاج أهم عنده من مقدار ما تعطيه. راقب نيتك، واحذر المن والأذى، وتذكر أن الإحسان الذي يراد به وجه الله لا يحتاج إلى تصفيق الناس.

يا مَن فرج الله كربك بعد شدة، لا تنس من يعيشون اليوم ما عشته بالأمس. إذا عرفت ألم الفقر فارحم الفقراء، وإذا عرفت وحشة المرض فواس المرضى، وإذا ذقت مرارة الوحدة فاسأل عن

المنفردين، وإذا وجدت من شجعك عند الفشل فكن مشجعا لغيرك. اجعل تجاربك المؤلمة سببا في زيادة رحمتك بالناس، لا في قسوة قلبك عليهم.

وأخيرا، يا سالك الطريق إلى الله، كن ممن إذا حضروا أراحوا القلوب، وإذا تكلموا نشروا الخير، وإذا رأوا حزينا واسوه، وإذا وجدوا محتاجا أعانوه بما يستطيعون، وإذا قدروا على جبر خاطر لم يبخلوا به. لا تنتظر من الناس مقابلا لكل إحسان، ولا تجعل جفاء بعضهم يطفئ رحمتك. واستحضر قول الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنوا إِن اللَّهَ يحِب الْمحْسِنِينَ﴾. فليكن لك من هذا الإحسان نصيب في بيتك وعملك ودعوتك ومعاملاتك، ولتكن كلماتك وأفعالك سببا

في تخفيف آلام الناس وإدخال السرور المشروع على قلوبهم. فجبر الخواطر من شيم الأكابر، وأكرم الناس خلقا من جمع بين صحة الاعتقاد، وأداء الواجبات، واجتناب المحرمات، والرحمة بعباد الله.

العلاقات المؤذية: عندما يتحول القرب من بعض الناس إلى مصدر للألم واستنزاف النفس

يا سالك الطريق إلى الله، ليس كل من اقترب منك أحبك، ولا كل من أكثر الاتصال بك أراد لك الخير، ولا كل من ابتسم في وجهك كان صادقا في مودته. فقد يدخل بعض الناس حياتك فيستنزفون وقتك، ويُقلقون قلبك، ويضعفون همتك، ويشغلونك عن طاعة الله. فتعلّم أن تميز بين الصحبة التي تعينك على الخير والعلاقة التي تجر عليك الأذى، فإن حسن اختيار من تخالط من حسن تدبير دينك ودنياك.

من الأخطاء التي يقع فيها بعض الطيبين أنهم يظنون أن حسن الخُلق يعني تحمّل كل إهانة، وأن الصبر يعني السماح للآخرين بالتمادي في الظلم، وأن التسامح يوجب إعادة الثقة إلى من خانها مرارا. وليس الأمر كذلك. فالإسلام أمر بالإحسان والعدل، ونهى عن الظلم والاعتداء، ولا يلزم من العفو أن تفتح أبواب حياتك لمن ثبت أنه يسيء إليك ويستغل طيبتك.

قد يكون الشخص المؤذي صديقا قديما، أو زميلا في العمل، أو قريبا من الأقارب، أو حتى زوجا أو زوجة. وقد يكون أذاه ظاهرا بالكلام الجارح والإهانة، أو خفيا بالتلاعب بالمشاعر وإثارة الشعور بالذنب والتحكم في القرارات. فلا تجعل طول المعرفة أو قوة القرابة

يمنعانك من رؤية الخطأ، ولكن احذر أيضا أن تصف كل من خالفك أو نصحك أو أغضبك بأنه شخص مؤذ.

يا طالب إصلاح القلب، ليس المطلوب أن تهرب من كل علاقة فيها مشقة، فإن مخالطة الناس تحتاج إلى صبر واحتمال وتغافل عن الهفوات. ولكن هناك فرق بين إنسان يخطئ ثم يعتذر ويصلح حاله، وإنسان يجعل الإساءة عادة، ويطلب منك أن تتحمّلها باسم المحبة أو الوفاء أو القرابة. فالحكمة أن تعرف متى تعفو، ومتى تنصح، ومتى تضع حدودا، ومتى يكون الابتعاد مشروعا أو مطلوبا لدفع الضرر.

وقبل أن نبحث عن الأشخاص المؤذين في حياتنا، ينبغي أن نسأل أنفسنا سؤالا شجاعا: هل نؤذي نحن أحدا دون أن نشعر؟ هل نستعمل محبتنا للآخرين وسيلة للسيطرة عليهم؟ هل نغضب إذا لم يوافقونا في الرأي؟ هل نرهقهم بكثرة مطالبنا؟ فقد يشتكي الإنسان من العلاقات المؤذية، وهو نفسه سبب أذى لكثير ممن حوله. ومن صدق في طلب إصلاح قلبه بدأ بمحاسبة نفسه قبل محاسبة الناس.

من علامات العلاقة المؤذية أن تعيش فيها خائفا من رد فعل الطرف الآخر، فتزن كل كلمة قبل أن تقولها خشية أن يحملها على أسوإ المعاني، وتخفي رأيك خشية غضبه، فقط حتى لا تقع مشكلة. والمحبة الصحيحة لا تقوم على التخويف والإذلال. فإذا اعتاد إنسان

استعمال غضبه للسيطرة عليك، فلا تجعل خوفك من خسارته سببا في التنازل عن كرامتك وحقوقك المشروعة.

بعض الناس لا يتصل بك إلا عندما يحتاج إلى خدمة أو مال أو مساعدة، فإذا احتجت إليه لم تجده، وإذا اعتذرت مرة عن تلبية طلبه اتهمك بالتقصير وقلة الوفاء. لا تجعل رغبتك في فعل الخير سببا في تمكين الآخرين من استغلالك. ساعد بما تستطيع، وابتغ الأجر من الله، ولكن اعلم أن من حقك الاعتذار عن أمر غير واجب عليك، دون أن تُحمّل نفسك فوق طاقتها.

احذر من الشخص الذي يحاول إفساد علاقتك بكل من يحبك، فيذم أصدقاءك، ويشكك في نيات أهلك، ويغضب إذا جلست

مع غيره، حتى تصبح مع الأيام معزولا لا تستأنس إلا به. فإن المحبة ليست احتكارا للإنسان، والصداقة ليست امتلاكا، والزواج ليس إذنا بالظلم. ومن أحبك محبة صحيحة لم يجعل محبتك له سببا في قطعك عمن لهم حقوق عليك.

قد يؤذيك إنسان ثم يقول لك: «أنت حساس جدا، أنت تفهم الكلام خطأ، أنت تبالغ في كل شيء». وربما يكرر هذا الأسلوب حتى تبدأ بالشك في فهمك للأحداث. لا تتعجل في اتهام الناس بالتلاعب، فقد يقع سوء الفهم بين الصادقين، ولكن إذا تكرر إنكار الوقائع الواضحة وتحميلك مسؤولية كل خلاف، فانتبه إلى هذا السلوك، واستعن بمن تثق بدينه وحكمته لتتبين الأمر.

من الناس من يستعمل أسرارك ضدك عند أول خلاف. تخبره بما يؤلمك لأنك تثق به، ثم إذا غضب منك عيرك بضعفك، أو هدد بكشف ما أخبرته به، أو نشره بين الناس. هذا اعتداء على الأمانة، وليس مجرد سوء تفاهم. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». فلا تأتمن على خصوصياتك من اعتاد خيانة الأمانة، ولو كان كثير الكلام عن المحبة والإخلاص.

يا أيها الزوج، لا تجعل زوجتك تعيش تحت التهديد المستمر بالطلاق أو الهجر أو الفضيحة. ويا أيتها الزوجة، لا تستعملي ضعف زوجك أو أسراره أو تعلقه بأولاده وسيلة لإذلاله والتحكم فيه. فإن الزواج

ميثاق غليظ، وليس ميدانا لكسر النفوس. ومن أراد صلاح بيته فليبدأ بإزالة الظلم منه، لا بمجرد مطالبة الطرف الآخر بالصبر.

وإذا تحول الأذى إلى ضرب أو تهديد خطير أو اعتداء يخشى منه على النفس أو الأولاد، فلا نكتفي بقولنا للمتضرر: «اصبر وتحمل». بل ينبغي أن نساعده على حماية نفسه وأولاده، واتخاذ الإجراءات المناسبة لدفع الأذى عنهم. وإذا كان الخطر وشيكا فلا ينبغي تأخير طلب النجدة. فالصبر المحمود لا يعني ترك النفس والأولاد عرضة للاعتداء، وطلب الحماية لا ينافي التوكل على الله.

قد يكون الشخص المؤذي أبا أو أمّا أو أخا أو أختا، وهنا تحتاج المسألة إلى فقه وحكمة. فليس لك أن تُسقط حقوق الوالدين لمجرد

صعوبة طباعهما، ولا أن تقطع رحمك بغير عذر شرعي، ولكن لا يلزمك أيضا أن توافق على المعصية أو تستجيب لطلب فيه ظلم أو ضرر. فاحفظ الحقوق الواجبة، واستعمل الرفق، واستعن بأهل العلم عند تعارض الحقوق، وابحث عن وسائل مشروعة لتخفيف الأذى.

من العلاقات المؤذية صحبة من يسخر من التزامك بالدين، ويستهزئ بحضورك مجالس العلم، ويثبطك عن الصلاة، ويدعوك إلى المحرمات، ثم يقول لك: «نحن نمزح فقط». لا تجعل خوفك من خسارة صديق سببا في خسارة استقامتك. فإن الصاحب يؤثر في

صاحبه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

بعض الناس لا يطيق أن يراك ناجحا أو سعيدا، فإذا بشرته بخير قلل من شأنه، وإذا حققت إنجازا استصغره، وإذا فرحت بشيء حاول إفساد فرحتك. لا تتعجل في الحكم على ما في القلوب، فإن النيات لا يعلم حقيقتها إلا الله، ولكن راقب الأفعال المتكررة. وليس من الحكمة أن تجعل كل تفاصيل حياتك وأخبارك الخاصة متاحة لمن اعتاد استعمالها لإيذائك.

لا تجعل كثرة الاعتذار دليلا كافيا على صلاح العلاقة. فقد يسيء إليك إنسان اليوم، ثم يبكي غدا ويعتذر، ثم يعود إلى الإساءة نفسها

بعد أيام. العبرة بصدق التوبة، وظهور التغير في السلوك، ورد الحقوق إلى أصحابها، لا بمجرد الكلمات المؤثرة. وإذا أردت أن تمنح فرصة جديدة، فلتكن مبنية على علامات إصلاح حقيقية، لا على وعود تتكرر دون عمل.

من الأخطاء أن تدخل في كل نقاش مع شخص يحب الخصومة وإثارة المشكلات. فقد تشرح له موقفك عشر مرات، ولكنه لا يريد الفهم، وإنما يريد أن يجرك إلى جدال جديد. تعلّم أن تُنهي النقاش بأدب عندما يصبح بلا فائدة، ولا تظن أنك ملزم بالرد على كل اتهام. فقد يكون ترك الجدال في بعض الأحوال أحفظ لدينك ووقتك ولسانك.

إذا وجدت أن علاقتك بشخص تشغلك عن الصلاة، أو تدفعك إلى الغيبة، أو تثير فيك الحقد، أو تجعلك تقصر في حقوق أهلك، فراجع هذه العلاقة بجدية. ليس كل تعلق بالناس نافعا، وقد يحب الإنسان صحبة تضره في دينه. فاسأل نفسك: هل أصبحت بسبب هذه العلاقة أقرب إلى الطاعة وأحسن خلقا، أم صرت أكثر انشغالا وخصومة وغفلة؟

لا تستعمل عبارة «أنا صريح» لتبرير قسوة لسانك، ولا تقل: «هذه طبيعتي» لتبيح لنفسك إهانة الناس. فالصراحة لا تعني التجريح، والنصيحة لا تعني الفضيحة، والصدق لا يحتاج إلى احتقار الآخرين. وإذا كنت تعتاد إيلام الناس بكلماتك ثم تطالبهم

بتحملها، فالمشكلة ليست دائما في حساسيتهم، بل قد تكون في سوء خلقك الذي يحتاج إلى إصلاح.

بعض الناس يُرهقون من حولهم بكثرة الشكوى، فلا يكاد مجلس يجمعهم بأحد إلا جعلوه حديثا عن مشكلاتهم ومظالمهم وأحزانهم. وليس المذموم أن يشكو الإنسان همومه إلى من يثق به، فكلنا يحتاج إلى من يسمعه ويواسيه، ولكن ينبغي ألا نجعل الآخرين مسؤولين عن حمل جميع أعبائنا النفسية. فكما تحب من يستمع إليك، تعلّم أن تستمع إليه، وأن تسأله عن حاله، وأن تُراعي طاقته وظروفه.

إذا اضطررت إلى التعامل مع شخص كثير الأذى في العمل أو في محيط الأسرة، فليس الحل دائما أن تدخل معه في مواجهة حادة.

قد يكون الأنفع أن تجعل التعامل في حدود الحاجة، وأن توثق الحقوق والاتفاقات، وأن تقلل الكلام الشخصي، والاستعانة بوسيط حكيم عند الحاجة. فليس كل خلاف يُعالج بالمواجهة المباشرة، وليس كل أذى يحتاج إلى خصومة مُعلَنة.

لا تجعل تجربة مؤلمة مع إنسان واحد سببا في إساءة الظن بجميع الناس. فقد يخونك صديق، ولكن هذا لا يعني أن الصداقة كلها خداع. وقد يظلمك قريب، ولكن هذا لا يعني أن كل أقاربك يريدون أذيتك. احذر أن يتحول حرصك على حماية نفسك إلى قلب مليء بالريبة والحقد. فالمطلوب أن تتعلّم من التجربة، لا أن تفقد الثقة بكل أحد.

من المهم أن تُفرّق بين النصيحة الصادقة والكلام المؤذي. فقد ينبهك معلمك إلى خطأ، أو ينصحك صديق بتغيير عادة سيئة، أو يطالبك أحد بحق واجب عليك له، فتشعر بالضيق. ليس كل كلام يزعجك ظلما، ولا كل من يصارحك بعيبك شخصا مؤذيا. فرُبَّ كلمة ثقيلة على النفس كانت سببا في إصلاحها، ورُبَّ مجاملة لطيفة كانت سببا في استمرارها على الخطأ.

يا سالك الطريق، اجعل ميزان علاقاتك شرع الله لا مجرد راحتك النفسية. فقد تكون بعض العلاقات متعبة ولكنها تتضمن حقوقا واجبة ينبغي أداؤها، وقد تكون بعض العلاقات ممتعة ولكنها تجر إلى المعصية. فليس كل ما يريح النفس خيرا، ولا كل ما يشق عليها

شرا. تعلّم متى تصبر ابتغاء مرضاة الله، ومتى تنصح، ومتى تعفو، ومتى تبتعد، ومتى تطالب بحقك، مسترشدا بالعلم الصحيح والحكمة.

يا طالب إصلاح القلب، لا تجعل هدفك أن تُخرج من حياتك كل إنسان يزعجك، بل أن تتعلّم كيف تعاشر الناس بالعدل والإحسان دون أن تسمح للظلم بأن يفسد دينك وحياتك. فإن الدنيا لا تخلو من اختلاف الطباع وسوء الفهم، ومن الحكمة أن تعرف ما ينبغي احتماله، وما ينبغي إصلاحه، وما لا يجوز السكوت عنه.

إذا آذاك إنسان، فاحذر أن يبقى ساكنا في قلبك سنوات بعد انتهاء علاقتك به. لا تجعل ذكراه تملأ أيامك بالغضب، ولا تنشغل بمراقبة

أخباره وانتظار مصيبته. اشغل نفسك بما ينفعك، وسل الله أن يُصلح قلبك، واعلم أن ترك الانتقام لا يعني إسقاط حقك، وأن العفو لا يقتضي إعادة الثقة إلى من لم يُصلِح حاله.

لا تنس أن من أعظم نعم الله عليك أن يرزقك صحبة صالحة، تعينك على الصلاة، وتشجعك على حضور مجالس العلم، وتنصحك إذا أخطأت، وتفرح لك إذا أصابك خير، وتذكرك بالآخرة إذا غفلت. فاحرص على هؤلاء، وأحسن معاملتهم، ولا تجعل تجاربك المؤلمة مع بعض الناس تحرمُك نعمة المودة الصادقة والصحبة النافعة.

وقبل أن تطوي صفحة علاقة مؤذية، تأمل كيف تخرج منها دون أن تحوّل الخلاف إلى عداوة جديدة. لا ترسل رسائل التهديد، ولا تستعمل الأولاد أو الأصدقاء أدوات للضغط، ولا تطل الخصومة لمجرد إثبات أنك المنتصر. حدد ما لك وما عليك من حقوق، واسع إلى تسوية الأمور بالعدل والطرق المشروعة. وإذا تعلق الأمر بزواج أو قرابة أو حق واجب، فلا تتخذ قرارا يُضيّع الحقوق بدافع الغضب، بل استرشد بأهل العلم والحكمة.

وأخيرا، يا سالك الطريق إلى الله، لا تكن مؤذيا للناس، ولا تكن عونا لأحد على ظلمك، ولا تجعل أذى الآخرين يفسد قلبك. أحب لله، وأبغض المعصية لله، وأحسن إلى الناس، وأد الحقوق إلى

أصحابها، وابتعد عن أسباب الفتنة والظلم بالطرق المشروعة. واستحضر قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السيئَة ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَن﴾.

فليس النجاح في العلاقات أن يحبك جميع الناس، وإنما أن تلقى الله وقد اجتهدت في حفظ لسانك، وصيانة حقوق العباد، وتطهير قلبك من الظلم والحقد والعدوان.

كيف تختار الزوجة المناسبة؟ قرار قد يحدد سعادتك أو تعاستك لسنوات طويلة

يا أخي الكريم، يا مَن تفكر في الزواج، لا تجعل أول سؤال تسأله عن المرأة: هل هي جميلة؟ هل هي أنيقة؟ هل هي من عائلة غنية؟ بل اسأل قبل ذلك: هل عقيدتها صحيحة؟ هل تعلّمت علم الدين الضروري؟ هل تحافظ على الصلوات الخمس؟ هل تعرف حقوق الزوج وواجبات الزوجة؟ فإنك لا تختار امرأة ترافقك في رحلة قصيرة، بل تختار شريكة حياة، وأمّا مُحتملة لأولادك، وإنسانة ستشاركك أفراحك وأحزانك، وقد تبقى معك عشرات السنين.

من أعظم الأخطاء أن ينبهر الشاب بفتاة جميلة لطيفة الكلام، ثم يتجاهل أنها لا تصلي، ولا تعرف من دينها إلا القليل، ولا تهتم بتعلّم ما فرض الله عليها من العلم. وربما قال: إنها تحبني كثيرا، وسأعلمها الدين بعد الزواج. يا أخي، المحبة وحدها لا تكفي لبناء بيت صالح، والجمال لا يعوض غياب العلم بالدين والمحافظة على الفرائض. فلا تبن قرارا مصيريا على وعد بالتغير قد يتحقق وقد لا يتحقق.

يا طالب الطريق إلى الله، أول ما ينبغي أن تبحث عنه في المرأة صحة عقيدتها ومعرفتها بما يجب عليها من علم الدين. فلا يكفي أن تقول: أنا مسلمة، وأهلي مسلمون، وأنا أحب الدين. بل المهم أن

تكون قد تعلّمت ما لا يسعها جهله من أمور الاعتقاد والطهارة والصلاة والصيام والحلال والحرام. فإن كانت تجهل ذلك، وترفض التعلّم، فلا أنصحك باختيارها زوجة مهما أعجبتك بقية صفاتها.

وإذا كانت الفتاة لم تتعلّم ما يجب عليها من علم الدين، ولكنها أظهرت رغبة صادقة في التعلّم، فلا تكتف بالوعود. دعها تبدأ بالتعلّم من أهل الثقة والمعرفة قبل الزواج، وانظر إلى جديتها ومواظبتها. فإنّ من أراد الخير حقا بدأ بالسعي إليه، ولا ينبغي أن تجعل عقد الزواج تجربة لمعرفة ما إذا كانت ستتغير أم لا.

ولا تختر للزواج امرأة تترك الصلاة مستهترة بها، ثم تقول: سأجعلها تصلي بعد الزواج. فالصلاة فريضة عظيمة، والاستهتار بها أمر

خطير لا ينبغي التساهل فيه. وإذا أرادت أن تصلح حالها، فلتبدأ بالتوبة والمحافظة على الصلاة قبل الزواج، حتى يكون اختيارك مبنيا على واقع تراه، لا على أمل تتمناه.

ولا تغتر بالمظاهر الدينية وحدها. فقد تكون المرأة محجبة، أو تنشر المواعظ والآيات والأحاديث على وسائل التواصل، ثم تكون مقصرة في تعلّم الفرائض أو في حقوق الناس. فليس المظهر وحده دليلا كافيا على صلاح الإنسان، والتديّن يجمع بين العلم الصحيح والعمل بالواجبات واجتناب المحرمات وحسن الخلق. فلا تجعل الإعجاب بالمظهر يغنيك عن التثبّت.

وانظر إلى أخلاقها مع غيرك، لا إلى معاملتها لك وحدك. فقد تحسن الفتاة الكلام مع من ترغب في الزواج منه، ولكنها تسيء إلى والديها، أو تحتقر الفقراء، أو تُهين من يخدُمها. وحسن الخلق يظهر في المواقف التي لا يكون فيها للإنسان مصلحة خاصة. فاسأل عن صدقها وأمانتها وطريقة تعاملها مع الناس، ولا تجعل لطفها معك يحجب عنك قسوتها مع الآخرين.

ومن الصفات التي ينبغي أن تحرص عليها الصدق وحفظ الأمانة. فإذا اعتادت المرأة الكذب في أمور صغيرة، والإخلاف بالوعود، وإفشاء أسرار الناس، فلا تستهن بذلك. فالحياة الزوجية تقوم على الثقة، وإذا ضاعت الثقة أصبح كل خلاف مصدرا للشك والقلق.

وليس المطلوب امرأة لا تخطئ، بل امرأة إذا أخطأت اعترفت بخطئها وسعت إلى إصلاحه.

وتأمل طريقة تعاملها مع الغضب والخلاف. هل تستطيع أن تناقش بهدوء؟ هل تعترف بالخطإ؟ هل تحاول فهم وجهة نظر الآخر؟ أم ترفع صوتها وتشتِم وتهدد عند كل خلاف؟ فإن الزواج لا يخلو من المشكلات، ولكن المهم كيف يتعامل الزوجان معها. وليست المرأة الحكيمة من لا تغضب أبدا، بل من تجاهد نفسها حتى لا يتحوّل غضبها إلى ظلم وإهانة.

واحذر من الغيرة التي تتحول إلى تجسس وتحكم. فإذا كانت الفتاة تطالبك بكلمات المرور لهاتفك، وتراقب كل اتصال، وتغضب إذا

لم تجب عن رسالة فورا، وتريد أن تقطع علاقاتك المشروعة بالناس، فلا تفسر ذلك كله على أنه محبة. فالغيرة لا تبرر التجسس والتحكم، والزواج لا ينبغي أن يتحول إلى سجن نفسي.

ولا تختر امرأة تنظر إلى الزواج على أنه وسيلة للمال والهدايا والسفر والمظاهر فقط. فمن حقها النفقة الواجبة والمعاشرة بالمعروف، ولكن هناك فرق بين المطالبة بالحق وبين الطمع وكثرة المقارنات. فابحث عن امرأة تفهم ظروفك المادية، وتحسن تدبير شؤونها، ولا تجعل سعادتها موقوفة على أن تعيش مثل صديقاتها. فكم من بيت أفسدته المقارنات الدنيوية، مع أن ما فيه من النعم كان يكفي لحياة طيبة.

واسأل عن موقفها من والديك وصلة الرحم. هل تتفهم أن لوالديك عليك حقوقا واجبة؟ هل تعينك على برهما؟ هل تحرص على بقاء الاحترام بين العائلتين؟ فإذا كانت تريد أن تقطعك عن أهلك بغير عذر شرعي، فهذا أمر يستحق التوقف عنده. وفي المقابل، لا تجعل برك لوالديك ذريعة للسماح لهما بظلم زوجتك، فإن لكل ذي حق حقه.

ولا تهمل التوافق بينكما في الأمور الأساسية. فقد تكون المرأة صالحة في نفسها، ولكنها غير مناسبة لك بسبب اختلاف كبير في الطباع أو الأهداف. فتحدثا بالطرق المشروعة عن مكان السكن، والعمل، والمصاريف، وتربية الأولاد، والعلاقة بالأهل، وطلب

العلم. فإن بعض الخلافات الكبيرة بعد الزواج تنشأ من أمور لم يتحدث عنها الطرفان بوضوح قبله. ولا تظن أن صلاح المرأة يعني أنها مناسبة لكل رجل.

ومن الحكمة أن تتعرف إلى موقفها من حقوق الزوجين. فالزواج ليس مجالا يطلب فيه كل طرف حقوقه وينسى واجباته. فإذا كانت المرأة ترفض تعلّم ما يجب عليها من حقوق الزوج، فهذا نقص ينبغي تداركه. وكذلك أنت، لا تطالب بحقوقك ثم تقصر في النفقة الواجبة أو تسيء المعاشرة أو تظلم زوجتك. فالعدل أساس لاستقامة الحياة الزوجية.

واعلم أن القَبول النفسي والميل المشروع لهما مكانتهما في الاختيار. فلا أقول لك: تزوج امرأة لا ترتاح إليها لمجرد أنها صالحة. ولكن أقول: اجعل الدين والخُلُق أساسا، ثم انظر إلى القبول والتوافق وسائر الصفات. وتذكر أن الجمال الذي يلفت النظر لا يكفي وحده لبناء بيت تسوده المودة والرحمة.

ولا تتزوج على أمل أنك ستغير شخصية المرأة بالكامل. فإذا كانت شديدة الإهانة، أو مصرة على المحرمات، أو رافضة لتحمل المسؤولية، فلا تقل: عندما تتزوجني ستصبح إنسانة أخرى. نعم، قد يتغير الإنسان إلى الأفضل، ولكن الزواج ليس ضمانا لذلك. فانظر إلى حالها الحقيقي، لا إلى الصورة التي تتمنى أن تصبح عليها.

ولا تتجاهل الإهانة في مرحلة الخطبة بحُجة الحب. فإذا اعتادت أن تسخر من عملك أو دخلك، أو تقارنك برجال آخرين لإذلالك، أو تهدد بتركك عند كل خلاف، فلا تعتبر ذلك أمورا صغيرة ستنتهي وحدها. فالاحترام ينبغي أن يكون موجودا قبل الزواج، لا وعدا مؤجلا إلى ما بعده. والعلاقة التي تبدأ بالاحتقار تحتاج إلى مراجعة جادة قبل الإقدام على العقد.

يا أخي، لا تكتف بقول أهل الفتاة: ابنتنا متديّنة ومحترَمة. بل استفسر عن أحوالها وتثبت بالطرق المشروعة، من غير تجسس ولا ظلم ولا تتبع للعورات. واستشر من يعرف حالها ممن تثق بصدقه وحكمته، وتذكر أن السؤال عن الدين والخلق ليس إهانة للفتاة،

بل هو من حسن التثبت في قرار عظيم. ولكن لا تُصدق كل إشاعة، ولا تحكم على إنسانة بسبب كلام شخص قد يكون ظالما لها.

وإذا رأيت أن الفتاة تناسبك في دينها وأخلاقها وطباعها، فلا تجعل طلب الكمال سببا في تضييع فرصة طيبة. فلا تبحث عن زوجة لا تخطئ أبدا، بل ابحث عن زوجة تخاف الله، وتقبل النصيحة، وإذا أخطأت رجعت إلى الصواب. والمهم أن تكون صاحبة دين وخلق، تقبل النصيحة، وتريد إصلاح نفسها، وتستطيعا أن تتعاونا على الخير.

ولا تنس أنك لا تختار زوجة لنفسك فقط، بل تختار أما محتملة لأولادك. فإذا رزقكما الله أولادا، فمن سيعينك على تعليمهم العقيدة الصحيحة والصلاة والأخلاق؟ ومن سيغرس في نفوسهم محبة العلم والصدق والأمانة؟ فاختر من تتوقع أن تكون عونا لك على هذه المسؤولية العظيمة. وتذكر أن تربية الأولاد مسؤولية الأب والأم معا، وليست مهمة الأم وحدها.

وقبل أن تُكثر من البحث عن عيوب الفتاة ومميزاتها، اسأل نفسك: هل أنا مستعد لأن أكون زوجا صالحا؟ هل تعلّمتُ ما يجب عليّ من علم الدين؟ هل أحافظ على الصلاة؟ هل أعرف حقوق الزوجة؟ هل أضبط غضبي؟ هل أحسن معاملة أهلي؟ هل أستطيع

القيام بما يجب عليّ من النفقة؟ وكما تحرص على أن تكون زوجتك صالحة حسنة الأخلاق، فاحرص أنت أيضا على إصلاح نفسك والتحلي بالأخلاق الحسنة. واعلم أن المرأة الصالحة لها أيضا الحق في أن تبحث عن زوجٍ صالح.

لا تقدم على الزواج متسرعا تحت ضغط الأهل، أو الخوف من تقدم العمر، أو لأن أصدقاءك تزوجوا قبلك. ولا تؤخره أيضا بغير سبب معتبر إذا تيسرت لك أسبابه ووجدت من تناسبك. خذ وقتا مناسبا للسؤال والاستشارة والاستخارة، ثم اتخذ قرارك بعقل وهدوء. فليس الحذر أن تتردد إلى ما لا نهاية، ولكن أن تتثبت مما ينبغي التثبت منه، ثم تُقدِم على بصيرة.

يا أخي الكريم، إذا وجدت امرأة تعلّمت ما يجب عليها من دينها، وتحافظ على صلاتها، وتتحلى بالصدق والأمانة وحسن الخلق، وترتاح إليها نفسك، وترى بينكما توافقا مناسبا، فلا تستصغر هذه النعمة لأنها ليست أغنى النساء أو أجملهن. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». فالدين والخلق أساس متين، والمودة والتفاهم وحسن المعاشرة مما ينبغي أن يحرص عليه الزوجان طول حياتهما.

وأختم بنصيحة للآباء والأمهات: لا تجعلوا جمال الفتاة أو مال أهلها أو نسبها أو شهاداتها أهم من دينها وخلقها، ولا تضغطوا على أبنائكم ليتزوجوا من لا يرتاحون إليها. وأعينوهم على حسن

الاختيار، وشجعوهم على تعلّم أحكام الزواج وحقوق الزوجين. فإن الغاية ليست إقامة حفل زفاف يُعجب الناس، بل تأسيس بيت يقوم على طاعة الله والعدل والمودة والرحمة.

نسأل الله أن يرزق شباب المسلمين زوجات صالحات، وأن يرزق بنات المسلمين أزواجا صالحين، وأن يعينهم على حسن الاختيار وأداء الحقوق، وأن يجعل بيوتهم عامرة بالإيمان والعلم والمودة والرحمة.

كيف تختارين الزوج المناسب؟ قرار قد يحدد سعادتك أو تعاستك لسنوات طويلة

يا أختي الكريمة، يا مَن تفكرين في الزواج، لا تجعلي أول سؤال تسألينه عن الرجل: كم يملك من المال؟ وما وظيفته؟ وهل يملك بيتا وسيارة؟ بل اسألي قبل ذلك: هل عقيدته صحيحة؟ هل تعلّم علم الدين الضروري؟ هل يحافظ على الصلوات الخمس؟ هل يعرف حقوق الزوجة وواجبات الزوج؟ فإنك لا تختارين رجلا يرافقك في رحلة قصيرة، بل تختارين شريك حياة، وأبا محتملا لأولادك، وإنسانا ستشاركينه أفراحك وأحزانك وأسرار بيتك.

من أعظم الأخطاء التي تقع فيها بعض الفتيات أن تنبهر إحداهن بشاب وسيم أنيق غني لطيف الكلام، ثم تتجاهل أنه لا يصلي، ولا يعرف من دينه إلا القليل، ولا يهتم بتعلّم ما فرض الله عليه من العلم. وربما قالت: إنه يحبني كثيرا، وسيتغير بعد الزواج. يا أختي، المحبة وحدها لا تكفي لبناء بيت صالح، والوعود الجميلة لا تعوض التقصير في الفرائض والواجبات.

انتبهي جيدا: الرجل الذي تريدين الزواج منه لن يكون مجرد شخص تحبينه، بل سيكون له أثر كبير في حياتك وعبادتك وتربية أولادك. فإذا كان جاهلا بعلم الدين الضروري، مستهترا بالصلاة، لا يهتم بمعرفة الحلال والحرام، فكيف تطمئنين إلى أن يكون عونا لك على

طاعة الله؟ وكيف تأمنين أن ينشأ أولادك في بيت لا يرون فيه أباهم معظما لفرائض الدين؟

يا طالبة الطريق إلى الله، أول ما ينبغي أن تبحثي عنه في الرجل صحة عقيدته ومعرفته بما يجب عليه من علم الدين. فلا يكفي أن يقول لك: أنا مسلم، وأهلي مسلمون، وأنا أحب الدين. بل المهم أن يكون قد تعلّم ما لا يسعه جهله من أمور الاعتقاد والطهارة والصلاة والصيام والحلال والحرام. فإن كان يجهل واجبات دينه، ويرفض تعلّمها، فلا أنصحك باختياره زوجا، مهما أعجبتك بقية صفاته.

وإذا تقدم إليك رجل لم يتعلّم بعد ما يجب عليه من علم الدين، ولكنه أظهر رغبة صادقة في التعلم، فلا تكتفي بوعده. دعيه يبدأ بالتعلّم من أهل الثقة والمعرفة قبل الزواج، وانظري إلى جديته ومواظبته. فإن مَن أراد الخير حقا بدأ بالسعي إليه. ولا تجعلي عقد الزواج تجربة لمعرفة ما إذا كان سيتغير أم لا.

ولا تقبلي الزواج من رجل يترك الصلاة مستهترا بها، ثم تقولي: سأجعله يصلي بعد الزواج. يا أختي، إن الصلاة فريضة عظيمة، والاستهتار بها أمر خطير لا ينبغي التساهل فيه. فلا تجعلي مستقبلك رهينة وعود قد تتحقق وقد لا تتحقق. وليتب وليحافظ

على الصلاة قبل أن تقدمي على الارتباط به، حتى يكون قرارك مبنيا على واقع ترينه، لا على أمل تتمنينه.

ولا تغتري بالمظاهر الدينية وحدها. فقد يكون الرجل صاحب لحية، أو يرتدي ثيابا يربطها الناس بالتديّن، أو يتكلم كثيرا عن الدين، ثم لا يعرف أحكام الطهارة والصلاة، أو يظلم الناس، أو يسيء معاملة أهله. فليس المظهر وحده دليلا كافيا على الصلاح، وإنما ينبغي النظر إلى العلم الصحيح والعمل بالواجبات واجتناب المحرمات وحسن الخلق.

وانظري إلى أخلاقه مع غيرك، لا إلى معاملته لك وحدك. فقد يحسن الرجل الكلام مع من يريد الزواج منها، ولكنه يسيء إلى أمه وأبيه

وإخوته، أو يحتقر الضعفاء، أو يهين العاملين عنده. فإن حسن الخُلق لا يظهر في المجاملات وحدها، بل يظهر أيضا في معاملة من لا يخشى منهم أذى، ولا يرجو منهم منفعة. وتأملي طريقة حديثه عن النساء، وموقفه ممن يخالفه الرأي، وقدرته على الاعتذار إذا أخطأ.

ومن الصفات التي ينبغي أن تحرصي عليها الصدق وحفظ الأمانة. فلا تتساهلي مع رجل اعتاد الكذب والخداع والإخلاف بالوعود، ولو كان يصف ذلك بأنه من الأمور الصغيرة. فالحياة الزوجية تحتاج إلى الثقة، والثقة تضعف مع اعتياد الكذب. وانظري إلى صدقه في

عمله ومعاملاته ووعوده، وهل يفي بما يقول أم يغير كلامه بحسب مصلحته. فمن اعتاد خداع الناس قد يخدع زوجته أيضا.

وتأملي طريقة تعامله مع الغضب والخلاف. هل يرفع صوته ويهدد ويشتِم إذا خالفه أحد؟ هل يكسر الأشياء عندما يغضب؟ هل يحاول ترهيبك والضغط عليك حتى تخضعي لما يريد؟ هذه علامات لا ينبغي الاستهانة بها. فالزواج يحتاج إلى رجل يجاهد نفسه عند الغضب، ويعرف أن القوة ليست في الصراخ والإهانة، بل في الحكمة والصبر والعدل.

واحذري الرجل الذي يتخذ من الغيرة ذريعة للتجسس عليك، وإذلالك، والتحكم في كل تفاصيل حياتك، فيراقب هاتفك،

ويطالبك بكلمات المرور، ويغضب إذا لم تجيبي فورا، ويسعى إلى عزلك عن أهلك بغير مسوغ شرعي. لا تفسري كل غيرة على أنها محبة، ولا كل سيطرة على أنها حرص. فهناك فرق بين الحرص على الحقوق الشرعية وبين الظلم والتجسس والإذلال. والزواج لا ينبغي أن يتحول إلى سجن نفسي تعيش فيه المرأة خائفة من غضب زوجها.

ولا تختاري رجلا يتهرب من مسؤوليات الزواج، ويعيش بلا جِدّية، ولا يسعى إلى عمل مباح مع قدرته عليه، ثم يعدك بحياة جميلة دون أن تكون لديه خطة واقعية. ليس المطلوب أن يكون غنيا، ولا أن يملك بيتا فخما، ولكن ينبغي النظر في قدرته على النفقة الواجبة

وتحمل المسؤولية. فالفقر ليس عيبا، أما الاستهتار بحقوق الآخرين ورفض السعي مع القدرة فمشكلة لا ينبغي تجاهلها.

وإذا تقدم إليك رجل غني صاحب منصب وشهادة عالية، ولكنه مستهتر بالصلاة ورافض لتعلّم ما يجب عليه من دينه، فلا تجعلي ماله ومكانته يحجُبان عنك هذا الخلل الخطير. وإذا تقدم إليك رجل متوسط الحال، محافظ على الصلاة، متعلّم لما يجب عليه من دينه، حسن الخلق، قادر على تحمل مسؤوليات الزواج، فلا ترفضي النظر في أمره لمجرد أنه لا يملك ثروة كبيرة. فالمال وسيلة للعيش، وليس ضمانا للسعادة أو الصلاح.

يا طالبة الطريق إلى الله، اختاري رجلا يحترم رغبتك في تعلّم الدين، ويعينك على تحصيل العلم النافع، ولا يسخر من اهتمامك بالعقيدة والعبادات وتزكية النفس. فكيف تطمئنين إلى الزواج من رجل يضيق صدره كلما أردت أن تتعلّمي ما فرض الله عليك؟ إن الزوج الصالح يفرح بتعلّم زوجته، ويحرص هو أيضا على طلب العلم، ويتعاون معها على الخير.

ومن المهم أن تعرفي موقف الرجل من أهلك وصلة الرحم. هل يُراعي والديك؟ هل يتفهم ما عليك من حقوقهما؟ هل يريد أن تكون العلاقة بين العائلتين قائمة على الاحترام؟ واحذري من رجل يسعى إلى قطعك عن أهلك بغير عذر شرعي. وفي المقابل، ينبغي

أن تكوني مستعدة لإكرام أهله وحسن معاملتهم، دون أن يعني ذلك قبول الظلم أو التدخل المؤذي في حياتكما.

ولا تُملي التوافق الفكري والنفسي بينكما. فقد يكون الرجل صالحا في نفسه، ولكنه غير مناسب لك بسبب اختلاف كبير في الطباع أو الأهداف أو طريقة الحياة. فتحدثا بالطرق المشروعة عن الأمور الأساسية، مثل السكن والعمل والمصاريف وتربية الأولاد والعلاقات العائلية وطلب العلم. فصلاح الرجل لا يعني بالضرورة أنه مناسب لكل امرأة، كما أن صلاح المرأة لا يعني أنها مناسبة لكل رجل.

ولا تجعلي الوسامة والمظهر الخارجي أساس الاختيار. نعم، لا حرج عليك في أن تبحثي عن رجل ترتاحين إلى شكله وتشعرين نحوه بالقَبول، فالقَبول النفسي والارتياح إلى المظهر لهما أهميتهما في الزواج. ولكن لا تسمحي للإعجاب بالشكل أن يُغفلك عن تقصيره في واجبات دينه أو سوء أخلاقه. فالوجه الجميل لا يعوض قسوة اللسان، ولا يعالج الكذب، ولا يحمي المرأة من الظلم والإهانة.

واحذري الرجل الذي يتحدث عن حقوق الزوج باستمرار، ولكنه لا يريد أن يسمع شيئا عن حقوق الزوجة. فقد يطالب بالطاعة فيما تجب فيه وبالاحترام، ثم يستهين بالنفقة الواجبة وحسن

المعاشرة والعدل. فالزواج ليس مجالا للتسلط والظلم، بل مسؤولية عظيمة، ولكل من الزوجين حقوق وواجبات ينبغي أن يتعلّم أحكامها، وأن يؤدي ما يجب عليه منها.

ولا تقبلي الإهانة في مرحلة الخطبة بحجة أنك تحبينه. فإذا اعتاد أن يحط من قدرك، أو يسخر من عقلك، أو يقارنك بغيرك لإذلالك، أو يهددك بتركك كلما اختلفتما، فلا تتجاهلي هذه العلامات. فالاحترام ينبغي أن يكون موجودا قبل الزواج، وليس وعدا مؤجلا إلى ما بعده. ومن لا يحترمك وهو يسعى إلى الزواج منك، فلا تعتمدي على أنه سيصبح أكثر احتراما بمجرد عقد الزواج.

ولا تتزوجي رجلا على أمل أنك ستغيرين شخصيته بالكامل. فإذا كان مصرا على المحرمات، أو شديد الإهانة، أو رافضا لتحمل المسؤولية، فلا تقولي: عندما يتزوجني سيصبح إنسانا آخر. نعم، قد يتغير الإنسان إلى الأفضل، ولكن الزواج ليس ضمانا لذلك. فاختاريه بناء على حاله الحقيقي، لا على الصورة التي تتمنين أن يصبح عليها.

يا أختي، لا تكتفي بأن يقول لك أهل الرجل: ابننا متديّن ومحترَم. بل اسألي وتثبتي من حقيقة حاله بالطرق المشروعة، من غير تجسس ولا تتبع للعورات. واستشيري من يعرفه ممن تثقين بصدقه وحكمته. ولا تصدقي كل إشاعة تقال عنه، فقد يكون بعض الناس ظالما له.

فالتثبت لا يعني سوء الظن، وحسن الظن لا يعني إهمال السؤال في قرار مصيري.

ولا تنسي أنك لا تختارين زوجا لنفسك فقط، بل تختارين أبا لأولادك إن رزقكما الله أولادا. فإذا رزقكما الله أولادا، فهل سيعينك على تعليمهم العقيدة الصحيحة والصلاة والأخلاق؟ هل سيكون قدوة لهم في الصدق والأمانة؟ هل سيحرص على تربيتهم أم سيترك هذه المسؤولية كلها عليك؟ فكري في هذا الجانب قبل أن تحسمي قرارك، فتربية الأولاد مسؤولية الأب والأم معا.

يا من تبحثين عن زوج صالح، لا تنسي أن تسألي نفسك: هل أنا مستعدة لأن أكون زوجة صالحة؟ هل تعلّمت ما يجب علي من علم

الدين؟ هل أحافظ على صلاتي؟ هل أعرف حقوق الزوج؟ هل أستطيع الحوار والصبر وتحمل المسؤولية؟ وكما تحرصين على اختيار زوج صالح، فاحرصي أنت أيضا على إصلاح نفسك والاجتهاد في طاعة الله. فالحياة الزوجية تحتاج إلى طرفين يتعاونان على الخير، ويؤدي كل منهما ما يجب عليه.

ولا تُقدمي على الزواج متسرعة خوفا من تقدم العمر، أو تحت ضغط الأهل، أو لأن صديقاتك تزوجن قبلك. الزواج ليس سباقا، ولا ينبغي أن يكون وسيلة للهروب من كلام الناس. خذي الوقت المناسب للسؤال والتثبت والاستشارة والاستخارة، ولا تسمحي لأحد أن يدفعك إلى قبول رجل لا تطمئنين إلى دينه وأخلاقه. وفي

المقابل، لا تجعلي الخوف من الزواج أو طلب الكمال سببا في رفض من تتوافر فيه الصفات المهمة.

يا طالبة الطريق إلى الله، لا تبحثي عن زوج لا يخطئ أبدا، بل ابحثي عن رجل يخاف الله، ويقبل النصيحة، وإذا أخطأ رجع إلى الصواب، وإذا جهل تعلّم، وإذا غضب جاهد نفسه، وإذا ظلم اعترف بظلمه، ورد الحقوق إلى أصحابها، وسعى إلى إصلاح ما أفسد. فلا تجعلي هفوة عارضة تاب منها سببا في رفض رجل صالح، ولا تجعلي حسنات كثيرة سببا في تجاهل ظلم متكرر أو تقصير خطير. والمهم أن يكون صاحب دين وخلق ومسؤولية، حريصا على إصلاح نفسه.

وإذا وجدت رجلا تعلّم ما يجب عليه من دينه، ويحافظ على صلاته، ويتحلى بالصدق والأمانة وحسن الخلق، ويقدر على تحمل مسؤوليات الزواج، وترتاحين إليه، وتَرَين بينكما توافقا مناسبا، فلا تستصغري هذه النعمة لأنه ليس أغنى الرجال أو أوسمهم. فالدين والخلق أساس متين، والمودة والتفاهم وحسن المعاشرة مما ينبغي أن يحرص عليه الزوجان طول حياتهما.

وأختم بنصيحة أوجهها إلى كل فتاة، وإلى كل أب وأم يبحثان عن زوج لابنتهما: لا تعرضوا مستقبل الفتاة للخطر من أجل المال أو الجمال أو الجنسية أو المنصب. لا تتساهلوا في شأن الصلاة، ولا تستهينوا بالجهل بعلم الدين الضروري. وأعينوا بناتكم على حسن

الاختيار، ولا تكرهوهن على الزواج ممن لا يرضين به. فإن الغاية ليست إقامة حفل زفاف يعجب الناس، بل تأسيس بيت يقوم على طاعة الله والعلم والعدل والمودة والرحمة.

نسأل الله أن يرزق بنات المسلمين أزواجا صالحين، وأن يرزق شباب المسلمين زوجات صالحات، وأن يعينهم على حسن الاختيار وأداء الحقوق، وأن يجعل بيوتهم عامرة بالإيمان والعلم والمودة والرحمة.

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل زوجته وأولاده؟

يا طالب الطريق إلى الله، قد يراك الناس في المسجد خاشعا، وفي مجالس العلم مؤدبا، وفي الطريق مبتسما، ولكن كيف أنت عندما تغلق باب بيتك؟ كيف تتكلم مع زوجتك؟ كيف تعامل أولادك؟ هل يجدون فيك الرحمة والحنان وحسن الخلق، أم يرون منك وجها آخر لا يعرفه الناس؟

عجيب أمر بعض الناس. يبتسم للغريب، ويشكر من يقدم له خدمة بسيطة، ويتلطف مع أصدقائه، ولكنه إذا دخل بيته نسي الابتسامة والشكر والكلمة الطيبة. وكأن زوجته وأولاده أقل الناس استحقاقا لحسن أخلاقه، مع أنهم مِن أولى الناس ببره وإحسانه.

قد يكون الرجل كثير الصلاة والذكر، حريصا على حضور مجالس العلم، ولكنه سريع الغضب في بيته، قاسي الكلام مع زوجته، لا يجد وقتا لأولاده. فليتأمل حاله. فإن السلوك إلى الله ليس مجرد أوراد وأذكار، بل مجاهدة للنفس حتى تظهر آثار الطاعة في الأخلاق والمعاملات.

هناك بيوت يفرح أهلها عندما يعود الأب إلى المنزل، فيستقبله أولاده بالمحبة، وتشعر زوجته بالأمان والراحة في حضوره. وهناك بيوت أخرى يتغير جوها بمجرد سماع صوت مفتاح الباب. يسكت الأولاد، ويتوتر الجميع، ويخافون من غضبه وانتقاده. فأي البيتين تريد أن يكون بيتك مثله؟

اليوم نريد أن نتحدث عن جانب عظيم من أسرار السلوك إلى الله: كيف يكون الزوج رحيما بزوجته، محسنا إلى أولاده، حاضرا في حياتهم، حريصا على تربيتهم؟ وكيف يجعل بيته مكانا تسوده المودة والرحمة والاحترام، لا الخوف والتوتر وكثرة الخصومات؟

لا تكن لطيفا مع النساء والرجال خارج بيتك، ثم تعود إلى زوجتك بوجه عابس ولسان قاس. فهي شريكة حياتك، تشاركك همومك وأفراحك، وتتحمل معك أعباء الحياة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي». فاجعل حسن معاملتك لزوجتك من أعظم ميادين مجاهدة نفسك.

بعض الرجال تمر عليهم أيام وأسابيع دون أن يقول أحدهم لزوجته كلمة محبة أو تقدير. وإذا سألته: «ألا تحبني؟» قال: «وهل ينقصك شيء؟ أنا أُنفق عليك وأُوفّر لك ما تحتاجين». يا أخي، المرأة ليست بحاجة إلى الطعام واللباس وحدهما، بل تحتاج أيضا إلى المودة والاهتمام والكلمة الطيبة، فلا تبخل عليها بما يسعد قلبها.

إذا أعدت لك الطعام، أو اعتنت بالبيت، أو سهرت على رعاية الأولاد، فلا تتعامل مع ذلك وكأنه أمر لا يستحق الشكر. قل لها: «جزاك الله خيرا، بارك الله فيك، أقدر تعبك». وشاركها في المسؤوليات بما تستطيع. فإن الشكر لا ينقص من رجولتك، بل يدل على حسن خلقك ونبل نفسك.

قد تتعرض لضغوط في العمل، أو مشكلات مالية، أو خلافات مع الناس، ثم تعود إلى البيت فتفرغ غضبك في زوجتك وأولادك. لماذا يتحمل أهلك ثمن مشكلات لم يتسببوا فيها؟ إذا كنت متعبا فاطلب بعض الراحة، وإذا كنت غاضبا فاهدأ قبل أن تتكلم. فإن ضبط النفس عند الغضب من أعظم ميادين السلوك.

ويحك. لا تُهن زوجتك أمام أولادك. قد تختلف مع زوجتك، وقد تخطئ هي أو تخطئ أنت، ولكن لا تجعل أولادك يشاهدون الإهانات والتحقير والصراخ بينكما. فإن الطفل الذي ينشأ في بيت تكثر فيه الإهانات قد يحمل آثار ذلك سنوات طويلة. ناقشا خلافاتكما

بأدب، واحفظا كرامة بعضكما، وعلما أولادكما أن الاختلاف لا يبيح الظلم والإساءة.

ساعد زوجتك، فالخدمة ليست إهانة. بعض الرجال يرى أن مساعدته لزوجته في أعمال البيت تُنقّص من هيبته. سبحان الله. وقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته، فقالت: «كان يكون في مهنة أهله»، أي في خدمتهم. فكيف يستكبر سالك الطريق عن مساعدة زوجته، وهو يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخدُم أهله؟

لا تجعل هاتفك أقرب إليك من أولادك. كم من أب يجلس بين أولاده ساعات، ولكنه في الحقيقة غائب عنهم. عيناه على الهاتف،

وعقله مع الرسائل والأخبار، وإذا حاول أحد أولاده أن يحدثه قال: «ليس الآن». يا أخي، قد يأتي يوم تتمنى فيه أن يجلس ولدك معك فلا تجد منه وقتا. أعط أولادك شيئا من وقتك واهتمامك، فإن حضورك في حياتهم لا يعوضه المال.

أولادك يحتاجون إلى محبتك، لا إلى أوامرك فقط. لا تجعل علاقتك بأولادك سلسلة من التعليمات: «افعل، لا تفعل، ادرس، اسكت، اذهب، تعال». اقترب منهم، واحتضنهم، واستمع إليهم، وامدح محاسنهم، وأشعرهم بأنك تحبهم، فإن التربية ليست أوامر وعقوبات فقط، بل محبة وثقة وقدوة ورحمة.

لا تكسر شخصية ولدك باسم التربية. بعض الآباء يظن أن التربية الناجحة تقوم على الصراخ والتهديد والإهانة. فإذا أخطأ ولده قال له: «أنت فاشل، أنت غبي، لن تنجح في حياتك». ثم يتعجب بعد سنوات لماذا صار ولده ضعيف الثقة بنفسه. يا أخي، صحح الخطأ دون أن تحطم شخصية المُخطئ، وعلّمه الصواب دون أن تُهينه.

لا تقارن أولادك بأولاد الآخرين. لا تقل لولدك: «لماذا لا تكون مثل أخيك؟ لماذا لا تنجح مثل ابن عمك؟ لماذا لا تحفظ مثل فلان؟». قد تظن أنك بهذه المقارنات تشجع ولدك، ولكنك ربما تزرع في قلبه الشعور بالنقص والغَيرة والحسد. لكل ولد قدراته

وطباعه ومواهبه، فساعده على تحسين نفسه، ولا تجعل قيمته مرتبطة بالتفوق على غيره.

كن قدوة حسنة لأولادك، ولا تكتف بوعظهم وتوجيههم. فإذا نهيت ولدك عن الكذب وهو يسمعك تكذب، فقد تضعف بفعلك أثر نصيحتك. وإذا أمرته باحترام أمه وهو يراك تهينها، فقد يتعلّم من سلوكك خلاف ما تأمره به. وإذا حثثته على ضبط غضبه وأنت تصرخ لأتفه الأسباب، فقد يقتدي بأفعالك أكثر من أقوالك. يا طالب الطريق، أولادك يتعلّمون من أفعالك أكثر مما تتصور. فاستمر في نصحهم وتوجيههم، واجتهد في إصلاح نفسك، فإنك تربيهم بسلوكك كما تربيهم بكلامك.

لا تجعل بيتك مكانا للخوف. بعض الأولاد يخافون أن يصارحوا آباءهم بأخطائهم، لأنهم يعلمون أن النتيجة ستكون صراخا وإهانة وربما ضربا بغير حق. فيتعلّمون إخفاء المشكلات والكذب بدلا من طلب المساعدة. اجعل ولدك يعلم أنه إذا أخطأ يستطيع أن يأتي إليك، وأنك ستساعده على إصلاح خطئه، ولو احتاج الأمر إلى حزم وتأديب مناسبين دون ظلم أو إهانة.

استمع إلى زوجتك كما تستمع إلى أصدقائك. قد يجلس الرجل مع صديقه ساعة كاملة يستمع إلى حديثه باهتمام، فإذا أرادت زوجته أن تحدثه عن همومها قال: «اختصري، أنا متعب». يا أخي، ربما لا

تريد منك حلا لكل مشكلة، بل تريد أن تشعر أنك تسمعها وتهتم بما تقول. فامنحها من وقتك وإنصاتك كما تمنح الآخرين.

اعتذر لزوجتك وأولادك إذا أخطأت. بعض الآباء يرى أن الاعتذار لولده يسقط هيبته، وبعض الأزواج يرى أن الاعتذار لزوجته ضعف. يا أخي، إذا ظلمت أحدا فاعتذر إليه، ولو كان أصغر منك سنا أو أضعف منك مكانة. قل لولدك: «ظلمتك، سامحني». فإنك بهذا تعلّمه التواضع والعدل وتحمل المسؤولية.

لا تجعل النفقة بديلا عن الحنان. قد يقول الأب: «أنا أعمل طوال النهار من أجل أولادي، وأوفر لهم الطعام واللباس والتعليم، فماذا يريدون أكثر؟». نعم، القيام بالنفقة الواجبة من حقوقهم عليك،

والزيادة عليها من الإحسان، ولكنهم يحتاجون أيضا إلى وجودك في حياتهم. يحتاجون إلى حديثك، ونصيحتك، وابتسامتك، ومشاركتك أفراحهم وأحزانهم. فالمال لا يُعوّض غياب الأب عاطفيا وتربويا.

اجعل لبيتك نصيبا من العبادة والأنس. ما أجمل أن يجتمع أهل البيت أحيانا لتلاوة القرآن أو لذكر الله، أو لتعلّم علم الدين، أو لسماع موعظة قصيرة. ولكن لا تجعل كل اجتماع عائلي درسا طويلا أو سلسلة من الأوامر. اجمع بين العبادة والمرح المباح والحديث الطيب، حتى يرتبط الخير في نفوس أولادك بالمحبة والأنس.

احفظ أسرار بيتك وكرامة أهلك. ليس من حسن الخلق أن تخرج إلى أصدقائك فتحدثهم عن عيوب زوجتك، أو تفضح أخطاء

أولادك، أو تجعل مشكلات بيتك مادة للسخرية والضحك. ويحك. إياك وذلك. احفظ خصوصيات أسرتك، وعالج المشكلات بحكمة، واستشر أهل الثقة عند الحاجة. فإن حفظ الأسرار من الأمانة، ولا يعني ذلك كتمان الظلم أو منع طلب المساعدة عند الأذى.

بيتك هو الامتحان الحقيقي لسلوكك. يا طالب الطريق، قد تستطيع أن تتظاهر بالصبر والتواضع ساعة أمام الناس، ولكن أهلك يرون أخلاقك عند العَتَب والغضب والمرض وضيق المعيشة. فإن أردت أن تعرف أثر السلوك في نفسك، فانظر كيف تعامل زوجتك عندما تختلف معك، وكيف تتصرف مع أولادك عندما

يخطئون، وكيف تضبط لسانك عندما تغضب. هناك تظهر ثمار المجاهدة والتربية.

وبعد هذا الحديث، أريد أن أسألك سؤالا: لو سألنا زوجتك وأولادك عن أخلاقك، فماذا سيقولون؟ هل سيقولون إنك رحيم ولطيف وعادل، وإنهم يشعرون بالأمان والمحبة في صحبتك؟ أم سيذكرون غضبك وقسوتك وكثرة انتقاداتك؟ لا تجبني أنت، بل راجع نفسك بصدق، فإن شهادة أهل بيتك على معاملتك تستحق أن تتأمل فيها.

ابدأ من الليلة. ادخل بيتك مبتسما، وسلم على أهلك بحرارة، وقل لزوجتك كلمة طيبة، واجلس مع أولادك، واسألهم عن يومهم،

واستمع إليهم دون انشغال. وإذا كنت قد ظلمت أحدا منهم فبادر إلى إصلاح ما أفسدت. لا تنتظر مناسبة خاصة حتى تظهر محبتك، فإن الحياة تمضي أسرع مما تتصور.

يا سالك الطريق إلى الله، لا تجعل نصيب الغرباء من حسن خلقك أكبر من نصيب زوجتك وأولادك. لا تكن محبوبا في المجالس ومخيفا في بيتك، ولا تكن لطيف اللسان مع الناس قاسيا مع أهلك. فإن من أعظم ثمار تزكية النفس أن تُصبح أكثر رحمة بمن يعيشون معك، وأكثر صبرا على أخطائهم، وأكثر حرصا على حقوقهم.

وأخيرا، تذكر أن أولادك سيكبَرون، وأن الأيام التي يعيشونها معك اليوم لن تعود. وربما ينسون كثيرا من الهدايا التي اشتريتها لهم،

ولكنهم سيتذكرون كيف كنت تعاملهم، وكيف كنت تحتضنهم وتستمع إليهم وتدافع عنهم. وزوجتك كذلك، قد تنسى كثيرا من تفاصيل الحياة، ولكنها لن تنسى إحسانك إليها ووقوفك بجانبها في أيام الشدة.

فيا طالب الطريق إلى الله، اجعل بيتك أول ميدان تظهر فيه أنوار السلوك، واجعل زوجتك وأولادك أول من ينتفع بحسن أخلاقك. ولا تجعلهم يتمنون أن تعاملهم كما تعامل الغرباء، بل اجعل الغرباء يتمنون أن يجدوا من حسن خلقك ما يجده أهلك.

أسأل الله أن يبارك لك في زوجتك وأولادك، وأن يجعل بيتك بيت مودة ورحمة وسكينة، وأن يطهره من الظلم والقسوة والخصومات،

وأن يعينك على حسن العشرة والتربية، وأن يجعل أولادك من الصالحين، وأن يجمعكم على الخير في الدنيا وفي جنات النعيم.

سالكة الطريق إلى الله... كيف تعامل زوجها وأولادها؟

يا أختاه، يا طالبة الطريق إلى الله، قد تكونين كثيرة الصلاة والذكر، حريصة على حضور مجالس العلم، محبة للصالحين، ولكن كيف أنت مع زوجك وأولادك؟ هل يجد زوجك منك المودة والاحترام وحسن العشرة؟ وهل يجد أولادك فيك الرحمة والحنان والتربية الحسنة؟ فإن السلوك إلى الله ليس مجرد عبادات تؤدينها، بل تزكية للنفس تظهر آثارها في أخلاقك ومعاملتك لأقرب الناس إليك.

من النساء من تتلطف مع صديقاتها، وتبتسم لجاراتها، وتحسن الكلام مع الناس، ولكنها إذا دخلت بيتها أصبحت كثيرة الانتقاد، سريعة الغضب، قليلة الصبر على زوجها وأولادها. يا أختاه، لماذا

يكون للناس نصيب من حسن خلقك أكبر من نصيب أهل بيتك؟ أليس زوجك وأولادك من أولى الناس بمودتك وإحسانك؟

إن الزواج في الإسلام ليس مجرد اجتماع رجل وامرأة تحت سقف واحد، بل هو ميثاق غليظ، تقوم فيه الحياة على المودة والرحمة وأداء الحقوق. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. فتأملي معنى السكينة في الحياة الزوجية، واسألي نفسك: هل يجد زوجي الراحة والمودة في صحبتي؟ وهل نتعاون على أن يكون بيتنا مكانا للسكينة والرحمة؟

بعض النساء يظنن أن السلوك إلى الله يكون بكثرة الأوراد والأذكار والعبادات، وينسَين أن حسن معاشرة الزوج، ورعاية الأولاد، وأداء الحقوق، والصبر على مشاق الحياة الزوجية، كلها أبواب عظيمة للأجر إذا صحت النية. فكم من امرأة تتقرب إلى الله بإحسانها إلى أهل بيتها، وترجو بذلك ثوابا عظيما.

يا طالبة الطريق، إن من أعظم ما يُصلح البيوت الكلمة الطيبة، والاحترام، والتقدير، وحسن المعاشرة، والعناية بالزوج، وحفظ أسرار البيت، وأداء الحقوق، والصبر على تربية الأولاد. وتذكري أن المرأة الصالحة ليست التي تقبل الظلم والإهانة، بل التي تعرف

حقوق الله وحقوق زوجها وحقوق نفسها، وتؤدي ما عليها دون أن ترضى بالظلم أو تُفرّط في سلامتها.

لا تبخلي على زوجك بحسن خلقك. لا تكوني لطيفة مع الناس خارج بيتك، ثم تستقبلين زوجك بالتجهم والانتقاد والشكوى المستمرة. اجعلي له نصيبا من ابتسامتك وكلامك الجميل واهتمامك. وكما تحبين أن يعاملك بالمودة والاحترام، عامليه أنت كذلك، فإن حسن العشرة من الطرفين من أعظم أسباب استقرار الحياة الزوجية.

لا تبخلي على زوجك بكلمة محبة. بعض النساء تمر عليهن الأيام دون أن تقول إحداهن لزوجها كلمة تقدير أو محبة، وإذا أحسن

إليها اعتبرت إحسانه أمرا عاديا لا يستحق الشكر. يا أختاه، قولي له: «جزاك الله خيرا، أقدر تعبك، بارك الله فيك». فالرجل أيضا يحتاج إلى الكلمة الطيبة والتشجيع والشعور بأنه محبوب ومُقَدّر في بيته.

لا تجعلي بيتك ميدانا للخصومات. ليس من الحكمة أن يتحول كل اختلاف بسيط إلى معركة. قد يتأخر زوجك قليلا، أو ينسى أمرا، أو يخطئ في شيء، فتبدأ الاتهامات والخصومات والكلام الجارح. يا أختاه، تعلّمي اختيار الوقت المناسب للحوار، وميزي بين الأمور التي تستحق النقاش وتلك التي يمكن تجاوزها. فإن مجاهدة النفس عند الغضب من أعظم أبواب السلوك.

من الأخطاء الخطيرة أن تتعامل المرأة مع حق زوجها في المعاشرة وكأنه أمر لا أهمية له، فتمتنع عنه عمدا بغير عذر شرعي. وقد ثبت في صحيح البخاري وصحيح مسلم أصل الوعيد في امتناع الزوجة عن فراش زوجها بغير عذر شرعي. فلتتق اللهَ المرأةُ في الحقوق الزوجية، وليتق الله الرجل كذلك في زوجته، وليراع كل منهما حال الآخر، فإن الحقوق الزوجية لا تُبيح الظلم.

لا تجعلي الحرمان من المعاشرة سلاحا. قد يقع خلاف بسيط بين الزوجين، فتقرر الزوجة أن تعاقب زوجها بالامتناع عن المعاشرة أياما أو أسابيع، لا لعذر شرعي، بل لمجرد الانتقام أو الضغط عليه. وهذا سلوك قد يفسد المودة ويزيد الخلافات. يا أختاه، لا تجعلي العلاقة

الخاصة وسيلة للابتزاز أو العقوبة، بل عالجي خلافاتك بالحوار والإنصاف.

احفظي العفة والمودة في بيتك. إن إهمال الحقوق الخاصة بين الزوجين قد يؤدي إلى الجفاء والتباعد، وقد يزيد تعرض بعض الناس للفتن. ولذلك ينبغي للزوجين أن يعتنيا بهذا الجانب من حياتهما، وأن يتحدثا بصراحة وأدب عن احتياجاتهما وما يعترضهما من صعوبات. فالمودة والرحمة ومراعاة حال كل منهما من أسباب حُسن العِشرة.

لا تجعلي الطلاق أول حل لكل خلاف. لا تطلبي الفراق لمجرد غضب عابر أو رغبة مؤقتة في تغيير حياتك. فالزواج ميثاق ينبغي

صيانته، والمشكلات العادية تُعالج بالحوار والإصلاح ما أمكن. أما إذا وُجد ظلم أو ضرر معتبر، فللمرأة أن تطلب رفع الضرر وتسلك الطرق المشروعة لذلك، فليس المقصود من النصيحة أن تبقى المرأة تحت الظلم.

لا تقارني زوجك بأزواج الأخريات. تقولين: «لماذا لا تكون مثل زوج فلانة؟ لماذا لا تشتري لي كما يشتري فلان لزوجته؟ لماذا لا نعيش مثلهم؟». قد تظنين أن هذه المقارنات تُحفّزه، ولكنها ربما تجرح قلبه وتُشعره بأنك لا تقدرين جهده. انظري إلى ما عند زوجك من محاسن، وشجعيه على تحسين حاله دون تحقير أو إهانة، ولا تجعلي حياة الآخرين مقياسا لسعادتك.

من حسن العشرة أن يعتني كل من الزوجين بمظهره ونظافته ورائحته أمام الآخر. فلا تجعلي اهتمامك بزينة نفسك مقصورا على المناسبات والخروج من البيت، وتنسي زوجك الذي يعيش معك. وكذلك ينبغي للزوج أن يعتني بنظافته وحسن مظهره لزوجته، فإنّ التزين وحسن المظهر من أسباب الأُلفة والمودة.

لا تنشري أسرار حياتك الزوجية. ليس كل خلاف بينك وبين زوجك ينبغي أن تعرفه صديقاتك أو أهلك أو متابعاتك على وسائل التواصل. احفظي خصوصيات بيتك، ولا تجعلي عيوب زوجك مادة للأحاديث والسخرية. وإذا احتجت إلى نصيحة فاستشيري أهل الثقة والعلم. ولا تفهمي من حفظ الأسرار أن

عليك كتمان الظلم أو الأذى، فلك أن تطلبي المساعدة ورفع الضرر.

احفظي مكانة الأب في قلوب أولادك. إذا اختلفت مع زوجك، فلا تجعلي أولادك طرفا في الخصومة، ولا تسعي إلى تحريضهم عليه أو تحقيره أمامهم. ولا تجعليهم رسلا بينكما لنقل الاتهامات والشكاوى. فالطفل لا ينبغي أن يكون وسيلة لتصفية الحسابات بين أبويه. وكذلك ينبغي للزوج أن يحفظ مكانة أمهم أمامهم.

لا تُحمّلي زوجك فوق طاقته. قد يكون زوجك محدود الدخل، أو يمر بضائقة مالية، أو يعمل ساعات طويلة لتوفير حاجات البيت، ثم يعود ليجد نفسه أمام مطالب متكررة، ومقارنات بأزواج النساء

الأخريات، دون مراعاة لظروفه وإمكاناته. يا أختاه، راعي ظروفه، وكوني عونا له على مَشاقّ الحياة. وهذا لا يعني أن تتنازلي عن حقوقك الواجبة، بل أن تجتمعا على حسن التدبير والتعاون، بدلا من أن يتحول ضيق الرزق إلى خصومات دائمة.

أولادك يحتاجون إلى حنانك، لا إلى أوامر فقط. لا تجعلي علاقتك بأولادك مقتصرة على الطعام واللباس والدراسة والنظافة. اجلسي معهم، واستمعي إلى مشكلاتهم، واحتضنيهم، وأشعريهم بمحبتك. فقد يكون الطفل محتاجا إلى كلمة تشجيع أو لحظة اهتمام أكثر من حاجته إلى لعبة جديدة. واجعلي بيتك مكانا يشعر فيه أولادك بالأمان والمحبة.

لا تكسري شخصية ولدك باسم التربية. بعض الأمهات تكثر من الصراخ والإهانات: «أنت فاشل، أنت غبي، أنت لا تفهم شيئا». ثم تتعجب بعد سنوات لماذا أصبح ولدها ضعيف الثقة بنفسه أو بعيدا عنها. يا أختاه، صححي الخطأ دون تحطيم نفسية ولدك، وعلميه الأدب دون إذلاله. فإن التربية تحتاج إلى الحزم والرحمة معا.

علمي أولادك الدين بالمحبة والقدوة. لا تجعلي الصلاة والقرآن والذكر مرتبطة في أذهان أولادك بالصراخ والتهديد الدائم. شجعيهم، وحدثيهم عن فضل الطاعة، وعلميهم ما ينبغي معرفته من أمور الدين، وكوني لهم قدوة في الصدق والأمانة وحسن الخلق. وعوديهم على الصلاة وعلى تلقي القرآن والعلم الصحيح من أهل

المعرفة، مع مراعاة أعمارهم وأحوالهم. فإن الولد قد يتعلّم من أفعال أمه قبل كلماتها.

لا تجعلي هاتفك يأخذ نصيب أهلك من وقتك. قد تجلس المرأة ساعات طويلة تتصفح الهاتف، وتتابع الأخبار والمقاطع والرسائل، بينما ينتظر زوجها وأولادها شيئا من اهتمامها. يا أختاه، لا تجعلي مواقع التواصل الاجتماعي أقرب إليك من أسرتك. خصصي وقتا للحوار والجلوس معهم، واتفقوا جميعا على أوقات تتركون فيها الهواتف، فإن حسن العشرة يحتاج إلى حضور واهتمام من الجميع.

لا تهملي نفسك حتى تنهاري. من الخطأ أن تظن المرأة أن صلاحها يعني أن تتحمل كل الأعباء وحدها، وأن لا ترتاح، وأن لا تطلب

المساعدة. اعتني بصحتك ونومك وراحتك، واطلبي من زوجك التعاون في مسؤوليات البيت والأولاد. فالاعتناء بنفسك يعينك على أداء حقوق الله وحقوق أهلك، ولا يتعارض مع حسن العشرة.

كوني عونا لزوجك على طاعة الله. ما أجمل أن يجد الرجل في زوجته من تذكره بالصلاة، وتشجعه على طلب العلم، وتعينه على ترك المعاصي، وتدعوه إلى حسن الخُلق. ولكن لا تجعلي النصيحة سلسلة من الانتقادات والتوبيخ. اختاري الوقت والأسلوب المناسبين، وابدئي بإصلاح نفسك، وتعاونا على الخير، فإن الزوجين إذا تعاونا على طاعة الله كان ذلك من أعظم أسباب البركة في حياتهما.

بيتك ميدان عظيم من ميادين السلوك. يا طالبة الطريق إلى الله، لا تظني أن السلوك يكون في مجالس الذكر والخلوات وحدها. عندما تكظمين غيظك، وتحسنين الكلام مع زوجك، وتراعين حقوقه، وتصبرين على تربية أولادك، وتصلحين خطأك إذا أخطأت، فأنت تجاهدين نفسك في ميدان عظيم. فاجعلي حسن العشرة وتربية الأولاد من الأعمال التي تتقربين بها إلى الله، دون أن تُهملي حقوق نفسك أو تسمحي لأحد بظلمك.

حاسبي نفسك قبل أن تمضي الأيام. يا أختاه، اسألي نفسك بصدق: هل يجد زوجي فيّ المودة والاحترام؟ هل أؤدي حقوقه كما أحب أن يؤدي حقوقي؟ وهل يشعر أولادي بالأمان والمحبة في

صحبتي؟ لا تكتفي بالإجابة، بل ابدئي بالعمل. قولي لزوجك كلمة طيبة، واعتذري إن أخطأت، واجلسي مع أولادك واستمعي إليهم. فإن إصلاح البيت قد يبدأ بكلمة صادقة ومبادرة صغيرة.

اجعلي أهل بيتك أول من ينتفع بصلاحك. لا تجعلي همك أن يمدحك الناس، ثم يكون زوجك وأولادك أكثر الناس معاناة من سوء خلقك. فالأيام تمضي، والأولاد يكبَرون، وما تزرعينه اليوم من رحمة ومودة وحسن معاملة قد يبقى أثره في قلوبهم سنوات طويلة. وتذكري أن طاعة الزوج تكون في المعروف، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأن حفظ الأسرة يكون بأداء الحقوق والعدل والمودة والرحمة، لا بالظلم والإهانة.

أسأل الله أن يبارك لك في زوجك وأولادك، وأن يجعل بيتك بيت سكينة ومودة ورحمة، وأن يُعينك على حسن العشرة وتربية الأولاد، وأن يُصلح ما بينك وبين زوجك، ويُؤلف بين قلبيكما، ويُبعد عنكما الشيطان وأسباب الفتن والخصومات، وأن يجعلكما عونا لبعضكما على طاعته، وأن يرزقكما العفاف وحسن الخلق والسعادة في الدنيا والآخرة.

تربية الأولاد: قبل أن تشتكي من فساد ابنك، اسأل نفسك كيف ربيته.

يا أيها الآباء والأمهات، كم من إنسان يعرف كيف يتزوج ويُنجب، ولكنه لا يعرف كيف يربي، ولا كيف يعلم ولده دينه، ولا كيف يحميه من أسباب الفساد. يعرف كيف يُطعم جسده، ولكنه لا يعرف كيف يُغذي قلبه بالإيمان. يعرف كيف يشتري له الثياب والألعاب، ولكنه لا يعرف كيف يعلمه الصلاة والعقيدة والحلال والحرام. فليس كل من أنجب ولدا أحسن أن يكون أبا، ولا كل من أنجبت طفلا أحسنت أن تكون أما.

من أعظم المصائب التي نراها في زماننا أن كثيرا من الأولاد يجهلون دينهم بسبب جهل آبائهم، ويضيعون بسبب إهمال آبائهم، وينشؤون على المعاصي لأن آباءهم لم يعلموهم الطاعة. ثم إذا كبر الولد وفسدت أخلاقه، وقف الأب يشكو ويقول: «لا أدري ماذا حصل لابني». يا أخي، أين كنت عندما كان ولدك صغيرا يتلقى منك الكلمات والعادات؟ أين كنت عندما كان يحتاج إلى من يعلمه من هو الله، ومن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف يعبد ربّه؟ ولا يعني هذا أن كل من انحرف كان أبواه مقصرين، ولكن الإهمال في التربية من الأسباب التي قد تؤدي إلى ذلك.

تربية الأولاد لا تبدأ عندما يبلغ الولد عشر سنوات، ولا عندما يدخل المدرسة، بل إن من أسباب حسن تربيته أن يحسن الرجل اختيار أم أولاده، وأن تحسن المرأة اختيار أبي أولادها. فكيف ترجو أن ينشأ ولدك على تعظيم الصلاة وأنت اخترت له أما لا تصلي؟ وكيف ترجين أن يتعلّم ابنك علم الدين وأنت اخترت له أبا جاهلا لا يحرص على التعلّم؟ إن صلاح الوالدين من أعظم الأسباب المعينة على صلاح الذرية، وإن لم يكن ضمانا لذلك.

بعض الآباء والأمهات يهتمون بمظهر الطفل اهتماما عجيبا. يشترون له أغلى الملابس، ويصورونه في أجمل الأماكن، ويفتخرون بمدرسته وألعابه، ولكنهم لا يسألون أنفسهم: هل ما يدخل بطنه

حلال؟ هل يعرف شيئا من دينه؟ هل يسمع في البيت ذكر الله والصلاة على النبي؟ هل يرى أبوَيه يصليان؟ لقد اعتنوا بالصورة ونسوا الأصل، واهتموا بجسد الطفل وأهملوا قلبه.

يا أيها الأب، ويا أيتها الأم، قبل أن تسألا كيف تربيان ولدكما، اسألا كيف تربيان نفسيكما. فإن فاقد العلم لا يستطيع أن يعلم ما يجهله، ومن اعتاد الكذب يصعب عليه أن يغرس الصدق في نفوس أولاده، ومن يستهين بالصلاة لا يكون قدوة حسنة لهم في المحافظة عليها. وكثير من الآباء والأمهات يحتاجون إلى أن يتعلّموا دينهم، ويصلحوا أخلاقهم، ويعيدوا تربية أنفسهم من جديد، وهم يتولون تربية أبنائهم.

يا أيها الأب، من أين يأتي المال الذي تطعم منه أولادك؟ هل هو من كسب حلال أم من غش ورِبا وسرقة وظلم وأكل حقوق الناس بالباطل؟ ويا أيتها الأم، هل تتحَرَّين الحلال فيما تقدمينه لأطفالك؟ إن تحري الحلال في الكسب والطعام واجب عظيم، ولا يجوز الاستهانة به. فلا تظن أن مسؤوليتك تنتهي بمجرد أن تملأ بطون أولادك، بل عليك أن تتقي الله في مصدر الطعام والمال.

من المؤسف أن ترى بعض الآباء والأمهات يحرصون على المظاهر الدينية، فالأب ملتح والأم محجبة، ولكنهم يتساهلون في أكل الحرام، ولا يتحرّون حِلِّية اللحوم التي يشترونها، ولا يسألون عن مصدر المال الذي ينفقونه. يا أخي، اللحية والحجاب لا يُعفيان من

تحرّي الحلال. فلا يكفي أن يبدو البيت متديّنا في ظاهره، بينما تقع فيه مخالفات شرعية عظيمة. ليس التديّن مجرد مظهر نظهره أمام الناس، بل هو طاعة لله في السر والعلن، واستقامة على شرعه ظاهرا وباطنا.

يا أيتها الأم الحامل، اتقي الله فيما تأكلين وتشربين، وتحري الحلال، فإنك لا تغذين نفسك وحدك، بل تحملين في بطنك نفسا ستكون أمانة بين يديك. وليس معنى ذلك أن كل سوء خلق يظهر في الطفل سببه طعام أمه، ولكن تحري الحلال واجب، ومن البركة أن يبدأ اهتمام الوالدين بالأسباب التي تعين على صلاح دين ولدهما قبل ولادته، لا أن ينتظرا حتى يكبر ويعتاد ما يصعب تغييره.

لا تقل إن طفلي لا يزال صغيرا لا يفهم شيئا. فالطفل في عامه الأول لا تستطيع أن تعلّمه أحكام الصلاة والعقيدة كما تعلّم الكبير، ولكنه يتأثر بالحنان والرفق والأمان وما يراه ويسمعه من والديه. فإذا كبر قليلا بدأ يقلد الكلام والتصرفات. فاجعل بيته بيئة رحمة وصدق وطاعة، ولا تنتظر حتى تتكون عنده العادات السيئة ثم تحاول اقتلاعها.

يا أيها الأب، إذا بلغ ولدك سبع سنوات قمرية، فلا تهمل أمر الصلاة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ». علمه الوضوء، وعلمه كيف يصلي، واصطحبه إلى المسجد ومجالس الخير، وشجعه حتى يحب

الصلاة ويعتادها. ولا تنتظر بلوغه لتبدأ تعليمه، فإن من أهمل ولده في صغره قد يجد مشقة كبيرة في تعويده على الطاعة بعد ذلك.

لا تظن أن تعليم الطفل الصلاة يعني أن تصرخ في وجهه خمس مرات كل يوم. بل علمه برفق وحكمة، وصل أمامه، وامدحه إذا أحسن، وكرر التعليم بصبر، واجعل الصلاة أمرا عظيما محبوبا في قلبه. والمقصود أن ينشأ على تعظيم هذه الفريضة، لا أن يربطها بالخوف من غضب أبيه أو أمه. فالتربية تحتاج إلى ثبات ورحمة، لا إلى صراخ وإهانة.

من أخطر صور الإهمال أن يبلغ الولد سن المراهقة وهو لا يعرف عقيدة المسلمين، ولا يعرف ما يجب لله وما يستحيل عليه، ولا

يعرف أن الله لا يشبه المخلوقات، ولا أنّ الإسلام دين جميع الأنبياء، ولا يعرف أحكام الطهارة والصلاة. ثم يتعجب أهله إذا سمع شُبهة في الإنترنت فتأثر بها. يا أيها الآباء، كيف تتركون قلوب أولادكم فارغة من العلم الضروري، ثم تتعجبون من تأثرهم بالأفكار الباطلة؟

لقد رأيت في حياتي الدعوية ما يحزن القلب. ذهبت مرة إلى بيت أسرة مسلمة بعدما علمت أن ابنتهم تركت الإسلام، وكنت أحاول إرجاعها إليه، فقلت لها أثناء الحديث: «إن الإسلام دين جميع الأنبياء». فقالت متعجبة إنها لم تكن تعرف ذلك. فنظرت إلى أبيها مستنكرا: كيف كبرت ابنتك في بيت مسلم ولم تتعلّم هذه الحقيقة

الأساسية؟ إنها مصيبة أن ينشأ الولد في بيت مسلم ثم يجهل أصول دينه.

يا أيها الأب، لا يكفي أن تسجل ولدك في مدرسة جيدة، وتدفع له رسوم التعليم، وتشتري له الكتب والأجهزة. اسأل أيضا: أين يتعلّم علم الدين؟ من يعلمه العقيدة الصحيحة؟ من يصحح له صلاته؟ من يُجيبه إذا سأل عن الله والأنبياء والآخرة؟ إنك قد تنفق آلاف الدولارات على تعليمه الدنيوي، ثم تبخل عليه بساعة أسبوعية في مجلس علم الدين. فأيُّ خلل في ترتيب الأولويات هذا؟

علّق قلب ولدك بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ صغره. حدثه عن رحمته وشجاعته وصدقه وصبره، وعن محبة الصحابة له

وتعظيمهم إياه. وعلمه الصلاة عليه، واذكر أمامه أسماء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وحدثه عن أخلاقهم وفضائلهم. لا تجعل أبطال طفلك محصورين في لاعبي الكرة والمشاهير والشخصيات الخيالية، بينما يجهل سيرة نبيه وأصحابه.

بعض الآباء يغضب غضبا شديدا إذا حصل ولده على علامة ضعيفة في الرياضيات، ولكنه لا يبالي إذا ترك الصلاة. وبعض الأمهات تقلق لأن ابنتها لا ترتدي ثيابا جميلة في مناسبة، ولكنها لا تقلق لأنها لا تعرف أحكام الطهارة الواجبة عليها. يا أيها الآباء والأمهات، لا أقول أهملوا الدراسة أو المظهر الحسن، ولكن أقول:

كيف صار النجاح الدنيوي عند بعضكم أهم من سلامة دين أولادكم؟!

انتبه إلى ما يتعلّمه ولدك من تصرفاتك اليومية. فإذا رآك تكذب على الهاتف، تعلّم أن الكذب وسيلة للخروج من المشكلات. وإذا رآك تغتاب الناس، اعتاد الكلام في أعراضهم. وإذا سمعك تشتِم وتلعن، حفظ ألفاظك ورددها. ثم إذا كبر وظهرت فيه هذه الأخلاق، فلا تتعجب. فقد تكون أنت أول من علمه إياها دون أن تشعر.

من الأخطاء الفادحة أن يترك الأب والأم أولادهما ساعات طويلة أمام الهاتف والإنترنت دون متابعة، ثم يظنا أن الولد في أمان لأنه

جالس في غرفته. قد يكون جسده داخل البيت، ولكن عقله وقلبه يتلقّيان من أشخاص لا يعرفهم والداه. راقب المحتوى الذي يتعرّض له بما يناسب عمره، وعلمه كيف يميز بين الحق والباطل، واجعل بينك وبينه ثقة تشجعه على أن يسألك عما يشاهده.

لا تضحك عندما يكذب طفلك أو يشتم أو يؤذي غيره، وتقول إنه صغير وذكي. فإن بعض الآباء يشجعون أولادهم على المكر والكذب والاعتداء، ثم إذا كبروا وصاروا يؤذون الناس اشتكوا من فساد أخلاقهم. علم ولدك منذ صغره أن القوة ليست في إيذاء الضعفاء، وأن الذكاء ليس في خِداع الآخرين، وأن الشجاعة لا تعني الاعتداء على الناس.

لا تترك تعليم الدين كله للمدرسة أو للمركز الإسلامي، ثم تُعفي نفسك من المسؤولية. نعم، المعلم الصالح نعمة عظيمة، ولكن الأب والأم مسؤولان أيضا عن متابعة ولدهما، وسؤاله عما تعلّم، ومساعدته على العمل به. فإذا حضر الطفل درس الدين ثم عاد إلى بيت لا يُحافَظ فيه على الصلاة ولا يُعظّم فيه الشرع، وجد تناقضا بين ما يسمعه وما يراه. فاجعل بيتك مُعينا للمعلّم، لا هادما لما يبنيه.

يا أيها الأب، لا تجعل عملك وتجارتك وأصدقاءك يأخذون كل وقتك، ثم تعطي أولادك ما بقي من دقائق يومك. ويا أيتها الأم، لا تجعلي الهاتف والمناسبات والمشاغل تصرفك عن متابعة دين

أولادك وأخلاقهم. اجلسا معهم، واسمعا أسئلتهم، واعرفا أصحابهم، وتابعا ما يتعلّمونه. فإن الطفل الذي لا يجد من يُصغي إليه في بيته قد يبحث عمن يسمعه خارج البيت، وليس كل من يسمعه يريد له الخير.

لا تُرَبِّ أولادك على أن الدين مجرد قائمة من الممنوعات. علمهم أن الله أمر بالصدق والعدل والإحسان، وأن طاعته سبب للفوز في الآخرة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قدوتهم في الحياة. حدثهم عن الجنة والثواب، كما تعلّمهم الحلال والحرام، حتى تنشأ في قلوبهم محبة الطاعة والرغبة في الخير، لا مجرد الخوف من العقوبة.

إذا أخطأ ولدك، فلا تجعل أول رد فعل عندك الضرب والإهانة والفضيحة. افهم سبب الخطأ، وعلمه الصواب، واستعمل من وسائل التأديب المشروعة ما يناسب عمره وحاله، دون ظلم أو إيذاء. ولا تنس أن بعض الأطفال يكذبون خوفا من رد فعل آبائهم. فاجعل ولدك يعلم أنه إذا اعترف بخطئه وجد من يعلمه ويصلح حاله، لا من يحطمه نفسيا.

يا أيها الآباء والأمهات، إذا رأيتم أولادكم قد ابتعدوا عن الدين، فلا تلقوا اللوم كله على المجتمع والمدرسة والأصدقاء والإنترنت. نعم، لهذه الأمور تأثير، ولكن اسألوا أنفسكم أيضا: ماذا علمناهم؟ أي قدوة قدمنا لهم؟ هل تحرينا الحلال في طعامهم ونفقتهم؟ هل

علمناهم الصلاة في سنها؟ هل أخذناهم إلى مجالس العلم؟ هل غرسنا في قلوبهم محبة الله ورسوله؟ فقد يكون أول ما يحتاج إليه إصلاح الولد أن يبدأ أبوه وأمه بإصلاح نفسيهما.

يا أيها الأب، ويا أيتها الأم، لا تنتظرا أن يكبر أولادكما لتكتشفا أنكما أهملتما أعظم ما كان ينبغي تعليمه لهم. فالأيام تمضي سريعا، والطفل الذي تحملانه اليوم بين أيديكما سيصبح بعد سنوات شابا أو فتاة له أفكاره واختياراته. اغتنما سنوات الطفولة في غرس العلم الصحيح والعادات الحسنة، فإن بناء الخير في النفس منذ الصغر أيسر من معالجة كثير من العادات الفاسدة بعد رسوخها.

لا تيأسا إذا اكتشفتما أنكما قصرتما في تربية أولادكما. فباب التوبة والإصلاح مفتوح، ولو بلغ أولادكما سن الشباب. ابدآ بتعلّم علم الدين الضروري، والمحافظة على الصلاة، وتحري الحلال، وتحسين معاملتكما لهم، ثم ادعوهم إلى الخير بالحكمة والصبر. ولا تتوقعا أن يتغيروا في يوم واحد، فقد يحتاج إصلاح ما أهمل سنوات إلى وقت طويل ومتابعة ورحمة.

تذكروا أن الأولاد ليسوا زينة نتفاخر بها أمام الناس فحسب، ولا وسيلة لتحقيق أحلامنا الدنيوية التي لم نستطع تحقيقها. إنهم أمانة عظيمة، ولهم علينا حقوق في التعليم والتربية والنفقة الحلال والرعاية والرحمة. فليس النجاح أن يصبح ولدك طبيبا أو مهندسا أو تاجرا

غنيا فقط، بل من أعظم النجاح أن يعرف ربّه ونبيه، ويتعلّم ما فرض الله عليه، ويؤدي واجباته، ويجتنب المحرمات.

يا مَن تحرِص على أن تترك لأولادك بيتا ومالا وميراثا، لا تنس أن تترك لهم ما هو أعظم نفعا: علما صحيحا، وعقيدة سليمة، ومحبة للرسول صلى الله عليه وسلم، واعتيادا على الصلاة والطاعة، وأخلاقا حسنة. فقد ينفَد المال، وقد تضيع الممتلكات، ولكن العلم النافع والعمل الصالح يبقى أثرهما في حياة الإنسان، ويكونان سببا في نجاته بإذن الله.

وأخيرا، يا أيها الآباء والأمهات، قبل أن تسألوا لماذا فسد بعض الأولاد، اسألوا لماذا أهمل بعض الآباء والأمهات تربيتهم. لا يكفي

أن تُنجبوا، ولا أن تُطعموا وتَكسوا، ولا أن توفروا المدارس والهواتف والملابس. بل اتقوا الله في أولادكم، وعلموهم دينهم، وأطعموهم من الحلال، وعودوهم الصلاة، وعلقوا قلوبهم بمحبة الله ورسوله والصالحين، وكونوا لهم قدوة حسنة. واستحضروا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيهَا الذِينَ آمَنوا قوا أَنْفسَكمْ وَأَهْلِيكمْ نَارًا وَقودهَا الناس وَالْحِجَارَة﴾. إن تربية الأولاد ليست مسألة ثانوية في حياتكم، بل مسؤولية عظيمة ستسألون عنها يوم القيامة.

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل أبويه المسلمين؟

يا طالب الطريق إلى الله، قد تقضي ساعات في الذكر والصلاة وتلاوة القرآن، وتحرص على حضور مجالس العلم، وتبحث عن أسرار القرب من الله، ولكن دعني أسألك سؤالا: كيف أنت مع أبيك وأمك؟ هل تحسن إليهما؟ هل تتواضع لهما؟ هل تجبُر خاطرهما؟ هل تدخل السرور إلى قلبيهما؟ أم أنك منشغل بالنوافل، وقد قصرت في حق من كانا سببا في وجودك في هذه الدنيا؟

عجيب أمر بعض الناس. يتواضع لشيخه ومعلمه، ويقبل يد من يحبه من الصالحين، ويتأدب في مجالس العلم، ولكنه إذا رجع إلى بيته رفع صوته على أمه، أو تضجر من أبيه، أو ضاق صدره

بطلباتهما. يا أخي، أين أثر السلوك في قلبك؟ وأين مجاهدة النفس التي تتحدث عنها، وأنت لا تحتمل كلمة من أمك أو طلبا من أبيك؟

تذكر يا أخي أن أمك حملتك في بطنها، وتحملت من أجلك الآلام، وسهرت الليالي حين مرضت، وفرحت لفرحك وحزنت لحزنك. وتذكر أباك الذي تعب وسعى في طلب الرزق، وربما حرم نفسه من أشياء كثيرة ليؤمن لك ما تحتاج إليه. فهل يكون جزاؤهما بعد كل ذلك أن تكبر وتستغني عنهما، ثم لا يجدان منك إلا زيارة عابرة أو اتصالا قصيرا؟

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. تأمل كيف قرن الله الأمر بالإحسان إلى الوالدين بالأمر بعبادته. فبر الوالدين ليس مجرد خلُق جميل أو عادة اجتماعية، بل عبادة عظيمة وواجب شرعي ينبغي أن يعتني به كل من يريد رضا الله.

والبِرّ لا يقتصر على النفقة والطعام والدواء، بل يشمل الابتسامة، والكلمة الحنونة، وتقبيل اليد، وخفض الصوت، وجبر الخاطر، والزيارة، والهدية، والتواضع، والصبر على ما قد يصدر من الوالدين عند الكبر. فاجعل والديك يشعران بأنهما عزيزان عليك، وأن مكانتهما في قلبك لا تنقص مهما تقدم بهما العمر.

والداك أولى الناس بحسن خلقك. يا طالب الطريق، لا تكن لطيفا مع أصدقائك، بشوشا مع الغرباء، صبورا مع من تحب، ثم تكون سريع الغضب مع أبيك وأمك. لماذا تحتمل من الناس ما لا تحتمله منهما؟ ولماذا تنتقي أجمل كلماتك للآخرين، وتترك لوالديك الكلام الجاف؟ اجعل لهما النصيب الأوفر من حسن خلُقك ولطفك ورحمتك.

اخفض جناحك لهما ولا تتكبر. قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾. مهما بلغت من العلم، ومهما أصبحت غنيا أو مشهورا أو صاحب منصب، فابق متواضعا أمام أبيك وأمك. لا تتعامل معهما بتعال، ولا تشعرهما بأنك أصبحت أعلم

منهما أو أعلى منزلة في الدنيا. فإن التواضع لهما عبادة، وليس إهانة لكرامتك.

لا تقل لهما أف ولو ضاق صدرك. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. إذا كان الله قد نهى عن أدنى كلمات التضجر، فكيف بمن يرفع صوته على أمه، أو يصرخ في وجه أبيه، أو يجرحهما بكلام قاس؟ يا طالب الطريق، إذا ضاق صدرك فجاهد نفسك على ضبط لسانك، فإن من أعظم المجاهدة أن تكظم غيظك وتبقى مؤدبا مع والديك.

اجبُر خاطر أمك وأبيك. قد لا يحتاج والداك إلى مالك، ولا إلى طعامك، ولا إلى هداياك، ولكنهما يحتاجان إلى أن يشعرا بأن لهما

مكانة عظيمة في قلبك. قل لأمك: «أسأل الله أن يرضى عنك يا أمي، كم تعبت من أجلي». وقل لأبيك: «جزاك الله خيرا يا أبي، لن أنسى إحسانك إلي». قبل رأسيهما ويديهما، وادع لهما. فربما كلمة محبة منك تسعدهما أكثر من هدية غالية.

لا تجعل زيارتهما واجبا ثقيلا. بعض الأبناء يزور والديه وكأنه يؤدي مهمة يريد الانتهاء منها بسرعة. يجلس دقائق، وينظر إلى ساعته، وينشغل بهاتفه، ثم يستأذن وينصرف. يا أخي، اجلس معهما بقلبك لا بجسدك فقط. تحدث إليهما، واستمع إلى أخبارهما، واسألهما عما يحتاجان إليه. فإنهما قد ينتظران زيارتك أياما طويلة، فلا تجعلها لقاء باردا يخلو من المودة.

لا تحرجهما أمام الناس. قد يخطئ أبوك في كلمة، أو تنسى أمك أمرا، أو يتحدث أحدهما بطريقة لا تعجبك، فتسارع إلى تصحيحه أمام الآخرين بنبرة قاسية. يا أخي، احفظ كرامتهما. وإذا احتجت إلى تصحيح أمر فافعل ذلك بلطف وأدب. ولا تجعل علمك أو ثقافتك سببا في احتقارهما، فهما لا يحتاجان إلى أن تثبت تفوقك عليهما، بل إلى أن يشعرا باحترامك لهما.

إذا كبِرا في السن فليزدد برك. قال الله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾. تأمل كيف خص الله حال الكِبَر بالذكر. فقد يصبح الأب كثير النسيان، وقد تكرر الأم الحديث نفسه، وقد يحتاجان إلى مساعدتك في أمور بسيطة. فلا تضجر من ضعفهما،

وتذكر كيف كنت صغيرا تحتاج إلى رعايتهما في كل شيء، فكانا يعتنيان بك.

لا تنشغل عن والديك بحياتك الجديدة. تزوجت، وأصبح لك أولاد وعمل ومسؤوليات، فهل يعني هذا أن تنسى أباك وأمك؟ بعض الناس بعد الزواج يقل اتصاله بوالديه حتى يكاد ينقطع. يا أخي، أعط زوجتك وأولادك حقوقهم، ولكن لا تجعل ذلك سببا في إهمال والديك. نظم وقتك، وتفقدهما، وأحسن إليهما، فإن حسن البر لا يتعارض مع حُسن العشرة الزوجية.

لا تجعل زوجتك أو زوجك سببا في عقوقك. قد تقع خلافات بين الزوجة وأهل زوجها، أو بين الزوج وأهل زوجته، فيجد الإنسان

نفسه بين طرفين. فليحذر من أن يتحول الخلاف إلى ظلم أو قطيعة بغير حق. لا تظلم زوجتك لإرضاء أمك، ولا تعق أمك لإرضاء زوجتك. أعط كل ذي حق حقه، وتعامل بالحكمة والعدل، فإن السلوك إلى الله لا يقوم على ظلم أحد لإرضاء الآخر.

إذا احتاج أبوك أو أمك إلى النفقة، وكنت قادرا على إعانتهما، فلا تتعامل مع ذلك وكأنه عبء ثقيل. لا تمُنّ عليهما بما تعطي، ولا تذكرهما في كل مرة أنك تنفق عليهما. بل قدم ما يجب عليك من النفقة وما تستطيع من الإحسان بوجه طلق وكلام طيب، واجعلهما يشعران أن خدمتهما وإكرامهما من أحب الأعمال إلى قلبك.

قد تختلف مع أبيك أو أمك في أمر من أمور الدنيا، وقد يكون رأيك أصوب من رأيهما، ولكن صحة رأيك لا تبيح لك قلة الأدب. تستطيع أن تناقش بهدوء، وأن تبين وجهة نظرك باحترام، وأن تعتذر عن تنفيذ ما لا يلزمك شرعا دون إهانة أو تجريح.

لا تنتظر أن يطلبا منك الاهتمام. بعض الآباء والأمهات لا يطلبون شيئا من أولادهم، مع أنهم يشتاقون إلى زيارتهم واتصالاتهم. قد تقول الأم: «أنا بخير، لا أحتاج إلى شيء»، وهي تتمنى أن تجلس معها ساعة. وقد يقول الأب: «لا تُتعب نفسك»، وهو يفرح كثيرا إذا زاره ولده. فكن مبادرا إلى البر، ولا تنتظر حتى يشتكيا من إهمالك.

أدخل السرور إلى قلبيهما. اجعل من أهدافك أن تُفرح أباك وأمك. اصطحبهما إلى مكان يحبانه، أو أحضر لهما طعاما يشتهيانه، أو قدّم لهما هدية، أو اجمع لهما أولادهما وأحفادهما في لقاء جميل. وليس شرطا أن تنفق مالا كثيرا، فقد تكون جلسة عائلية دافئة من أعظم ما يدخل السرور إلى قلبيهما.

لا تستح من إظهار محبتك لهما. بعض الرجال يستحي أن يُقبّل رأس أبيه أو يد أمه أمام الناس، أو أن يقول لهما: «أحبكما». يا أخي، لماذا تستحي من البر؟ قبل رأسيهما، واحتضنهما، وأظهر لهما محبتك بما يناسب حالهما وعادتهما. فإن التواضع للوالدين شرف، والحنان عليهما قوة في الخُلق، لا ضعف في الشخصية.

لا تجعل خدمتهما أقل شأنا من نوافلك. قد يتحمس الإنسان لصلاة النافلة أو حضور مجلس ذكر، ثم يضيق صدره إذا طلبت منه أمه خدمة تحتاج إليها، أو احتاج أبوه إلى مساعدته. يا طالب الطريق، تعلّم ترتيب الأولويات الشرعية. فإذا كانت خدمة والديك واجبة عليك، فلا تقدم عليها نافلة تؤدي إلى تضييع ذلك الواجب. وإذا كان ترك خدمتهما يُلحق بهما أذى معتبرا، أو يتسبب في غَمّ شديد يجب عليك دفعه، فلا تجعل اشتغالك بالمستحبات سببا في تضييع حقهما الواجب.

لا تَمُنّ عليهما بإحسانك. بعض الأبناء يقول لأمه: «أنا الذي أنفق عليك»، أو يقول لأبيه: «لولاي لما استطعت أن تفعل شيئا». يا

أخي، ويحك. أتمُنّ على والديك بخدمتك لهما؟ أين التواضع؟ وأين جبر الخاطر؟ أحسن إليهما، واستكثر من الخير، ولكن لا تجعل إحسانك وسيلة لإذلالهما أو إشعارهما بأنهما عبء عليك.

تحمل ما يصدر منهما عند الضعف. قد يصبح الأب سريع الغضب بسبب المرض أو الكِبَر، وقد تكثر الأم من الأسئلة والطلبات، وقد يكرران الكلام مرات كثيرة. فلا تجعل ذلك سببا في القسوة عليهما. اصبر واحتسب، واستعن بمن يساعدك عند الحاجة، وخذ قسطا من الراحة إذا أرهقتك المسؤوليات. فالبر لا يعني أن تهمل صحتك، بل أن تؤدي حقهما بقدر استطاعتك وبحسن خلُق.

كم من إنسان كان أبوه حيا فلم يكن يزوره إلا قليلا، وكانت أمه تنتظر اتصاله فلا يتصل، فلما مات أحدهما بكى وقال: «ليتني جلست معه أكثر. ليتني قبلت يده. ليتني قلت له إني أحبه». يا أخي، ما دام والداك على قيد الحياة، فلا تؤجل البر. فإن يوما سيأتي قد تتمنى فيه سماع صوت أحدهما فلا تستطيع.

برّ الوالدين من أعظم ميادين السلوك. يا طالب الطريق إلى الله، إذا أردت أن تعرف حقيقة مجاهدتك لنفسك، فانظر إلى حالك مع والديك. هل تستطيع أن تكظم غيظك إذا أغضباك؟ هل تتواضع لهما ولو أصبحت ذا علم ومكانة؟ هل تخدمهما دون مَنّ؟ هل تفرح

بإدخال السرور إلى قلبيهما؟ هنا تظهر ثمار تزكية النفس، وهنا يتجلى أثر الإيمان في الأخلاق والمعاملات.

حاسب نفسك قبل فوات الأوان. متى كانت آخر مرة قبلت فيها رأس أمك أو أبيك؟ متى جلست معهما دون أن تنشغل بهاتفك؟ متى قلت لهما كلمة محبة وتقدير؟ لا تجبني، بل أجب نفسك، ثم انظر إن كان هناك تقصير ينبغي أن تتداركه. وابدأ من اليوم: إذا كانا قريبين فزرهما، وإذا كانا بعيدين فاتصل بهما، وإذا كنت قد أسأت إليهما فاعتذر واطلب الصفح، واجتهد في إصلاح ما أفسدت.

يا سالك الطريق إلى الله، لا تبحث عن أسرار السلوك في الخلوات والأوراد وحدها، وتغفل عن باب البر المفتوح أمامك. إن جلوسك مع أمك، وخدمتك لأبيك، وتحملك لمشاق رعايتهما، وإدخال السرور إلى قلبيهما، كلها أعمال عظيمة تتقرب بها إلى الله. فاجعل برهما جزءا من برنامجك اليومي في السلوك، لا أمرا ثانويا تفعله إذا وجدت وقتا.

وأخيرا، يا طالب الطريق، تذكر أن والديك لن يبقيا معك إلى الأبد، وأن الأيام التي تستطيع فيها تقبيل أيديهما وسماع أصواتهما والجلوس معهما أيام ثمينة لا تعوض. وإذا أردت أن تتعلّم التواضع، فتواضع لأبويك. وإذا أردت أن تتعلّم الرحمة، فارحم ضَعفهما.

وإذا أردت أن تتعلّم الصبر، فاصبر على ما يشق عليك من خدمتهما. ولا تنس هذا الدعاء العظيم: ﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾. فطوبى لمن أدرك والديه أو أحدهما، فاغتنم حياتهما في البر والإحسان.

أسأل الله أن يحفظ لك أباك وأمك إن كانا على قيد الحياة، وأن يمدهما بالعافية، وأن يرزقك برهما والإحسان إليهما، وأن يجعلك قرة عين لهما، وأن يدخل السرور إلى قلبيهما. وأسأله أن يغفر لوالديك إن كانا قد ماتا على الإسلام، وأن يرحمهما ويرفع درجاتهما، وأن يُعينك على الدعاء لهما وصلة أرحامهما والإحسان إلى من كانا يحبانه .

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل إخوته وأخواته؟

يا سالك الطريق إلى الله، قد يكون لك أخ من أمك وأبيك، نشأ معك في بيت واحد، وأكل معك على مائدة واحدة، وشاركك طفولتك وأفراحك وأحزانك، ثم تمر السنوات حتى يصبح غريبا عنك. لا تزوره، ولا يتصل بك، وربما لا تعرف شيئا عن أحواله إلا من الناس. فأين ذهبت تلك المحبة؟ وكيف استطاعت مشاغل الحياة والخلافات أن تُباعد بين قلبين جمعهما رَحِم واحد؟

يا سالك الطريق، تأمل في هذه الحقيقة المؤلمة. قد تجد رجلا يزور أصدقاءه باستمرار، ويجلس معهم ساعات طويلة، ويسافر للقائهم، ولكنه لا يزور أخاه أو أخته إلا في المناسبات، وربما تمر سنوات دون

أن يسأل عنهما. فهل أصبحت الصداقة عند بعض الناس أعظم من الأُخُوّة؟ وهل صار الغريب أقرب إلى القلب ممن شاركك الأب والأم والبيت والذكريات؟

من أشد ما يؤلم القلب أن ترى إخوة كانوا يلعبون معا في طفولتهم، ثم أصبحوا بعد موت أبيهم أو أمهم أعداء بسبب الميراث. هذا يتهم أخاه بالسرقة، وذاك يتهم أخته بالطمع، وثالث يقاطع الجميع، ثم تنتقل الخصومة إلى أولادهم، فينشأ أبناء العُمومة والخُؤولة وهم لا يعرفون بعضهم، أو يحملون في قلوبهم عداوة لم يكونوا طرفا في أسبابها.

يا سالك الطريق، لا تظن أن صلة الرحم مجرد زيارة في العيد أو اتصال في المناسبات. إنها خلُق عظيم، وواجب شرعي له أحكامه، وميدان من ميادين مجاهدة النفس. فقد تحتاج إلى الصبر على أخ صعب الطباع، أو التغاضي عن تقصير أخت، أو المبادرة إلى الإصلاح بعد خلاف طويل. وليس معنى ذلك أن تقبل الظلم أو تُعرّض نفسك للأذى، بل أن تحرص على أداء حق الرحم مع حفظ حقوقك ودفع الضرر.

العلاقة بين الإخوة والأخوات تحتاج إلى حكمة: كيف يحفظ الإنسان محبتهم بعد الزواج وانشغال كل واحد بأسرته؟ وكيف

يتصرف عند الخلاف؟ وكيف يمنع المال والميراث من تمزيق العائلة؟ وكيف نحمي أولادنا من أن يرثوا أحقادنا وخصوماتنا؟

يا سالك الطريق، لا تنتظر أن يتصل بك أخوك حتى تتصل به، ولا أن تزورك أختك حتى تزورها. فإن جعلت صلة الرحم قائمة على المعاملة بالمثل، فقد تمر السنوات وكل واحد ينتظر الآخر. بادر أنت، واسأل أنت، وزر أنت، ولا تجعل كرامتك المزعومة حاجزا بينك وبين رحمك. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».

لا تجعل انشغالك بزوجتك وأولادك وعملك سببا لنسيان إخوتك وأخواتك. نعم، لكل إنسان مسؤولياته، ولكن هل يعقل أن تجد

وقتا لمتابعة الأخبار ومشاهدة المقاطع والجلوس مع الأصدقاء، ثم لا تجد دقائق للاتصال بأختك أو الاطمئنان على أخيك؟ ليست صلة الرحم دائما بحاجة إلى ساعات طويلة، فقد تكون رسالة صادقة أو اتصال قصير سببا في إدخال السرور على قلب قريب اشتاق إلى سماع صوتك.

يا طالب الطريق، إذا كان أخوك فقيرا وأنت ميسور الحال، فلا تتعامل معه كأنه غريب عنك. لا تنتظر حتى يضطر إلى سؤالك، بل تفقّد أحواله، وانظر كيف تستطيع مساعدته مع حفظ كرامته. إذا أعطيته شيئا، فلا تمُنّ عليه، ولا تحدث الناس بفقره وحاجته. فإن

من أقبح التصرفات أن يساعد الإنسان أخاه بيد، ثم يجرح كرامته بلسانه.

لا تنس أخواتك بعد زواجهن. فبعض الرجال إذا تزوجت أخته اعتبر أن مسؤولية السؤال عنها انتهت، وأن زوجها أصبح وحده المعني بأحوالها. يا أخي، أختك تبقى أختك ما دمت حيا، ولها حق الرحم، وقد تحتاج إلى نصيحتك أو مساعدتك أو وقوفك إلى جانبها. فلا تجعل الزواج يقطع علاقة بدأت منذ الطفولة، ولا تجعلها تشعر أنها فقدت إخوتها بمجرد انتقالها إلى بيت زوجها.

ويا أيتها الأخت، لا تجعلي علاقتك بإخوتك قائمة على مقدار ما يقدمونه لك من مال وهدايا ومساعدات. فقد يكون أخوك فقيرا

أو مثقلا بالمسؤوليات، فلا تقارنيه بإخوة صديقاتك، ولا تفسري قلة عطائه على أنها قلة محبة. حافظي على المودة، وقدّري ظروفه، وكوني له أختا رحيمة لا مصدرا إضافيا للضغط والعتاب.

من أسباب فساد العلاقات بين الإخوة تدخل الزوجات والأزواج بطريقة غير حكيمة. فقد يقع خلاف بسيط بين أخوين، فتزيده زوجة أحدهما اشتعالا، أو تنقل أخت كلاما إلى زوجها فيتحول الخلاف إلى خصومة بين عائلتين. يا سالك الطريق، لا تسمح لأحد أن يدفعك إلى ظلم أخيك أو قطع رحمك بغير حق، وفي الوقت نفسه لا تظلم شريك حياتك لإرضاء إخوتك. أعط كل ذي حق

حقه، واستمع إلى الجميع بإنصاف، ولا تجعل صلة الرحم ذريعة للسكوت عن الظلم.

احذر من المقارنات بين الإخوة. لا تقل لأخيك لتكسر قلبه: أنا أنجح منك، أو أنا أغنى منك، أو أنا الذي تحملت مسؤولية والدينا وأنت لم تفعل شيئا. ولا تقل لأختك لتكسر قلبها: فلانة أفضل منك، أو أكثر برا، أو أكثر نجاحا. فقد تكون هذه الكلمات أشد إيلاما من الخصومة نفسها. إن الأخوة ليست مسابقة يتفاخر فيها بعضنا على بعض، بل رابطة ينبغي أن يسودها التراحم والتعاون.

يا سالك الطريق، إذا وقع خلاف بينك وبين أخيك، فلا تسارع إلى كشف أسراره أو التشهير به أمام الأقارب. لقد عرفته سنوات

طويلة، وعرفت من خصوصياته ما لا يعرفه غيرك، فلا تجعل هذه المعرفة سلاحا ضده عند الغضب. فإن الأخ الكريم يحفظ أسرار أخيه حتى عند الخصومة، ولا ينسى سنوات المودة بسبب حادثة واحدة. أما إذا احتجت إلى بيان ما وقع لدفع ظلم أو استرداد حق، فليكن ذلك بالقدر الذي تدعو إليه الحاجة.

من أعظم المصائب أن يموت الأب أو الأم، فيتحول اجتماع الإخوة من مجلس دعاء وترحم إلى معركة على المال والعقارات. هذا يريد البيت، وذاك يريد الأرض، وثالث يخفي بعض الأموال، ورابع يماطل في إعطاء الحقوق. يا طالب الطريق، اتق الله في الميراث. فإنه ليس

غنيمة للأقوى ولا مكافأة للأكثر نفوذا، بل حقوق حدد الشرع أنصبة أصحابها، فلا يجوز الاعتداء عليها.

يا مَن استوليت على ميراث أختك بحجة أنها متزوجة ولا تحتاج إلى المال، اتق الله. ويا مَن تمنع أخاك الضعيف من نصيبه لأنك الأكبر سنا أو لأن العقار مسجل باسمك، اتق الله. ليس من حقك أن تغير أنصبة الميراث بحسب رغباتك أو عادات عائلتك. فلا تجعل المال الحرام يدخل بيتك على حساب دموع إخوتك وأخواتك.

من الأخطاء أن يقول أحد الإخوة: أنا خدمت أبي وأمي سنوات طويلة، ولذلك أستحق أن آخذ من الميراث أكثر من غيري. إن بر الوالدين لا يبيح للإنسان أن يزيد نصيبه من التركة بغير حق شرعي.

وإذا كانت له حقوق مالية ثابتة أو ترتيبات معتبرة، فتعالج وفق أحكام الشرع. أما أن يجعل خدمته لوالديه ذريعة لحرمان إخوته وأخواته، فهذا باب خطير من أبواب الظلم.

يا سالك الطريق، إذا اختلفتم على الميراث، فلا تجعلوا الغضب والاتهامات هي الوسيلة لحل النزاع. ارجعوا إلى أهل العلم الموثوقين لمعرفة الأحكام الشرعية، وإلى أهل الاختصاص لحفظ الحقوق وتوثيقها، واستعينوا بمن يُصلح بينكم بالعدل. ولا تُكرهوا أحدا على توقيع تنازل لا يفهمه أو لا يرضى به، ولا تستغلوا ضعف كبير في السن أو حاجة امرأة أو جهل أحد الورثة. فالصلح الجميل لا يقوم على ظلم الضعيف لإرضاء القوي.

احذر أن تنقل خصومتك مع أخيك إلى أولادك. لا تجلس أمامهم تسب عمهم أو عمتهم، ولا تُلقّنهم أن أبناء عمومتهم أعداء لهم. فقد يقع خلاف بينك وبين أخيك اليوم، ثم تتصالحان بعد سنوات، ولكن أولادكما يكونون قد كبروا على الكراهية والجفاء. لا تجعل أبناءك يدفعون ثمن خلاف لم يشاركوا فيه، ولا تحرمهم من معرفة أقاربهم لمجرد أنك غاضب.

ويا أيتها الأمّ، لا تزرعي في قلب أولادك الحقد على إخوة زوجك أو أخواته بسبب خلافاتك معهم. ويا أيها الأب، لا تجعل أبناءك يكرهون أخوالهم وخالاتهم لأنك مختلف مع أهل زوجتك. إن الطفل لا يولد وهو يحمل ضغينة على عمه أو خاله، ولكن قد يتعلّمها من

كلام والديه. فاحذروا أن تُحوّلوا الخصومات العائلية إلى ميراث نفسي تتناقله الأجيال.

يا سالك الطريق، إذا كان أخوك شديد الطباع، سريع الغضب، كثير الانتقاد، فلا تجعل أول حل عندك هو القطيعة التامة. حاول أن تتعامل معه بحكمة، وأن تختار الأوقات المناسبة للزيارة والكلام، وأن تقلل أسباب الاحتكاك. وقد تكون صلة الرحم بالاتصال والسؤال والمساعدة أنسب من كثرة الاجتماعات التي تتكرر فيها المشكلات. وليس المطلوب أن تُعرّض نفسك أو أولادك للأذى المستمر، بل أن تحفظ حق الرحم بالقدر المشروع والممكن.

إذا نجح أخوك في تجارته، أو اشترى بيتا، أو رزقه الله مالا، أو نال منصبا، فلا تجعل نجاحه سببا للحسد والضيق. وإذا تزوجت أختك زواجا طيبا، أو نجح أولادها، فافرح لها. ومن المؤلم أن يكون بعض الناس أسعد بنجاح أصدقائهم من نجاح إخوتهم. يا أخي، الخير الذي وصل إلى أخيك ليس اعتداء على نصيبك، فلا تسمح للمقارنات أن تفسد قلبك.

لا تجعل رعاية الوالدين المسنين سببا للعداوة بين الإخوة. فقد يتحمل أحدهم معظم المسؤولية، بينما يقصر آخرون، فتبدأ الشكاوى والاتهامات. اجلسوا وتفاهموا على توزيع المسؤوليات بحسب القدرة والظروف، مع مراعاة ما يجب على كل واحد شرعا.

فمنكم من يستطيع الزيارة، ومنكم من يستطيع المساعدة المالية، ومنكم من يستطيع قضاء الحاجات. ولا تتركوا أخا واحدا أو أختا واحدة يتحمل العبء كله، ثم تلومونه إذا تعب.

يا سالك الطريق، لا تظن أن أخاك الذي لا يتصل بك لا يحبك بالضرورة. فقد يكون غارقا في الديون، أو يمر بمشكلة زوجية، أو يعاني من مرض، أو يعيش ضغوطا لا يخبرك بها. فلا تسارع إلى تفسير ابتعاده بأنه تكبر أو جفاء. بادر بالسؤال، فقد تكتشف أن أخاك لم يكن محتاجا إلى عتابك، بل كان محتاجا إلى رحمتك ومساعدتك.

إذا أخطأت في حق أخيك أو أختك، فلا تجعل الكِبر يمنعك من الاعتذار. لا تقل: أنا الأكبر سنا، أو أنا صاحب المكانة، أو هو الذي ينبغي أن يبدأ. فإن الاعتذار عن الخطأ لا ينقص من كرامتك. وإذا اعتذر إليك أخوك، فلا تستغل اعتذاره لإذلاله أو تذكيره بكل أخطائه القديمة. افتح باب الإصلاح، ولا تجعل الخصومة سجنا تعيش فيه العائلة كلها.

يا سالك الطريق، لا تنتظر موت أحد إخوتك حتى تتذكر أيام الطفولة وتبكي على الصور القديمة. كم من أخ مات ولم يكن أخوه قد زاره منذ سنوات. وكم من أخت رحلت وفي قلبها حسرة لأنها كانت تنتظر اتصالا لم يأت. بادر اليوم، فإنك لا تعرف من سيرحل

أولا. قد تكون مكالمة واحدة بداية إصلاح علاقة طال جفاؤها، وقد يكون اعتذار صغير سببا في إنهاء خصومة كبيرة.

يا سالك الطريق إلى الله، اسأل نفسك الليلة: متى كانت آخر مرة زرت فيها أخاك؟ ومتى اتصلت بأختك لتطمئن على حالها دون أن تكون لك مصلحة؟ هل تعرف أحوال أولاد إخوتك وأخواتك؟ وهل يشعرون أنك قريب منهم؟ لا تجعل صلة الرحم مجرد كلمات تسمعها في المواعظ، بل اجعل لها نصيبا حقيقيا من وقتك وحياتك.

إذا كان بينك وبين أحد إخوتك خلاف قديم، فلا تنتظر أن يمحو الزمن آثاره وحده. حاول أن تبدأ بالإصلاح، ولو برسالة قصيرة تقول فيها إنك لا تريد استمرار الجفاء. وليس معنى الإصلاح أن

تتنازل عن حق ثابت، أو تقبل ظلما، بل أن تفصل بين المطالبة بالحق وبين الحقد والعداوة. فقد تستطيع أن تختلف مع أخيك في قضية مالية دون أن تتحول العلاقة بينكما إلى حرب.

يا مَن تخاصمت مع إخوتك على الميراث، تذكر أن المال الذي تتنازعون عليه تركه إنسان رحل عن الدنيا، وأنكم سترحلون يوما وتتركون ما جمعتموه. فهل يستحق بيت أو أرض أو مبلغ من المال أن تخسروا من أجله إخوتكم وأخواتكم وأبناءهم؟ خذ حقك المشروع، وأعط غيرك حقه، ولا تجعل الطمع يجر عليك الظلم وقطيعة الرحم. فالحقوق لا تُحفَظ بالاعتداء على حقوق الآخرين.

يا سالك الطريق، علّم أولادك أسماء أعمامهم وعماتهم وأخوالهم وخالاتهم، وشجعهم على التواصل معهم. ولا تجعلهم يحفظون قصص العداوة أكثر مما يحفظون ذكريات المحبة. فإن من أجمل ما تتركه لأبنائك عائلة متراحمة، يعرف أفرادها بعضهم ويعين بعضهم بعضا، ولو اختلفت ظروفهم وأماكن إقامتهم.

وأخيرا، يا سالك الطريق إلى الله، لا تجعل أخاك الذي شاركك رحم أمك يصبح غريبا عنك، ولا تجعل أختك التي نشأت معك تنتظر سنوات لتسمع صوتك، ولا تجعل الميراث الذي تركه والداك سببا في تمزيق الأسرة التي تعبا في تربيتها. أصلح ما استطعت، وصل من قطعك، وأنصف من اختلف معك، واحفظ حقوق الضعفاء، ولا

تنقل الأحقاد إلى أولادك. واعلم أن صلة الرحم ليست مجرد عادة اجتماعية، بل عبادة عظيمة من العبادات التي ينبغي أن يعتني بها طالب القرب من الله.

نسأل الله أن يؤلف بين قلوب الإخوة والأخوات، وأن يصلح ذات بينِهم، وأن يطهر قلوبهم من الحسد والضغينة، وأن يجعل بيوتهم عامرة بالمحبة والرحمة وصلة الأرحام.

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل أرحامه وأقاربه؟

يا طالب الطريق إلى الله، قد تكون محبوبا بين إخوانك في مجالس العلم والذكر، ويُثني الناس على أخلاقك وحسن معاملتك، ولكن كيف أنت مع أرحامك وأقاربك؟ هل تزورهم وتسأل عنهم؟ هل تشاركهم أفراحهم وتواسيهم في أحزانهم؟ أم أنك منذ بدأت تسلك الطريق إلى الله أصبحت بعيدا عنهم، قليل الزيارة، لا تجالسهم ولا تسأل عن أحوالهم؟

من الأخطاء التي يقع فيها بعض السالكين أنهم إذا وجدوا أقاربهم مقصرين في الطاعة، أو بعيدين عن مجالس العلم، أو غير متقبلين للنصيحة، بدؤوا بالابتعاد عنهم شيئا فشيئا، حتى تنقطع الزيارات

وتضعف العلاقات. وربما ظن أحدهم أنه بهذا يحافظ على دينه، مع أن بإمكانه في كثير من الأحوال أن يحفظ دينه، ويصل رحمه، ويدعو إلى الله بحكمة في الوقت نفسه.

وقد يكون بعض أقاربك يحملون تصورا خاطئا عن أهل التديّن والسلوك، فيظنون أن المتديّن إنسان متشدد، معقّد، منعزل عن المجتمع، لا يعرف المِزاح ولا حسن المعاشرة، ولا يُجيد التعامل مع الناس. وربما تكون أنت أول شخص ملتزم يعرفونه عن قرب، فتكون أخلاقك ومعاملتك سببا في تصحيح هذه الصورة أو ترسيخها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا». رواه البخاري. فتأمل هذا المعنى العظيم. ليس الشأن أن تزور من يزورك فقط، وأن تحسن إلى من يحسن إليك، بل من كمال صلة الرحم أن تصل من يقصر في حقك، وأن تجاهد نفسك على الإحسان.

يا سالك الطريق، لا تجعل محبتك لأقاربك مشروطة بأن يسلكوا الطريق الذي تسلكه، أو أن يحضروا المجالس التي تحضرها، أو أن يقبلوا كل نصيحة تقدمها لهم. فللرحم حق ينبغي أن تراعيه، ولو اختلفت مع أصحابها في بعض الأفكار والتصرفات. واجعل زياراتك ومجالسك فرصة لتأليف القلوب وتصحيح المفاهيم، حتى

يرى أقاربك أن التديّن ليس تخلُّفا ولا تعقيدا، بل علم وحكمة وخلق وكرامة.

إذا بدأت تهتم بالصلاة والذكر وطلب العلم، فلا تجعل ذلك سببا في انقطاعك عن أرحامك وأقاربك. فإن صلة الرحم نفسها من طاعة الله، وليست أمرا ثانويا خارجا عن طريق السلوك. فكيف تطلب القرب من الله بالنوافل، ثم تهمل حقا عظيما أمر الله به؟ اجعل لزيارة أقاربك والسؤال عنهم نصيبا من وقتك، واحتسب ذلك من عبادتك.

قد تتلطف مع الغرباء، وتزور أصدقاءك، وتشاركهم مناسباتهم، ثم لا تكاد تسأل عن عمك أو عمتك أو خالك أو خالتك. يا أخي،

هؤلاء أرحامك، ولهم عليك حق الصلة والإحسان. فلا تجعل المسافات النفسية بينك وبينهم أكبر من المسافات الجغرافية. وقد تكون زيارة قصيرة منك سببا في فرح كبير يدخل قلوبهم.

قد تنصح قريبا لك بالمحافظة على الصلاة، أو ترك معصية، فلا يستجيب لك، وربما يضيق صدره من كلامك. فهل يكون الحل أن تقاطعه وتبتعد عنه؟ ليس بالضرورة. ربما كانت صلتك به، وإحسانك إليه، وصبرك عليه، أنفع من تكرار النصيحة. فابق قريبا منه ما استطعت، مع المحافظة على دينك واجتناب مشاركته في المعصية، ولا تجعل رفضه للنصيحة سببا تِلقائيا لقطع الرحم.

قد تتحدث مع قريبك سنوات عن أهمية التديّن، فلا يتأثر بكلامك، ثم يراك يوما تساعد محتاجا، أو تواسي مريضا، أو تتعامل بحكمة في موقف صعب، فيبدأ بالنظر إليك نظرة مختلفة. وربما يقول في نفسه: لم أكن أظن أن أهل التديّن بهذه الأخلاق. فاحرص على أن تكون معاملتك شاهدا على صدق دعوتك، لا سببا في نفور الناس منها.

بعض الناس يظنون أن سالك الطريق إنسان غريب الأطوار، متجهم الوجه، لا يعرف إلا الانتقاد والتحريم، ولا يستطيع أن يعيش مع الناس حياة طبيعية. فإذا زرت أقاربك، فكن بشوشا، لطيفا، حاضر الذهن، حسن الحديث، تعرف كيف تمازحهم مزاحا مباحا، وكيف

تناقشهم بعقل وحكمة. دعهم يرون أن التديّن لا يمنع الذكاء ولا حسن المعاشرة، بل ينبغي أن يزيد صاحبه أدبا واتّزانا.

يا طالب الطريق، إذا زرت أقاربك فلا تجعل كل لقاء معهم درسا طويلا في الحلال والحرام. اجلس معهم، واسأل عن أحوالهم، واستمع إلى أخبارهم، وشاركهم أحاديثهم المباحة، وأدخل السرور إلى قلوبهم. وإذا جاءت مناسبة للنصيحة فتكلم بحكمة واختصار، مع مراعاة ما يجب عليك شرعا من البيان. فإن بعض الناس يحتاج أولا إلى أن يألفك ويطمئن إليك قبل أن يصبح مستعدا للاستماع إلى توجيهك.

قد يكون لك قريب لا يزورك، ولا يتصل بك، وربما لا يُظهر اهتماما بك، فتقول: لماذا أزوره وهو لا يزورني؟ يا أخي، تذكر أن صلة الرحم ليست تجارة تقوم على تبادل الزيارات. بادر بالسؤال عنه، وأرسل إليه كلمة طيبة، وشاركه أفراحه وأحزانه. فقد يكون سبب ابتعاده سوء فهم، أو مشاغل، أو ظروفا لا تعرفها.

قد يكون قريبك لا يعرف كثيرا من أحكام الدين، أو يحمل أفكارا خاطئة، أو يتكلم في مسائل لا يحسنها. فلا تنظر إليه باستعلاء، ولا تجعله يشعر أنك أصبحت أفضل منه لأنك حضرت مجالس العلم وقرأت الكتب. يا أخي، العلم الذي لا يزيد صاحبه تواضعا

يحتاج صاحبه إلى مراجعة نفسه. علّمه برفق ما تعلّمه من أحكام الدين، ولا تحرجه أمام الآخرين.

قد تختلف مع أقاربك في بعض العادات أو الآراء أو طرق التفكير، وقد لا يعجبهم أسلوب حياتك أو اهتمامك بالدين. فلا تحوّل كل اختلاف إلى خصومة، ولا تدخل معهم في جدال عند كل لقاء. ميّز بين ما يجب عليك بيانه من أحكام الدين، وبين الأمور التي يسع فيها الاختلاف. فإن حسن العشرة لا يشترط اتفاق الناس في كل شيء.

يا أخي، لا تجعل وجودك عبئا على أقاربك. كن لطيفا، واسع الصدر، تعرف متى تتكلم ومتى تسكت، ومتى تنصح ومتى تتجاوز

عما يجوز تجاوزه. فإن الناس يألفون صاحب الخلق الحسن ويأنسون بصحبته.

إذا تزوج قريبك فهنئه، وإذا رزق بمولود فبارك له، وإذا مرض فعُده، وإذا أصابته مصيبة فواسه، وإذا احتاج إلى مساعدة فكن من المبادرين إليها. لا تجعل علاقتك بأرحامك مقتصرة على دعوتهم إلى حضور الدروس والمجالس. اجعلهم يشعرون أنك تحبهم وتحرص عليهم، وأنك تقف إلى جانبهم في شؤون حياتهم، لا أنك لا تتذكرهم إلا عندما تريد نُصحهم.

قد يوفقك الله إلى صحبة الصالحين وطلب العلم ومجاهدة النفس، فتبدأ بالنظر إلى أقاربك نظرة استعلاء، وكأنك وصلت إلى مرتبة لا

يستطيعون بلوغها. يا أخي، احذر العُجب والكِبر. احمد الله على ما وفقك إليه، وادع لأقاربك بالخير، وتذكر أن العبرة بالخاتمة.

قد تختلف مع بعض أقاربك، فتكثر من ذمهم أمام زوجتك وأولادك، حتى تنشأ في قلوبهم الكراهية والضغينة. يا أخي، لا تورث أبناءك خصوماتك، ولا تجعل الخلافات الشخصية سببا في تمزيق الروابط العائلية. علمهم صلة الرحم وحسن الأدب، مع حمايتهم من الأذى وتوضيح الحدود اللازمة إذا وجد ظلم أو ضرر.

قد يكون قريبك اليوم بعيدا عن الطاعة، لا يحب سماع النصيحة، وربما يسخر من بعض مظاهر التديّن، ولكنك لا تدري كيف سيكون حاله بعد سنة أو عشر سنوات. كم من إنسان تغيرت نظرته

إلى الدين بسبب موقف كريم أو معاملة حسنة. فلا تيأس من أقاربك، ولا تحكم عليهم بأنهم لن يتغيروا، بل استمر في الإحسان والدعاء والنصح بالحكمة.

إذا كنت كلما زرت أقاربك اشتكيت من الناس، وانتقدت المجتمع، وتحدثت بحدّة عن المعاصي، فقد يظنون أن التديّن لا يجلب لصاحبه إلا الضيق والتوتر. يا طالب الطريق، أظهر لهم ما في الطاعة من طمأنينة ورضا وحسن خلُق، دون أن تُخفي الأحكام الشرعية. دعهم يرون أنك إنسان متّزن، راض بما قسم الله لك، يحسن التعامل مع الحياة ومشكلاتها.

قد يحتاج قريبك إلى مساعدة في عمل، أو نصيحة في أمر دنيوي، أو من يقف معه في أزمة. فلا تقل: هو لا يحضر مجالس العلم، فلماذا أساعده؟ بل أحسن إليه ابتغاء مرضاة الله وصلة للرحم. وربما كان إحسانك إليه سببا في انفتاح قلبه لكلامك بعد أن كان ينفر منه. ولكن لا تجعل مساعدتك مشروطة بأن يستجيب لدعوتك، ولا تعنه على معصية.

قد تهتم بالأقارب الذين تراهم باستمرار، وتنسى من يعيشون في مدينة أخرى أو بلد بعيد. يا أخي، وسائل الاتصال اليوم كثيرة، فلا تجعل البعد الجغرافي سببا في النسيان. اتصل، وأرسل رسالة، واسأل عن المريض والكبير في السن، وهنئ في المناسبات المشروعة. فصلة

الرحم تكون بحسب القدرة والعرف والحاجة، وليست محصورة في الزيارة المباشرة.

يا طالب الطريق إلى الله، قد تكون صلتك لأرحامك من أنفع أعمالك الدعوية. فإنهم حين يرونك متواضعا، كريما، ذكيا، حسن المعاشرة، صبورا على الأذى، محبا للخير، قد تتغير نظرتهم إلى أهل التديّن والسلوك. وربما يصبحون أكثر استعدادا لحضور مجالس العلم والاستماع إلى النصيحة. فلا تستهن بأثر الأخلاق، فإنها قد تفتح من القلوب ما لا تفتحه كثرة الكلام.

يا سالك الطريق، راجع نفسك واسألها: كم قريبا لك لم تزره منذ أشهر أو سنوات؟ وكم واحدا ابتعدت عنه لأنه لا يقبل نصيحتك؟

وكم قريبا يحمل عنك وعن أهل التديّن صورة خاطئة لم تحاول تصحيحها بحسن المعاملة؟ قد تجد أن أمامك بابا عظيما من أبواب الخير أهملته وأنت منشغل بأعمال أخرى.

ابدأ من اليوم. اتصل بقريب انقطعت عنه، وزر من تستطيع زيارته، واسأل عن مريض، وهنئ من أصابته نعمة، وواس من نزلت به مصيبة. ولا تجعل كل اتصال دعوة إلى درس أو موعظة، بل اجعلهم يشعرون بمحبتك الصادقة وحرصك على صلة الرحم. فإن القلوب قد تنفتح بالإحسان قبل أن تنفتح بالكلام.

يا سالك الطريق إلى الله، لا تكن سببا في أن يقول أقاربك: منذ أصبح متديّنا تغير علينا، وابتعد عنا، وصار لا يزورنا ولا يجالسنا.

بل اجتهد أن يقولوا: منذ بدأ يسلك الطريق إلى الله أصبح أرحم بنا، وأحسن خلقا، وأكثر تواضعا، وأشد حرصا على صلتنا. فهذه شهادة طيبة على أثر الطاعة في حياتك.

تذكر أن أرحامك وأقاربك قد يكونون من أقرب الناس إليك نسبا، ولكنهم يحتاجون أحيانا إلى أن تقترب منهم قلبا ومعاملة. فلا تجعل اختلافك معهم في بعض الأمور سببا في القطيعة، ولا تجعل تقصيرهم في الدين سببا في احتقارهم، ولا تجعل انشغالك بالدعوة إلى الغرباء ينسيك حق أقاربك.

يا سالك الطريق إلى الله، كن قريبا من أرحامك، رحيما بضعيفهم، مُوقّرا لكبيرهم، لطيفا مع صغيرهم، صبورا على جاهلهم، معينا

لمحتاجهم، حكيما في نصيحة مقصرهم. واجعلهم يرون فيك أن التديّن ليس تعقيدا، ولا جفاء، ولا عزلة عن الناس، بل علم وعقل وحكمة وذكاء وفطنة، مع رحمة وتواضع وحسن خلق. فقد تكون صلتك لقريب لا يقبل نصيحتك اليوم سببا في أن يصبح غدا من أحب الناس إلى مجالس العلم والطاعة.

أسأل الله أن يُصلح أحوال أرحامك وأقاربك، وأن يؤلف بين قلوبكم، وأن يُزيل ما بينكم من خصومات وسوء فهم، وأن يجعل زياراتكم ومجالسكم سببا في المحبة والخير، وأن يرزقك الحكمة في دعوتهم، والصبر على أخطائهم، والرحمة بهم، وأن يجعل حسن أخلاقك سببا في إقبالهم على طاعته.

سالك الطريق إلى الله وسالكة الطريق... كيف يعامل كل منهما أهل شريك حياته؟

يا سالك الطريق إلى الله، ويا سالكة الطريق، من المواقف التي تظهر فيها حقيقة الأخلاق طريقة التعامل مع أهل الزوج وأهل الزوجة. قد يحسن الإنسان معاملة الغرباء، ويظهر الأدب في المجالس، ولكنه إذا تعلق الأمر بحماته أو حميه أو إخوة شريك حياته، تغيرت طباعه، وكثرت شكواه، وضاق صدره. وهنا يظهر أثر مجاهدة النفس وحسن التربية.

الزواج لا يعني ارتباط رجل بامرأة فحسب، بل تنشأ بسببه علاقات جديدة بين عائلتين، وقد تكون هذه العلاقات سببا في المودة

والتعاون، وقد تتحول بسبب سوء التصرف إلى خصومات تستمر سنوات. والعاقل لا يدخل الحياة الزوجية بعقلية المنافسة بين أهله وأهل شريك حياته، بل يسعى إلى حفظ الحقوق وإقامة العلاقات على الإحسان والعدل.

من الخطإ أن يدخل الزوج أو الزوجة الحياة الزوجية وهو يحمل فكرة مسبقة أن أهل الطرف الآخر خصوم ينبغي الحذر منهم. فبعض النساء ينظرن إلى الحماة كأنها عدوة قبل أن يعرفنها، وبعض الرجال يتعاملون مع أهل الزوجة وكأنهم عبء ثقيل. وهذه الأفكار المسبقة قد تفسد علاقات كان يمكن أن تكون جميلة لو بدأت بحسن الظن والاحترام.

يا سالك الطريق، تذكر أن أم زوجتك هي المرأة التي حملتها وربتها وسهرت عليها حتى أصبحت شريكة حياتك. فلا تجعلها تشعر أنك أخذت ابنتها لتقطعها عنها، ولا تعاملها بجفاء لمجرد أنها تسأل عن أحوال ابنتها. أحسن إليها، وأكرمها، وخاطبها بأدب، فإن احترامك لأم زوجتك من مكارم الأخلاق، ومن أسباب إدخال السرور على قلب زوجتك.

ويا سالكة الطريق، تذكري أن أم زوجك هي المرأة التي حملته وربته وتعبت في سبيله سنوات طويلة. فلا تنظري إليها كأنها تنافسك على محبة زوجك، ولا تجعلي بره بأمه سببا لغيرتك وغضبك. إن محبة الرجل لأمه ليست اعتداء على حق زوجته، كما أن محبته

لزوجته لا ينبغي أن تكون سببا في عقوق أمه. المرأة الحكيمة لا تجعل زوجها يختار بين قلبين لكل منهما حقه ومكانته.

يا أيها الزوج، لا تمنع زوجتك من التواصل مع والديها وأهلها لمجرد أنك لا تحب كثرة الزيارات. لا تجعلها تشعر أن الزواج سجن أبعدها عن أسرتها، ولا تستغل مكانتك كزوج لإذلالها أو حملها على قطع رحمها. نظموا الزيارات بالتفاهم ومراعاة الحقوق والظروف، فإن الزوجة التي تطمئن إلى أنك تحترم أهلها يزداد شعورها بالأمان معك.

ويا أيتها الزوجة، لا تجعلي زيارة زوجك لوالديه مشكلة تتكرر كل أسبوع. لا تغضبي كلما أراد الاطمئنان على أمه أو مساعدة أبيه، ولا تطلبي منه أن يهجر أهله لإثبات محبته لك. إذا كانت هناك

مشكلة حقيقية أو تدخلات مؤذية، فناقشيها معه بهدوء. فهناك فرق كبير بين المطالبة بحقوقك وبين منعه من أداء حقوق والديه.

يا سالك الطريق، إذا وقع خلاف بين زوجتك وأمك، فلا تكن ظالما لإحداهما. لا تنصر أمك على الباطل لأنها أمك، ولا تنصر زوجتك على الباطل لأنها زوجتك. استمع إلى الطرفين، وتثبت من الحقيقة، ثم أعط كل ذي حق حقه. فالبر بالأم لا يبيح ظلم الزوجة، ومحبة الزوجة لا تبيح عقوق الأم. والعدل هنا يحتاج إلى شجاعة وحكمة.

ويا سالكة الطريق، إذا وقع خلاف بين زوجك وأهلك، فلا تسارعي إلى اعتبار زوجك عدوا لعائلتك، ولا تجعلي أهلك دائما على حق

مهما فعلوا. فقد يخطئ زوجك، وقد يخطئ أهلك، وينبغي أن تنظري إلى الأمور بإنصاف. لا تسمحي لأحد أن يظلم زوجك، كما لا تقبلي منه أن يظلم أهلك. فالوفاء الحقيقي لا يعني الدفاع عن الخطإ.

من الأخطاء التي تهدم البيوت أن ينقل الزوج كل خلاف بينه وبين زوجته إلى أمه وأبيه، أو تنقل الزوجة كل مشكلة بينها وبين زوجها إلى أهلها. فقد تنتهي المشكلة بين الزوجين بعد ساعة، ولكن آثارها تبقى في قلوب الأهل شهورا أو سنوات. احفظوا أسرار بيوتكم، ولا تدخلوا العائلتين في كل خلاف عابر. أما إذا وجد ظلم أو ضرر،

أو احتجتم إلى إصلاح أو مشورة، فلا حرج في الاستعانة بمن يرجى منه النفع، مع الاقتصار على ما تدعو إليه الحاجة.

يا أيها الزوج، لا تسمح لأهلك أن يُهينوا زوجتك أو يسخروا منها أو من عائلتها. وإذا وقع ذلك، فدافع عن كرامتها بالأدب والحكمة، دون أن تتطاول على والديك. لا تقل لزوجتك: تحمّلي كل شيء لأن هذه أمي. فبِرك بأمك واجب عليك، ولكنه لا يعطي أحدا حق ظلم زوجتك. ومن حسن تدبير شؤون الأسرة أن تحفظ الحقوق دون أن تُثير الخصومات.

ويا أيتها الزوجة، لا تسمحي لأهلك أن يحتقروا زوجك بسبب قلة ماله أو مهنته أو مستواه الدراسي أو أصله. ولا تشاركيهم في

السخرية منه، فإن كرامة زوجك ليست أمرا هينا. وإذا صدر من أهلك كلام جارح، فحاولي إيقافه بالحكمة، ولا تجعلي زوجك يشعر أنه غريب غير محترم بين أهلك.

يا طالب الطريق، ليس من الحكمة أن تطلب من زوجتك أن تحب أمك كما تحب أمها، أو أن تعامل إخوتك كما تعامل إخوتها في كل شيء. فالمحبة القلبية لا تُفرض بالأوامر، والعلاقات تحتاج إلى وقت حتى تنمو. شجعها على الاحترام وحسن المعاملة، واعمل على تقوية المودة دون إكراه أو مقارنة مستمرة. وكذلك أنتَ، لا يلزم أن تكون مشاعرك تجاه أهل زوجتك مطابقة لمشاعرك تجاه أهلك.

ويا سالكة الطريق، اعلمي أن حسن معاملتك لأهل زوجك لا يعني أنك أصبحت خادمة لهم. فليست خدمة والدي زوجك واجبة عليك لمجرد الزواج من ابنهما، وإن كان الإحسان إليهما ومساعدتهما من مكارم الأخلاق. يمكنك أن تزوريهم، وتساعديهم، وتكرميهم بما تستطيعين، دون أن تتحملي ما لا تطيقين. ومن الحكمة أن يتفاهم الزوجان على ما يناسبهما من الزيارات والمساعدات، مع المحافظة على الأدب والاحترام.

يا أيها الزوج، إذا كانت زوجتك تحسن إلى أمك وأبيك، وتزورهما، وتساعدهما، فلا تتعامل مع ذلك وكأنه أمر لا يستحق الشكر. قدّر إحسانها، وأثن عليها، ولا تزد مطالبك كلما زاد عطاؤها. فإن بعض

الناس إذا وجدوا من يحسن إليهم اعتادوا إحسانه حتى صاروا يغضبون إذا عجز يوما عن مواصلته. ومن الوفاء أن تعرف قيمة المعروف قبل أن ينقطع.

ويا أيتها الزوجة، إذا كان زوجك يحسن إلى والديك، ويساعدهما، ويزورهما، ويكرمهما، فلا تستهيني بهذا المعروف. اشكريه، ولا تجعلي إحسانه سببا لمطالب مُتزايدة باستمرار. فالزوج الذي يُكرم أهل زوجته يستحق التقدير، كما أن الزوجة التي تُكرم أهل زوجها تستحق التقدير. والاعتراف بالجميل يزيد المودة بين الزوجين.

من أسباب المشكلات الزوجية أن تتدخل أم الزوج أو أم الزوجة في كل تفاصيل البيت: ماذا يشتريان؟ وأين يسكنان؟ وكيف ينفقان

المال؟ وكيف يربيان الأولاد؟ وقد تكون النصيحة نافعة، ولكن القرار في شؤون الحياة الزوجية ينبغي أن يراعي حقوق الزوجين ومسؤولياتهما. استمعوا إلى النصيحة باحترام، ولكن لا تسمحوا بتحويل بيتكم إلى ساحة تتنازعها آراء العائلتين.

يا سالك الطريق، لا تقارن زوجتك بأمك باستمرار، فتقول لها: أمي تطبخ أفضل منك، وأمي كانت تتحمل أكثر منك، وأمي لم تكن تطلب ما تطلبينه. ويا سالكة الطريق، لا تقارني زوجك بأبيك فتقولي: أبي كان يُنفق أكثر، وأبي كان يفعل كذا وكذا. فإن المقارنات المتكررة تجرح القلوب، ولكل إنسان ظروفه وقدراته وطباعه. تناصحا بالمعروف دون تحقير أو إهانة.

إذا كانت أمّ الزوج أو أمّ الزوجة كثيرة التدخل أو صعبة الطباع، فلا تجعلوا الحل الأول هو القطيعة. حاولوا تنظيم العلاقة، وتقليل أسباب الاحتكاك، ووضع حدود واضحة بأسلوب حسن. فقد تكون الزيارات القصيرة الهادئة أفضل من الزيارات الطويلة المليئة بالمشكلات. ليس من الضروري أن يعرف الأهل كل تفاصيل حياتكم حتى تبقى العلاقة طيبة، ولا يلزم من تقليل الاختلاط قطع العلاقة أو ترك الحقوق الواجبة.

يا أيها الزوج، لا تجعل زوجتك تتحمل وحدها مشكلات علاقتها بأهلك، ثم تقف متفرجا وتقول: دبروا أموركم بينكم. فأنت أقدر على مخاطبة والديك وإخوتك بالأسلوب المناسب، وعليك أن

تسعى إلى الإصلاح دون ظلم. ويا أيتها الزوجة، إذا كانت المشكلة مع أهلك، فكوني أنت أيضا عونا على حلها. فكل واحد منكما مسؤول عن المساهمة في حماية بيته من الخصومات العائلية.

إذا أساء إليك أحد أهل شريك حياتك، فلا تجعل إساءته سببا لإهانة العائلة كلها. لا تقل: أهلك جميعا سيئون. ولا تقولي: عائلتك كلها لا خير فيها. فكل إنسان مسؤول عن تصرفاته، وليس من العدل أن يحمل الأبناء أخطاء الآباء، أو الإخوة أخطاء بعضهم. عالجوا المشكلة مع صاحبها، ولا توسعوا دائرة الخصومة.

لا تنتظروا حتى تقع الخصومات الكبيرة لتتعلّموا حسن التعامل مع الأصهار. ابدؤوا من اليوم بكلمة طيبة، أو زيارة مناسبة، أو اتصال

للاطمئنان، أو اعتذار عن خطإ سابق. فقد يكون إصلاح العلاقة مع أهل الزوج أو الزوجة سببا في زوال توتر استمر سنوات وأتعب الأسرة كلها.

تذكروا أن أولادكم يراقبون طريقة تعاملكم مع أجدادهم وأعمامهم وأخوالهم. فإذا نشؤوا يسمعون الإهانات والشتائم والخصومات بين العائلتين، تأثرت نفوسهم وتعلّموا سوء المعاملة. أما إذا رأوا الاحترام والعدل وحسن التصرف عند الخلاف، فقد تعلّموا دروسا عظيمة في الأخلاق دون أن تلقوا عليهم محاضرة واحدة.

يا سالك الطريق إلى الله، ويا سالكة الطريق، اجعلا زواجكما جسرا للمودة بين العائلتين، لا سببا للعداوة والقطيعة. أكرما الوالدين،

واحفظا حقوق الزوجين، وأحسنا إلى الأصهار، ولا تسمحا لأحد أن يُحوّل بيتكما إلى مَيدان للصراع. فليس النجاح أن ينتصر الزوج لأهله على زوجته، أو تنتصر الزوجة لأهلها على زوجها، وإنما النجاح أن ينتصر الاثنان للحق والعدل وحسن الخلق.

نسأل الله أن يصلح بيوت المسلمين، وأن يؤلف بين قلوبهم، وأن يرزقهم الحكمة والصبر والمودة والرحمة.

سالك الطريق إلى الله... كيف يعامل إخوانه وأصدقاءه؟

يا سالك الطريق إلى الله، ليست العبرة في حسن معاملتك لمن لا تعرفهم فقط، بل في حسن معاملتك لمن يخالطونك كل يوم، ويعرفون طباعك ونقاط ضعفك. فإن الأخلاق الجميلة لا تظهر بمجرد الكلام عنها، وإنما تظهر أيضا عند الاحتكاك والاختلاف والمواقف الصعبة.

قد تكون لطيفا مع الغرباء، بشوشا مع الزوار، حسن الكلام في المجالس، ولكن السؤال الذي ينبغي أن تطرحه على نفسك هو: كيف أعامل أصدقائي الذين طالت صحبتي لهم؟ هل يجدون مني الرحمة والوفاء، أم يجدون الحساسية والعتاب وكثرة المؤاخذات؟

يا طالب الطريق، لا تظن أن سلوك الطريق إلى الله يعني أن تنشغل بنفسك حتى تنسى إخوانك. فمن تزكية النفس أن تتعلّم كيف تحب، وكيف تصبر، وكيف تعفو، وكيف تكون صديقا صالحا يسعد الناس بصحبته. ليس كل من صلى معك، أو حضر مجالس العلم معك، أو شاركك العمل الدعوي، سيوافقك في طباعك وآرائك. وهنا يبدأ الامتحان الحقيقي: هل تستطيع أن تحفظ المودة مع وجود الاختلاف؟

من أهم ما يحتاج إليه السالك أن يكون وفيا لإخوانه، رحيما بأصدقائه، حكيما عند الخلاف، بعيدا عن الأنانية والخصومات. فإن بعض الناس يخسرون صداقات استمرت سنوات بسبب كلمة

كان يمكن تجاوزها، أو موقف كان يمكن إصلاحه بقليل من الصبر والحكمة.

يا سالك الطريق، لا تجعل صداقتك مبنية على ما تأخذه من صديقك، بل على ما تستطيع أن تقدمه له من خير. فالصديق ليس مصدرا لمصالحك، ولا شخصا تتذكره عند الحاجة وتنساه عند الرخاء. الصداقة الحقيقية مودة ووفاء وتعاون على الخير.

إذا أردت أن تعرف مقام الوفاء في قلبك، فانظر إلى معاملتك لصديق لم يعد يملك ما يقدمه لك. هل بقيت محبتك له كما كانت؟ أم فترت علاقتك به؟ إن الوفاء يظهر عندما تنقطع المصالح وتبقى المودة.

لا تُرِد من صديقك أن يكون نُسخة منك. فقد يكون قليل الكلام وأنت كثير الكلام، وقد يحب العزلة وأنت تحب المخالطة. لا تجعل اختلاف الطباع سببا للجفاء. فالعاقل يعرف كيف يتعايش مع اختلاف النفوس، ما دامت الحدود الشرعية محفوظة.

من أخطاء بعض الأصدقاء أنهم يقيسون المحبة بكثرة الاتصالات والرسائل. فإذا تأخر صديقهم في الرد غضبوا، وإذا لم يسأل عنهم يومين ظنوا أنه تغير. يا أخي، للناس أشغال وهموم ومسؤوليات، فلا تجعل محبتك لهم عبئا عليهم.

لا تعاتب صديقك على كل صغيرة وكبيرة. فكثرة العتاب تتعب القلوب، وقد يصل الإنسان إلى مرحلة يخاف فيها من لقائك لأنه

يتوقع أن يسمع منك قائمة جديدة من المؤاخذات. تغافل عن بعض الأمور، فليست كل هفوة تستحق نقاشا، ولا كل تقصير يحتاج إلى محاسبة.

إذا بلغك أن صديقك تكلم عنك بكلام لا يعجبك، فلا تسارع إلى الغضب وقطع العلاقة. تثبّت أولا مما نُقل إليك، فقد يكون الكلام محرفا أو ناقصا أو فُهم على غير مراده. وكم من صداقة انتهت بسبب ناقل كلام لم يكن أمينا فيما نقل.

يا سالك الطريق، إذا رأيت من أخيك خطأ، فانصحه برفق وفي الوقت المناسب، ولا تجعل نصيحتك فضيحة أمام الناس. فليس من الحكمة أن تكسر قلب أخيك أمام الآخرين ثم تقول: أنا أريد

مصلحته. النصيحة الصادقة تجمع بين إرادة الخير وحسن الأسلوب، مع مراعاة ما يقتضيه الحال من بيان الحق ومنع الضرر.

لا تجعل المزاح مع أصدقائك بابا لإهانتهم. فبعض الناس يسخر من شكل صديقه، أو فقره، أو لهجته، أو عيوبه، فإذا تأذى قال له: كنت أمزح. يا أخي، ليس كل ما يُضحك الناس مباحا، وليس من حسن الصحبة أن تضحك الحاضرين على حساب كرامة أخيك.

من الوفاء أن تحفظ أسرار صديقك، ولو وقع بينكما خلاف شديد. فإن ما ائتمنك عليه في أيام المودة لا يصبح مباحا لك في أيام الخصومة. واحذر أن تكون ممن إذا أحبوا حفظوا الأسرار، وإذا

غضبوا كشفوها. فالأمانة خلُق ثابت لا يتغير بتغير العلاقات، مع مراعاة الحالات التي يجوز أو يجب فيها الإفصاح لدفع ضرر أو أداء حق.

إذا نجح صديقك في عمله، أو نال منصبا، أو رزقه الله مالا، أو أحبه الناس، فافرح له فرحا صادقا. لا تجعل نجاحه يُضيّق صدرك، ولا تقارن نصيبه بنصيبك. إن من جمال الأخوة أن ترى الخير يصل إلى أخيك فتُسرّ به، ولو لم تحصل أنت على مثله.

لا تكن من الذين يختفون عندما تصيب أصدقاءهم المصائب. قد يكون صديقك مريضا، أو مهموما، أو غارقا في الديون، أو يمر بمشكلة عائلية. لا تنتظر منه أن يطلب مساعدتك دائما. بادر

بالسؤال، واعرض ما تستطيع من العون، فقد يكون اتصال منك في وقت الشدة أعظم عنده من عشرات الزيارات في أيام الرخاء.

يا طالب الطريق، إذا اختلفت مع أخيك في رأي اجتهادي أو طريقة عمل، فلا تحوّل الاختلاف إلى معركة لإثبات أنك الأذكى والأفهم. استمع إليه، فقد يكون عنده من الصواب ما غاب عنك. وليس من الضروري أن ينتهي كل نقاش بانتصارك، بل قد يكون انتصارك الحقيقي أن تخرج من النقاش وقد حفظت الحق والمودة معا.

لا تتدخل في خصوصيات أصدقائك بحجة المحبة. لست مطالبا بأن تعرف كل ما يجري في بيوتهم، ولا تفاصيل أموالهم، ولا أسباب خلافاتهم العائلية. وإذا لم يُحدثك صديقك عن أمر يخصه، فلا

تضغط عليه حتى يخبرك. مراعاة الخصوصية من علامات حسن الصحبة.

لا تجعل صداقتك قائمة على السيطرة والتملّك. فليس معنى أن فلانا صديقك أن تمنعه من مصاحبة غيرك، أو تغضب إذا جلس مع غيرك، أو تطلب منه أن يقدمك على جميع الناس. المحبة الصادقة لا تسجن صاحبها، ولا تحوّل الصداقة إلى غَيرة مؤذية ومراقبة مستمرة.

إذا اعتذر إليك صديقك عن خطإ وقع منه، فلا تُذله بتكرار تذكيره بما فعل. إن قبلت اعتذاره، فلا تجعل الخطأ سلاحا تستعمله كلما

اختلفتما. ومن حسن الخلق أن تفتح باب الإصلاح، وألا تبقى أسير حادثة مضت.

يا سالك الطريق، لا تتعامل مع أصدقائك بمنطق الحسابات الدقيقة: زرته ولم يزرني، اتصلت به ولم يتصل بي، أهديته ولم يُهدني، دعوته ولم يدعني. فإن حولت كل علاقة إلى دفتر حسابات، أتعبت نفسك وأتعبت الناس. أحسن ما استطعت، ولا تجعل كل معروف تقدمه دَينا تنتظر سداده.

من الأخطاء التي تفسد الصداقات أن يجتمع بعض الإخوة، فإذا غاب أحدهم جعلوه موضوع حديثهم، يتكلمون عن طباعه وأخطائه وأسراره. ثم إذا حضر استقبلوه بالابتسامات. يا طالب

الطريق، احفظ لسانك في غَيبة أخيك كما تحفظ أدبك في حضوره، ولا ترض له من الكلام ما لا ترضاه لنفسك.

إذا غضب صديقك وتكلم بكلام قاس، فلا تجعل غضبه يُشعل غضبك. قد يكون متعبا، أو مهموما، أو يمر بظروف لا تعرفها. ليس المطلوب أن تقبل الإهانة والظلم، ولكن أن تختار الوقت المناسب للكلام، وألا تزيد النار اشتعالا. وكم من خصومة انتهت لأن أحد الطرفين أحسن ضبط نفسه.

لا تنس أصدقاءك القدامى كلما تعرفت إلى أصدقاء جدد. فمن صاحبك في أيام ضعفك، ووقف معك في بداياتك، وشاركك الأفراح والأحزان، لا ينبغي أن يهون عليك لمجرد أنك دخلت بيئة

جديدة أو ارتفعت مكانتك بين الناس. إن الوفاء للماضي الجميل من مكارم الأخلاق.

يا سالك الطريق، اختر أصحابك بعناية، ولكن لا تتكبر على الناس باسم اختيار الصحبة الصالحة. صاحب من يعينك على الطاعة، وابتعد عن مجالس المعصية، ومع ذلك عامل الآخرين بالأدب والرحمة. وليس كل من قصُرت صحبته لك عدوا، ولا كل من خالفك سيئ النية. واعلم أن الصداقة الصالحة لا تعني الصداقة الخالية من العيوب، بل التي يغلب خيرها وتعينك على الاستقامة.

يا سالك الطريق إلى الله، اسأل نفسك الليلة: هل أنا صديق يرتاح الناس إلى صحبته، أم صديق يَخشَون غضبه وحساسيته وكثرة

مطالبه؟ هل أكون عونا لإخواني عند الشدة، أم أزيد همومهم هما؟ فإن إصلاح علاقتك بالناس يبدأ من صدقك مع نفسك.

قد تجد في طريقك إلى الله أخا صالحا يحبك وينصحك ويعينك على الطاعة، فلا تُفرّط فيه لأجل زلة عابرة أو اختلاف يسير. فالأصحاب الذين يعينون على الخير نعمة عظيمة، والمحافظة على هذه النعمة تحتاج إلى صبر وتواضع وحكمة.

لا تنتظر حتى يموت صديقك لتذكر محاسنه، ولا حتى يسافر لتشعر بقيمته، ولا حتى تنقطع العلاقة لتندم على كلمات قاسية قلتها له. بادر اليوم بكلمة طيبة، أو اتصال، أو زيارة، أو اعتذار. فإن بعض القلوب تنتظر منك خطوة صغيرة تعيد إليها مودة كبيرة.

تذكر أن الطريق إلى الله ليس طريقا تسير فيه وحدك دائما، بل قد يرافقك فيه إخوة صالحون تتعلّم منهم ويتعلّمون منك، وتُعينهم ويعينونك، وتصبر عليهم ويصبرون عليك. فكن رفيقا صالحا في هذا الطريق، لا سببا في تعثر غيرك أو نفوره من مجالس الخير.

وأخيرا، يا أخي، لا يكفي أن تتمنى الوصول إلى المقامات العالية وأنت تسيء معاملة إخوانك وأصدقائك. اجعل من صحبتك لهم مَيْدانا لمجاهدة نفسك، وتعلّم الوفاء والتواضع والرحمة وحفظ الحقوق. وليكن من آثار سلوكك إلى الله أن يزداد من حولك اطمئنانا إلى أخلاقك، ومحبة للخير الذي تدعو إليه. جعلنا الله

وإياكم من عباده الصالحين، ورزقنا قلوبا سليمة وأُخوّة صادقة تدوم على طاعته.

سالك الطريق إلى الله... كيف يتعامل مع زملائه في العمل الدعوي والعمل الدنيوي؟

يا سالك الطريق إلى الله، قد تكون لطيفا في المسجد، هادئا في مجلس العلم، بشوشا مع من يزورك، ولكن كيف تكون أخلاقك عندما تدخل مكان العمل؟ كيف تتعامل مع زميل يختلف معك، أو مسؤول ينتقدك، أو شخص يتأخر في إنجاز مهمته؟ إن مكان العمل من الميادين التي تظهر فيها حقيقة الصبر والتواضع والأمانة وحسن الخُلق.

سواء كنت تعمل في الدعوة إلى الله، أو في شركة، أو مدرسة، أو مستشفى، أو متجر، أو مؤسسة حكومية، فإنك تتعامل مع بشر

مختلفين في طباعهم وأفكارهم وقدراتهم. وليس المطلوب أن يحبك الجميع، ولا أن يوافقك الجميع، ولكن المطلوب أن تحفظ حقوقهم، وتحسن معاملتهم، وتبتعد عن الظلم والكبر والإهانة.

من الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس أنهم يفصلون بين عبادتهم وأخلاقهم المهنية. فترى أحدهم حريصا على الصلاة والذكر، ولكنه يتأخر عن عمله بغير عذر، أو يهمل مسؤولياته، أو يسيء إلى زملائه، أو ينسب نجاح الآخرين إلى نفسه. يا أخي، إن الأمانة في العمل وحفظ حقوق الناس من الأمور التي ينبغي أن يعتني بها طالب الطريق إلى الله.

وأما العمل الدعوي، فإن المسؤولية فيه أعظم من جهة أن العاملين فيه يحملون رسالة تعليم الدين ونشر الخير. فكيف يدعو الإنسان الناس إلى حسن الخُلق ثم يُسيء إلى إخوانه العاملين معه؟ وكيف يتحدث عن الإخلاص ثم يغضب إذا لم يُذكر اسمه؟ وكيف يدعو إلى التواضع ثم يحتقر من يخالف رأيه؟ إن العمل للدين يحتاج إلى علم وحكمة وإخلاص وحسن معاملة.

يا سالك الطريق، إذا دخلت مكان عملك، فلا تتعامل مع زملائك كأنهم منافسون ينبغي أن تتغلب عليهم جميعا. قد يكون أحدهم أكثر خبرة منك، وآخر أسرع في الإنجاز، وثالث أحسن منك في التعامل مع الناس. استفد من قدراتهم، ولا تجعل تفوقهم سببا لضيق

صدرك. فالإنسان الحكيم يفرح بوجود من يتعلّم منه، ولا يرى في نجاح الآخرين تهديدا لكرامته.

إذا كنت تعمل في الدعوة إلى الله، فلا تجعل عدد طلابك أو متابعيك أو الحاضرين لدروسك مقياسا لقيمتك عند الله. فقد يحضر عند أخيك مئات الأشخاص، ولا يحضر عندك إلا عشرات، فلا تجعل ذلك سببا للحسد أو التقليل من شأنه. المهم أن ينتشر العلم الصحيح وينتفع الناس، لا أن يكون اسمك هو الأكثر شهرة. ومن صدق في خدمة الدين فرح بالخير ولو جرى على يد غيره.

لا تنسب إلى نفسك عملا أنجزه غيرك، سواء كنت في مؤسسة دعوية أو وظيفة دنيوية. فإذا نجح مشروع شارك فيه عدد من

الزملاء، فاذكر فضلهم، ولا تتحدث كأنك صاحب الإنجاز الوحيد. وإذا قدم أحدهم فكرة نافعة، فلا تستول عليها ثم تعرضها على المسؤولين باسمك.

يا طالب الطريق، لا تجعل اختلاف الرأي في العمل سببا للعداوة الشخصية. فقد يقترح زميلك طريقة تراها غير مناسبة، أو يعترض على مشروع تعمل عليه، أو يقدم ملاحظات على أدائك. استمع إليه، وناقشه بالحجة، ولا تفسر كل اعتراض على أنه إهانة لك. فليس كل من خالف رأيك يريد إسقاطك، وربما كان في كلامه ما ينفعك.

من الأمراض التي تُفسد بيئة العمل كثرة نقل الكلام بين الزملاء. يقول أحدهم: فلان تكلم عنك، وفلان لا يحبك، وفلان يريد أخذ مكانك. فتبدأ الشكوك والخصومات. يا سالك الطريق، لا تكن ناقلا لكل ما تسمع، ولا تجعل مكتبك أو مجلسك مكانا للغيبة والنميمة. وإذا بلغك كلام يُثير الفتنة، فتثبت منه، ولا تسارع إلى بناء المواقف على الظنون.

إذا كنت مسؤولا عن مجموعة من العاملين في الدعوة، فلا تعاملهم كأنهم خدم يعملون لمصلحتك الشخصية. احترم أوقاتهم وظروفهم وقدراتهم، ولا تُكلفهم بما لا يُطيقون، ولا تُهنهم إذا أخطؤوا. تذكر أن المسؤولية ليست ترخيصا للتسلط، وأن خدمة الدين لا تُبيح

ظلم العاملين فيه. ومن حسن القيادة أن تجمع بين وضوح التعليمات والعدل والرحمة.

وإذا كنت موظفا تحت إدارة شخص آخر، فلا تجعل كراهيتك لبعض قراراته سببا لإهمال عملك أو إثارة الفوضى بين زملائك. أد وظيفتك بأمانة، وناقش ما تراه خطأ بالطرق المناسبة، ولا تطع أحدا في معصية الله. وإذا تعرضت لظلم، فطالب بحقك بالوسائل المشروعة.

يا سالك الطريق، احذر أن تستغل انشغال زميلك أو غيابه لتشويه صورته أمام المسؤولين. قد تكون بينكما منافسة على ترقية أو منصب، ولكن المنافسة لا تبيح الكذب والافتراء وظلم الآخرين

والانتقاص من حقوقهم. اسع إلى النجاح بكفاءتك واجتهادك، لا بإسقاط غيرك. فإن المنصب الذي تصل إليه بظلم الناس قد يكون سببا في تعاستك لا سعادتك.

في العمل الدعوي خصوصا، لا تحتكر الطلاب ولا تمنعهم من الاستفادة من غيرك من أهل العلم الثقات. ليس الطلاب مِلكا لك، وليس العلم حِكرا على شخصك. فإذا وجد طالب عند غيرك علما نافعا، فافرح له، ولا تجعله يشعر أنه خانك لأنه حضر درسا عند معلم آخر. فإن الغاية تعليم الناس دينهم، لا ربط قلوبهم بالأشخاص.

إذا أخطأ زميلك في العمل، فلا تسارع إلى فضحه أمام الجميع. قد يحتاج إلى نصيحة خاصة، أو توجيه هادئ، أو تدريب يساعده على تحسين أدائه. وليس من الحكمة أن تجعل خطأ صغيرا سببا لتحطيم ثقته بنفسه. أما الأخطاء التي تتعلق بحقوق الناس أو سلامتهم أو الأمانة، فينبغي معالجتها بالجِدّية المناسبة دون تَستُّر على ظلم أو ضرر.

يا طالب الطريق، لا تحتقر زميلك بسبب وظيفته أو درجته أو مستوى تعليمه. فقد يكون عامل النظافة في المؤسسة أصدق وأحسن خلُقا من مديرها، وقد يكون الموظف البسيط أعظم أمانة

من صاحب المنصب الكبير. عامل الجميع بحسن الخلق، ولا تجعل لطفك مقتصرا على من يستطيعون نفعك أو ترقيتك.

لا تجعل العمل الدعوي مبررا لإهمال حقوق أهلك أو صحتك أو واجباتك الأخرى. فقد يندفع بعض العاملين في الدعوة بحماسة شديدة، فيُكلفون أنفسهم من الأعمال ما يفوق قدرتهم على الاستمرار، ثم يغضبوا من زملائهم إذا لم يفعلوا مثلهم. ليس كل الناس يملكون الوقت نفسه أو القدرة نفسها. شجع إخوانك على الخير، ولكن لا تحكم على إخلاصهم من خلال عدد الساعات التي يقضونها معك في العمل الدعوي.

إذا رأيت زميلا جديدا لا يعرف تفاصيل العمل، فلا تستغل قلة خبرته لتظهر تفوقك عليه. علّمه ما يحتاج إليه، وأجب عن أسئلته، وساعده على الاندماج في الفريق. وقد يكون هذا الزميل بعد سنوات من أنفع الناس للمؤسسة. ومن حسن الخلق أن تحب لغيرك أن يتعلّم وينجح، لا أن يبقى ضعيفا حتى تظل أنت متميزا.

يا سالك الطريق، إذا كنت تعمل في مؤسسة دعوية، فلا تخلط بين أموال الدعوة وأموالك الخاصة. لا تستعمل التبرعات لمصالحك الشخصية بغير حق، ولا تتصرف في ممتلكات المؤسسة كأنها ملكك، ولا تُهمل توثيق المصاريف والأمانات. فإن الأموال التي

يقدمها الناس لخدمة الدين أمانة عظيمة، وحسن النية لا يُبيح التصرف فيها بغير وجه حق.

من الأخطاء الشائعة أن يظن الموظف أن تأخره المتكرر عن العمل أمر بسيط، أو أن استعمال ساعات الوظيفة في شؤونه الشخصية لا يضر أحدا. يا أخي، إذا كنت تتقاضى أجرا مقابل وقت وعمل محدّدَين، فعليك أن تؤدي ما التزمت به وفق العقد والأنظمة المشروعة. فلا تجعل صاحب العمل يدفع لك مقابل ساعات لا تؤدي فيها وظيفتك دون إذن معتبر.

إذا نجح زميلك في مشروع دعوي، فلا تحاول التقليل من نجاحه بحجة أن طريقتك أفضل. وإذا نجح مشروعك، فلا تتكبر على

الآخرين. قد تتعدد الوسائل النافعة لخدمة الدين، وليس من الضروري أن يعمل الجميع بالطريقة نفسها. تعاونوا فيما اتفقتم عليه من الخير، وتناقشوا فيما اختلفتم فيه بعلم وأدب، ولا تجعلوا الوسائل المباحة سببا لتفريق القلوب.

يا سالك الطريق، لا تكن الشخص الذي ينشر التشاؤم في كل اجتماع. كلما اقترح أحدهم مشروعا قلت: لن ينجح. وكلما بدأ زميل عملا قلت: لا فائدة. وكلما ظهرت مشكلة أعلنت أن المؤسسة ستفشل. كن واقعيا، واذكر المخاطر بوضوح، ولكن قدّم الحلول أيضا. فالنقد النافع يساعد على الإصلاح، أما التحطيم المستمر فيقتل الهمة ويُضعف التعاون بين الزملاء.

لا تجعل علاقتك بزملائك قائمة على المجاملات الكاذبة. إذا رأيت خطأً يحتاج إلى تصحيح، فتكلم بأدب ووضوح، ولا تمدح عملا تعلم أنه سيئ لمجرد إرضاء صاحبه. وفي المقابل، لا تجعل الصراحة ذريعة للفظاظة والإهانة. فالإنسان الحكيم يستطيع أن يقول الحق دون أن يتعمد كسر قلب الآخرين.

إذا شعرت أنك مظلوم في العمل، أو أنّ جهودك لا تُقَدّر، فلا تجعل الغضب يقود تصرفاتك. وثّق حقوقك، واطلب توضيح المسؤوليات، وتحدث مع الجهات المختصة، وفكر في الخيارات المتاحة لك. وإذا احتجت إلى ترك العمل، فاتركه دون خيانة

للأمانات أو إفشاء للأسرار التي ينبغي حفظها أو تشويه للناس بغير حق. فإن حسن الخلق يظهر أيضا عند انتهاء العلاقات المهنية.

يا سالك الطريق إلى الله، اسأل نفسك بعد انتهاء يوم العمل: هل أديت وظيفتي بأمانة؟ هل ظلمت أحدا؟ هل تكلمت في غيبة زميل؟ هل ساعدت محتاجا إلى المساعدة؟ هل فرحت بنجاح غيري؟ فإن محاسبة النفس في هذه الأمور من وسائل إصلاح القلب وتهذيب الأخلاق.

إذا كنت تعمل في الدعوة إلى الله، فتذكر أن الناس لا يتأثرون بكلامك فقط، بل يراقبون طريقة تعاملك مع إخوانك. فإذا رأوك تتكلم عن المحبة ثم تخاصم زملاءك لأجل المناصب، أو تدعو إلى

الإخلاص ثم تغضب لعدم ذكر اسمك، فقد تضعف ثقتهم بما تدعو إليه. فليكن سلوكك شاهدا على صدق ما تعلّمه للناس.

وإذا كنت تعمل في وظيفة دنيوية، فلا تظن أن طريقك إلى الله يتوقف عند باب المسجد. يمكنك أن تتقرب إلى الله بأداء الأمانات، والصدق، والعدل، وحفظ الحقوق، والإحسان إلى الناس، مع النية الصالحة. فقد يكون يوم عملك مليئا بفرص الخير التي لا ينتبه إليها من يحصر العبادة في بعض الشعائر.

لا تجعل نجاحك المهني سببا للكِبر، ولا فشلك في مشروع سببا لليأس. تعلّم من أخطائك، واستفد من خبرات غيرك، وكن مستعدا للاعتذار والتصحيح. فإن سالك الطريق لا يبحث عن صورة مثالية

لنفسه أمام الناس، بل يجاهد نفسه ليكون اليوم أحسن مما كان بالأمس.

سواء كنت معلما للدين، أو داعية، أو مديرا، أو موظفا، أو عاملا بسيطا، فاجعل من مكان عملك مَيدانا لتزكية نفسك. لا تجعل العمل الدعوي بابا لحب الزعامة، ولا تجعل العمل الدنيوي بابا للظلم والطمع، بل اجعل كليهما مجالا للأمانة والإتقان وحسن الخُلق. واذكر أن الناس قد ينسون كثيرا مما قلت لهم، ولكنهم لا ينسون بسهولة كيف عاملتهم.

نسأل الله أن يجعلنا من عباده الصادقين الأمناء، وأن يوفقنا لخدمة دينه وعباده بإخلاص وحكمة ورحمة.

سالك الطريق إلى الله... كيف يتأدب مع مشايخه؟

يا طالب الطريق إلى الله، قد تحفظ المتون، وتحضر الدروس، وتُكثر من الدراسة والعبادة، ولكن هل تعلم أن هناك أمرا عظيما قد يكون سببا في زيادة انتفاعك بالعلم أو حرمانك من كثير من فوائده؟ إنه الأدب مع العلماء والمشايخ والمعلمين. فليس المهم فقط أن تجلس أمام الشيخ وتسمع كلامه، بل المهم أيضا كيف تجلس، وكيف تستمع، وكيف تسأل، وكيف تتعامل معه.

من الناس من يجلس أمام شيخه متواضعا، منصتا، حريصا على الاستفادة من كل كلمة، ومنهم من يجلس وكأنه جاء ليُظهر علمه، أو يناقش في كل صغيرة وكبيرة، أو يقاطع الشيخ قبل أن يكمل

كلامه. فكيف يستوي من جاء ليتعلّم بمن جاء ليُثبت أنه يعلم؟ إن التواضع من أعظم مفاتيح الانتفاع بالعلم.

واعلم يا طالب الطريق أن السلوك إلى الله لا يشترط أن يكون لك فيه شيخ واحد فقط، ولا أن تحصر انتفاعك بعالم دون غيره. فقد كان لكثير من علماء المسلمين عدد كبير من الشيوخ والشيخات الذين أخذوا عنهم العلم والرواية والتربية. فانتفع بمن تثق بعلمه ودينه، ولا تحرم نفسك من الخير لمجرد أنك تنتسب إلى شيخ معين. ولكن لا تجعل تعدد المشايخ سببا لطلب ما يوافق هواك من الأقوال، واحفظ لكل معلم فضله وحقه.

يا طالب الطريق، لا تظن أن كثرة المعلومات وحدها تجعلك من أهل الخير والفضل. فقد يحفظ الإنسان مسائل كثيرة، ولكنه سيئ الأدب مع معلميه، متكبر على من ينصحه، سريع الاعتراض على من يوجهه. فأين أثر علمه في أخلاقه ومعاملته للناس؟ اجعل الأدب مع أهل العلم من أول ما تعتني به في طريقك إلى الله.

إذا حضرت مجلس شيخك، فاجلس بأدب ووقار، ولا تتصرف وكأنك جالس في مجلس لهو وحديث عابر. أقبل عليه بقلبك، وأنصت إلى كلامه، ولا تنشغل بهاتفك أو بالأحاديث الجانبية. فإن احترام مجلس العلم من احترام العلم الذي تتلقاه، وحسن الاستماع من أعظم أسباب الفهم والانتفاع.

بعض الطلاب إذا جلس أمام شيخه أكثر من الكلام، وقاطع الحديث، وأطال في سرد القصص والتجارب، حتى يضيع وقت المجلس. يا أخي، أنت جئت لتستفيد، لا لتستعرض ما عندك. تكلم عند الحاجة، واسأل عما ينفعك، وأعط شيخك فرصة ليعلمك ويوجهك. فإن من حسن الأدب أن تعرف متى تتكلم ومتى تصمت.

قد يكون الشيخ مشغولا بالتعليم والدعوة والعبادة وشؤون الناس، ثم يأتي من يستأثر بوقته في أحاديث طويلة لا فائدة فيها، أو اتصالات متكررة لأمور تافهة. يا طالب الطريق، راع وقت شيخك كما تحب أن يراعي الآخرون وقتك، بل احرص على أن يكون

لقاؤك به نافعا. حضّر أسئلتك، واختصر كلامك، ولا تُطل الجلوس إذا علمت أنه مشغول.

اشتهر في بعض كتب السلوك تشبيه المريد بين يدي شيخه بالميت بين يدي المغسل. والمقصود الذي ينبغي الانتفاع به من هذا التشبيه أن يترك الطالب الكِبر والعِناد وحب الانتصار للنفس، وأن يقبل التوجيه النافع بتواضع. وليس معناه أن يلغي عقله، أو يطيع شيخه في معصية، أو يسكت عن ظلم، أو يعتقد أن الشيخ معصوم من الخطأ. فالتواضع المحمود شيء، والطاعة العمياء شيء آخر.

قد ينبهك شيخك إلى خطأ في سلوكك، أو ينصحك بترك عادة سيئة، فتسارع إلى تبرير نفسك والدفاع عنها. لماذا لا تستمع أولا؟

ربما رأى منك عيبا لم تنتبه إليه. تأمل نصيحته، وراجع نفسك، فإن كانت حقا فاقبلها واشكره عليها، وإن لم يتبين لك وجهها فاستفسر بأدب. فلا تجعل حب الانتصار للنفس يحرمك من فائدة النصيحة.

قد تتعلّم مسائل جديدة، وتقرأ كتبا كثيرة، وتصبح قادرا على التدريس والإفتاء في بعض الأمور، ثم تبدأ بالنظر إلى مشايخك نظرة استعلاء. يا أخي، مهما بلغت من العلم فلا تنس فضل من علمك وأرشدك. وإذا تبين لك أن شيخك أخطأ في مسألة، فليس معنى ذلك أن تنسى إحسانه أو تحتقر علمه. اجمع بين اتباع الحق وحفظ الفضل.

ليس من الوفاء أن تتلطف مع شيخك في حضوره، ثم إذا غاب تكلمت عنه باستخفاف، أو سخرت من عاداته، أو نقلت عيوبه بين الناس. احفظ لسانك عن الغيبة والبهتان، واذكر أهل العلم بما يستحقونه من الخير. وإذا وجدت خطأ يحتاج إلى بيان، فليكن بيانك بعلم وعدل وأدب، دون تجريح أو تعصب أو كتمان للحق.

قد تسمع من شيخك عبارة في مجلس خاص، ثم تنقلها إلى الناس ناقصة أو خارج سياقها، فيفهمون منها غير ما أراد. يا طالب الطريق، كن أمينا في النقل. لا تنسب إلى شيخك ما لم يقله، ولا تنشر كلاما خاصا دون إذن إذا كان في نشره ضرر أو خيانة للأمانة. فإن الأمانة في نقل العلم من علامات صدق الطالب.

قد تحب شيخك وتنتفع بعلمه وتثق بنصائحه، وهذا حسن، ولكن احذر أن تتحوّل المحبة إلى تعصب يجعلك ترفض كل خير يأتي من غيره، أو تعادي من لم ينتسب إليه. فالعلم النافع ليس حِكرا على شخص واحد، والحق لا يعرف بمجرد أسماء الرجال. أحب شيخك، واحفظ فضله، وانتفع بغيره من أهل العلم دون حسد أو خصومة.

هناك فرق بين السؤال طلبا للفهم والاعتراض طلبا للجدال. فقد يسأل الطالب بأدب عن دليل مسألة أو وجه حكم، وهذا من طلب العلم المحمود. وقد يعترض على كل كلمة ليُظهر ذكاءه أو ليُحرج شيخه أمام الحاضرين. فاحذر أن يتحوّل مجلس العلم عندك

إلى مَيدان لإثبات الذات. اسأل لتتعلّم، لا لتنتصر على مَن يعلّمك.

قد تسمع من شيخك نصيحة تغير حياتك، أو تتعلّم منه مسألة تنفعك سنوات طويلة، ثم تنسى فضله. يا طالب الطريق، من الوفاء أن تشكر من أحسن إليك، وأن تدعو لمشايخك ومعلميك، وأن تحفظ لهم جميلهم. ولا تجعل اختلافك معهم في بعض المسائل سببا في جحود ما قدموه لك من الخير.

بعض الطلاب يريد أن يكون أقرب الناس إلى شيخه، وأن يخصه بالمجالس والاتصالات والنصائح، فإذا رأى الشيخ يهتم بغيره شعر بالغيرة والحسد. يا أخي، الشيخ ليس مِلكا لك، وله طلاب آخرون

ومسؤوليات كثيرة. فافرح بانتفاع الناس بعلمه، ولا تجعل طلب القرب من الشيخ بابا إلى المنافسة المذمومة وحب الظهور.

قد يحب الطالب شيخه حتى يبدأ بالتدخل في خصوصياته، والسؤال عن تفاصيل حياته وأهله وأمواله وأسفاره، وكأن له حقا في معرفة كل شيء عنه. يا طالب الطريق، للمشايخ أيضا خصوصيات ينبغي مراعاتها. خذ منهم ما ينفعك من العلم والتوجيه، ولا تجعل محبتك لهم ذريعة للتطفل على شؤونهم الخاصة.

قد تختلف مع شيخك في رأي أو مسألة، وقد ترى أن قوله مرجوح أو أن توجيهه لا يناسب حالك. ليس المطلوب أن توافقه في كل شيء، ولكن المطلوب أن تحسن الأدب في الخلاف. ناقش بالحجة

والاحترام، ولا ترفع صوتك أو تسخر من كلامه. فإن الأدب لا يمنع من طلب الدليل، وطلب الدليل لا يستلزم سوء الأدب.

بعض الطلاب يتعامل مع شيخه وكأنه قادر على حل جميع مشكلاته. يسأله في الطب والمال والزواج والعمل وكل تفاصيل الحياة، ثم يغضب إذا لم يجد عنده جوابا. يا أخي، الشيخ عالم فيما تعلّمه، وليس بالضرورة خبيرا في كل شيء. استشر أهل الاختصاص في مجالاتهم، وانتفع من شيخك فيما يُحسنه، ولا تحمّله ما لا يُطيق.

قد يقول الطالب: أنا أحب شيخي كثيرا، وأحضر مجالسه، وأُقبّل يده، وأدافع عنه. ولكن إذا نظرت إلى حاله وجدته مقصرا في الصلاة، أو سيئ الخلق، أو متهاونا في حقوق الناس. فأين ثمرة تلك

المحبة؟ إن من أعظم صور الوفاء للمعلم أن تنتفع بعلمه، وأن تعمل بالنصائح الصحيحة التي يوجهك إليها، لا أن تكتفي بإظهار المحبة والتعظيم.

يا طالب الطريق، إنما تنتفع بالمشايخ لأنهم يعلمونك دين الله، ويرشدونك إلى الطاعة، ويساعدونك على إصلاح نفسك. فلا تجعل تعلقك بشخص الشيخ يطغى على الغاية التي تسعى إليها، وهي رضا الله. ولا تظن أن قربك من الشيخ يُغنيك عن الصلاة والتوبة ومجاهدة النفس. فالشيخ يدل على الطريق، ولكنك أنت المطالب بالسير فيه.

يا طالب الطريق، قد تجلس مع عالم ساعة واحدة فتخرج بفوائد تغير حياتك، وقد تجلس سنوات مع العلماء ولا تنتفع إلا قليلا بسبب الكِبر والغفلة وسوء الاستماع. فاجعل قلبك متواضعا، ولسانك مؤدبا، وعقلك حاضرا، ونيتك صادقة. فإن حسن الأدب يعينك على الانتفاع بالعلم، والعمل به هو الثمرة التي ينبغي أن تطلبها.

اسأل نفسك: كيف أجلس أمام مشايخي؟ هل أنصت إليهم باهتمام؟ هل أحفظ أوقاتهم؟ هل أقبل النصيحة إذا خالفت هوى نفسي؟ هل أشكرهم على ما علموني؟ أم أنني أكثر الكلام

والجدال، وأبحث عن الأخطاء، وأنسى فضل من أرشدني إلى الخير؟ راجع نفسك، فإن حسن الأدب يحتاج إلى مجاهدة مستمرة.

ابدأ من اليوم بتغيير طريقة تعاملك مع مشايخك. إذا حضرت مجلس علم فأنصت، وإذا سألت فاسأل بأدب، وإذا نُصِحت فاقبل الحق، وإذا اختلفت فاحفظ الاحترام، وإذا غاب شيخك فادع له بالخير. ولا تجعل قربك من العلماء سببا في الغرور، بل اجعله سببا في زيادة التواضع والعمل الصالح.

وتذكر أن المشايخ الذين تتعلّم منهم اليوم قد يأتي يوم لا تستطيع فيه الجلوس بين أيديهم، ولا سماع نصائحهم، ولا سؤالهم عما يُشكل

عليك. فاغتنم وجودهم، واحفظ أوقاتهم، وأكثر من الاستفادة من علمهم، ولا تؤجل العمل بنصائحهم النافعة.

يا سالك الطريق إلى الله، كن بين يدي مشايخك متواضعا لا متكبرا، منصتا لا ثرثارا، متعلّما لا متعالما، وفيا لا جاحدا، محبا للحق لا متعصبا للأشخاص. فليس الشأن أن يعرف الناس أنك تلميذ فلان أو أنك جلست مع عشرات المشايخ، وإنما الشأن أن يظهر أثر ما تعلّمته في عبادتك وأخلاقك وقلبك وسلوكك. ومن أجمل ثمار صحبة العلماء أن تزداد علما بالله، وخشية له، وتواضعا لعباده، وحرصا على طاعته.

أسأل الله أن يرزقك العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقك الأدب مع العلماء والمشايخ والمعلمين، وأن يُطهّر قلبك من الكِبر والعُجب وحب الجدال، وأن يجعلك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يجزي مشايخك ومعلميك خير الجزاء، ويبارك في أعمار الأحياء منهم على الطاعة، ويرحم من مات منهم على الإسلام.

لا تكسر هيبة الشيخ في قلب ولدك

أيها الأب، أيتها الأم، ليس من الحكمة أن تظنا أنكما وحدكما تستطيعان تربية أولادكما في كل مرحلة من مراحل حياتهم. فقد يأتي يوم لا يسمع فيه ولدكما نصيحتكما، ولكنه يسمعها من شيخ صالح أحبه ووثق به. فلا تضيعا على ولدكما هذا الباب من أبواب الخير.

إذا رزق الله ولدك معلما صادقا صالحا، يخاف الله ويعلمه دينه، فاحرص على أن تبقى لهذا المعلم مكانته في قلب ولدك. شجعه على احترامه، والأخذ بنصيحته النافعة، وحسن الأدب معه. فإنك

بذلك لا تُكرم المعلّم فقط، بل تفتح لولدك بابا من أبواب الانتفاع بالعلم والتربية.

قد يقضي المعلم سنوات يربي ولدك على الصلاة والأدب والاستقامة، ثم تأتي أنت بكلمة سخرية أو ازدراء، فتضعف مكانته في قلب ولدك. لا تستهن بالكلمات التي تقولها أمام أولادك، فإنهم يتعلّمون منك كيف ينظرون إلى الناس، ومن يحترمون، ومن يستخفون به.

من أعظم النعم على الشاب أن يجد في حياته شيخا صالحا يرجع إليه عند الحَيْرة، ويسأله عما يجهله من أمور دينه، ويستنصحه عند الفتنة. فلا تكن سببا في أن يفقد ولدك الثقة بهذا الإنسان بغير

حق. فقد يحتاج إلى نصيحته في وقت لا يستطيع فيه أن يصارحك بما في نفسه.

يأتي الولد إلى بيته فرحا، ويقول: قال لنا الشيخ فلان كذا وكذا. فيضحك أبوه ساخرا ويقول لزوجته: تعالَي واسمعي. فلان صار شيخا! وقد يردد هذا الكلام أمام ولده مرات. ما الذي فعلته أيها الأب؟ لقد علمت ولدك الاستهزاء بمن يعلمه دينه، وأضعفت في قلبه احترام مربيه. فلا تستغرب إذا كبر ولدك وصار لا يبالي بنصيحته.

قد يكون ولدك اليوم صغيرا، يسمع كلامك ويطيعك، ولكنه سيكبُر، وقد يمر بمرحلة يرفض فيها نصائحك. وحينئذ قد تحتاج

إلى شيخه الصالح ليكلمه وينصحه. ولكن ماذا لو كنت أنت الذي كسرت هيبة هذا الشيخ في قلبه منذ صغره؟ لقد أضعفت بيدك وسيلة من وسائل إصلاح ولدك.

يعود ولدك من المدرسة ويقول: أعطى الشيخ الأولاد حلوى ولم يُعطني. فتغضب وتقول: لأنك من بلد وهم من بلد آخر. أو لأن الشيخ يحب فلانا ولا يحبك. مهلا. من أخبرك أن الأمر كذلك؟ لعل الحلوى كانت مكافأة لمن حفظ درسه، وولدك لم يحفظه. لا تزرع في قلب ولدك تُهما لا دليل عليها، ولا تعلّمه أن يُفسر كل موقف بسوء الظن.

إذا جاءك ولدك يشكو من معلمه، فاسمعه باهتمام، ولا تُكذّبه دون دليل، ولا تتعجل في الحكم على المعلم. اسأله بهدوء عما حدث، وتثبت من الأمر بالطريقة المناسبة. فإن كان المعلم محقا، فعلم ولدك الإنصاف، وإن كان مخطئا، فعالج الخطأ بالحكمة. وإذا أخبرك ولدك بأذى أو اعتداء، فخذ كلامه بجدية، واحرص على سلامته، ولا تجعل الحرص على مكانة المعلم سببا في إهمال حمايته.

بعض الأهل يفسر لولده كل موقف على أنه ظلم له. إن لم ينل جائزة قالوا: ظلموك. وإن عاتبه معلمه قالوا: يكرهونك. وإن فاز غيره قالوا: يفضلون غيرك عليك. وهكذا قد ينشأ الولد وهو يرى نفسه ضحية دائما. علمه أن يسأل نفسه: هل قصرت؟ هل

أخطأت؟ هل كان غيري أحق بالمكافأة؟ وعلمه أيضا أن يخبرك إذا وقع عليه ظلم حقيقي.

ما أقبح أن يربي الأب ولده على سوء الظن بالناس بسبب بلادهم أو أصولهم. هذا لبناني، وذاك فلسطيني، وهذا من طرابلس، ونحن من بيروت. ما دخل هذه الأمور في العدل والإنصاف؟ لا تفسد قلب ولدك بعصبياتك، ولا تجعله يحكم على الناس بأصولهم بدلا من أخلاقهم وأعمالهم.

إذا وجدت معلّما صالحا يعلّم ولدك العقيدة والصلاة والأخلاق، فلا تنظر إليه على أنه مجرد شخص يلقي الدروس. إنه يساهم معك في بناء شخصية ولدك. فتعاون معه، واسأله عن تقدّم ولدك، وأخبره

بما يحتاج إليه من توجيه مما يحسن إطلاعه عليه، واجعل بينكما تواصلا قائما على الثقة والإنصاف.

قل لولدك: إذا جلست بين يدي شيخك، فأحسن الاستماع، ولا تقاطعه بغير حاجة، ولا تسخر من كلامه، واسأل بأدب عما لم تفهمه. وإذا نصحك فتأمل نصيحته، وإذا أحسن إليك فاشكره، واطلب منه الدعاء. واعلم أن احترام الشيخ لا يعني أن تسكت عما يؤذيك، أو أن تكتم عن والديك ما يخيفك أو يقلقك.

قد ترى ولدك يحب شيخه، ويكثر من ذكره بالخير، ويفرح بلقائه، فلا تجعل ذلك سببا للضيق والغَيرة. إن كان شيخه من أهل العلم

والصلاح، فافرح بهذه المحبة، وشجعه عليها. فمحبة ولدك لمربيه لا تنقص من محبته لك، ولا من حقك عليه.

قد يحصل بينك وبين شيخ ولدك خلاف شخصي، أو سوء تفاهم، أو موقف لم يعجبك. فلا تجعل ولدك طرفا في هذا الخلاف، ولا تلقّنه البُغض والضغينة. عالج خلافك بالحكمة، وأنصف الشيخ فيما له من فضل، ولا تستعمل ولدك وسيلة لتصفية حساباتك الشخصية.

قد يستحيي الشاب أن يحدث أباه عن بعض مشاكله، أو يخاف من غضبه، ولكنه يجد في شيخ صالح أذنا تسمعه وقلبا يرحمه. فيسأله عن مسألة، أو يشكو إليه هما، أو يطلب منه نصيحة. فلا

تُغلق عليه هذا الباب بغير سبب معتبر، بل ساعده على الانتفاع بالصالحين الأمناء، وكن أنت أيضا قريبا من ولدك، رحيما به، مستمعا إليه.

قد يكون الأب غنيا أو صاحب منصب أو وجاهة، فيتكلم عن معلم ولده باستصغار، وكأن المال والمنصب يجعلان الإنسان أعظم قدرا من أهل العلم. احذر. فإن ولدك قد يتعلّم منك أن يزدري من هو أقل منه مالا ومنصبا. علمه أن العلم والتقوى وحسن الخلق لها قيمتها، وأن احترام الناس لا يقاس بأموالهم ومناصبهم.

بعض الأولاد إذا عاتبهم المعلم على تقصير، قد يذهبون إلى أهلهم يشكون ليتخلصوا من المحاسبة. فإن كنت تسارع دائما إلى تبرير

أخطاء ولدك، علمته أن يهرب من المسؤولية. أحبب ولدك، ودافع عنه إذا ظلم، ولكن لا تساعده على الكذب والتهرب من وظائفه، ولا تجعل محبتك له سببا في إفساد تربيته.

قد يكون سبب ازدراء بعض الآباء لشيخ ولده حسدا أو كبرا أو ضغينة شخصية. فيضيق صدره إذا سمع ولده يُثني على الشيخ، ويتألم إذا رآه يُوقّره. فليفتش هذا الأب عن حقيقة ما في قلبه. أيريد مصلحة ولده، أم يريد أن يُشبع ما في نفسه من غضب على الشيخ؟ لا تجعل ولدك يدفع ثمن أمراض قلبك.

إذا رأيت معلما صالحا يبذل وقته في تعليم ولدك، فاشكره، وادع له، وتعاون معه. ولا تنتظر منه أن يقوم بكل شيء وحده. فهو يعلم

ويوجه، وأنت تتابع وتشجع وتعين ولدك على العمل بما تعلّمه. وإذا اجتمعت جهود الأهل والمربي الصالح، كان ذلك أعون على حسن التربية.

أيها الأب، سيأتي يوم يكبَر فيه ولدك، ويخرج من تحت رعايتك المباشرة، ويختلط بالناس وتَعرِض له الفتن. فطوبى لك إذا كنت قد ساعدته منذ صغره على محبة العلم والصالحين، وهيأت له من الناصحين الثقات من يرجع إليه عند الحاجة.

أيتها الأم، إذا حدثك ولدك عن شيخه الصالح بمحبة واحترام، فشجعيه على ذلك، واسأليه عما تعلّمه، وأظهري اهتمامك

بدروسه. فكلمة طيبة منك قد تزيده رغبة في طلب العلم، وكلمة سخرية قد تضعف في نفسه محبة مجالس الخير.

أيها الأب، أيتها الأم، لا تفرحا إذا استطعتما أن تسقطا معلم ولدكما الصالح من عينه بكلمة ساخرة، فقد يأتي يوم تتمنيان فيه أن يسمع ولدكما نصيحته، فلا يكون لكلامه في قلبه ما كان له من أثر. فلا تهدما بأيديكما جسرا من جسور الخير، ثم تبحثا عنه عند الشدائد. واحفظا لأهل العلم فضلهم، دون غلو في الأشخاص أو تغاض عن الأخطاء.

اللهم أصلح أولادنا، وحبب إليهم الإيمان والطاعة والعلم النافع، وارزقهم الصحبة الصالحة والمعلمين الصادقين. اللهم ألهم الآباء

والأمهات الحكمة في تربية أولادهم، وطهر قلوبهم من الحسد والكبر وسوء الظن، واجعلهم أعوانا على الخير، لا عقبات في طريقه.

مرض حبس العلم والاستئثار به وربط الطلاب بالأشخاص

من أخطر أمراض بعض الدعاة أن يربي أحدهم تلاميذه على ألا يأخذوا العلم إلا منه، وأن يجعل من نفسه المرجع الوحيد الذي يثقون به. وهذا خلاف ما عرف عن كثير من أهل العلم والصلاح، الذين كانوا يرحلون في طلب العلم، ويأخذون عن شيوخ كثيرين. فالعلم النافع لا ينحصر في شيخ واحد، ولا يحِق لشيخ أن يجعل من نفسه بابا وحيدا لطلبه.

يا مَن تعلّم الناس، اسأل نفسك بصدق: هل تريد أن يزداد تلاميذك علما وفهما وبصيرة، أم تريد أن يبقوا متعلقين بك، لا يسمعون إلا

منك، ولا يثقون إلا بك؟ إن المعلم المخلص يفرح إذا رأى تلميذه يزداد علما على أيدي المشايخ الثقات، ولا يخاف أن يفقد مكانته في قلبه بسبب ذلك.

قال لي أحد مشايخي الذين أدّبوني في أول مسيرتي الدعوية: «إذا سألتني عن مسألة، ثم سألت عنها غيري من المشايخ الصادقين من أهل العلم، فعلمت بذلك وغضبت منك وقطعتك لأنك سألت غيري، فاعلم أنني لست شيخك». ما أعظم هذه الوصية. فهذا من أدب العلماء الذين يريدون لتلاميذهم العلم والانتفاع، لا أن يربطوهم بأشخاصهم.

قد لا يقول الداعية لتلاميذه صراحة: لا تأخذوا العلم من غيري، ولكنه يزرع في قلوبهم الشكوك في المشايخ الثقات، فيقول عن هذا: لعله لم يضبط المسألة، وعن ذاك: لعله لم يفهمها من جميع وجوهها، دون دليل يُسَوّغ هذا التشكيك. ومع الأيام ينشأ التلميذ وهو يظن أن شيخه وحده موضع الثقة، وأن غيره لا يُؤتمن على العلم. وهنا تكمُن الخطورة.

لا ترفع شيخك فوق منزلته، ولا تظن أنه لا يخطئ. فمهما بلغ العالم من العلم والفضل، فهو بشر يصيب ويخطئ. وقد اشتهر عن إمامنا مالك رضي الله عنه أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله

صلى الله عليه وسلم. فأحب شيخك، واحترمه، وانتفع بعلمه، ولكن لا تجعل محبتك له سببا في ازدراء غيره من أهل العلم الثقات.

يا طالب العلم، راقب قلبك. إذا وجدت أنك بعد ملازمة شيخ صرت تستصغر غيره من المشايخ الثقات، أو تستثقل سماع دروسهم، أو تسارع إلى التشكيك في علمهم دون دليل، فانتبه. فهذا مرض يحتاج إلى علاج. لا تجعل تعلقك بشيخك يُفسد إنصافك لغيره.

إذا رَبَّى كل داعية تلاميذه على ألا يثقوا إلا به، تحولت الجماعة إلى مجموعات متباعدة، وصار بعض الطلاب ينظر إلى بعض بالريبة، وضَعُف التعاون بين الإخوة. وبدلا من أن يجمعهم العلم

والإخلاص، تفرقهم العصبية للأشخاص. وهذا من أعظم ما ينبغي الحذر منه في العمل الدعوي.

من واجب المعلم أن يحذر تلاميذه ممن لا يؤتمن على تعليم الدين، وأن يرشدهم إلى من يثق بعلمه ودينه. ولكن لا ينبغي له أن يجعل هذا التحذير ذريعة لصرفهم عن كل عالم ثقة سواه. فاحذر أن تخلط بين حماية الطالب من الخطإ وحماية مكانتك الشخصية من المنافسة. ومن أراد أن يتعلّم من أكثر من شيخ، فليتثبت من علم من يأخذ عنه ودينه.

قد يدخل الشيطان على الداعية من باب الغَيرة على العلم، فيجعلها غَيرة على نفسه ومكانته. وقد يدخل على التلميذ من

باب محبة شيخه، فيحولها إلى تعصب وازدراء لغيره. فليحذر الطرفان. فليس كل ما تستحسنه النفس باسم الدين يكون صوابا، وليست كل غَيرة على العلم خالصة من حظوظ النفس.

إذا سمعت أن تلميذك حضر درسا لعالم ثقة، فافرح له، وإذا تعلّم مسألة جديدة فشجعه، وإذا نقل إليك فائدة لم تكن تعرفها فلا تستنكف من قبولها بعد التثبت من صحتها. فإن غايتك أن يعرف الحق ويعمل به، لا أن يبقى دونك في العلم إلى آخر عمره.

يا أهل العلم والدعوة، إننا نحتاج إلى أن نربي جيلا يحب العلماء ولا يتعصب للأشخاص، ويوقر مشايخه ولا يحتقر غيرهم، ويطلب الحق ولا يجعل نفسه أسيرا لحظوظ النفوس. وتذكروا أن الدعوة إلى الله

أعظم من أشخاصنا، وأن نجاح غيرنا في نشر العلم ليس خسارة لنا، بل هو خير ينبغي أن نفرح به.

فطوبى لمعلَم علم تلاميذه أن يحبوا الحق أكثر من حبهم لشخصه، وأن يحترموا أهل العلم ولو لم يكونوا من تلاميذه. وويل لمن جعل من العلم سببا لتفريق القلوب والعداوة بين الإخوان، ومن الدعوة ميدانا للتنافس على الدنيا والأتباع والمكانة فصار يغار من نجاح غيره من الدعاة، وينتقصهم ليصرف الناس عنهم ويربطهم بنفسه.

اللهم طهّر قلوبنا من العصبية والكِبر والحسد، واجعلنا من المخلصين الذين يفرحون بانتشار الخير على أيدي غيرهم كما يفرحون بانتشاره على أيديهم.

سالك الطريق إلى الله... كيف يدعو الناس ويرشدهم؟

يا طالب الطريق إلى الله، إذا وفقك الله لشيء من العلم، وأصبحت تعلّم الناس دينهم، أو تنصحهم، أو تأخذ بأيديهم إلى طاعة الله، فاعلم أنك تحمل أمانة عظيمة. فالناس لا يسمعون كلماتك فقط، بل ينظرون إلى أخلاقك وطريقة تعاملك معهم. وقد تكون ابتسامة منك سببا في إقبال إنسان على الخير، وقد تكون كلمة قاسية سببا في ابتعاده عن مجلسك سنوات طويلة.

عجيب أمر بعض الدعاة. يريد أحدهم أن يُحبّب الناس في الدين، ولكنه لا يكاد يتكلم إلا بالتهديد والتوبيخ والتخويف. يأتيه إنسان مُقصّر في الصلاة فيبدأ بتعنيفه وتنفيره، ويأتيه شاب يريد التوبة

فيذكره بماضيه، وتأتيه امرأة تريد تعلّم دينها فيشعرها أنها بعيدة عن الخير. ثم يتعجب لماذا لا يُقبِل الناس على مجالسه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا». يا لها من وصية عظيمة. فالداعي إلى الله ليس مطلوبا منه أن يُغير أحكام الدين أو يتساهل في الحرام، ولكنه مطالب بأن يُحْسِن عرض الحق، وأن يُراعي أحوال الناس، وأن يفتح أمامهم أبواب التوبة والطاعة، بدلا من أن يجعلهم يشعرون أن الطريق إلى الخير مغلق في وجوههم.

تذكر يا طالب الطريق أن الناس ليسوا في مرتبة واحدة. فمنهم من نشأ في بيت صالح وتعلّم دينه منذ الصغر، ومنهم من عاش سنوات

بعيدا عن الطاعة، ومنهم من يعاني مشكلات نفسية أو عائلية أو مادية، ومنهم من لا يعرف حتى أحكام الصلاة والوضوء. فكيف تخاطبهم جميعا بالأسلوب نفسه؟ إن الحكمة أن تعرف حال من أمامك، وأن تعطيه من العلم والتوجيه ما يحتاج إليه.

إذا جاءك إنسان يريد أن يتعلّم أو يتوب أو يصلح حاله، فلا تستقبله بالتعنيف والتقريع والتنفير. رحب به، وأشعره أنك سعيد بإقباله على الخير، ثم علمه ما يحتاج إليه. فقد تكون أنت أول من شجعه على الطاعة بعد سنوات من الغفلة. فلا تجعل أسلوبك حاجزا بينه وبين ما ينفعه في دينه.

لا تُحمّل المبتدئ من النوافل والأوراد ما لا يطيق، ولا تثقل عليه بتفاصيل لا يحتاج إليها في بداية تعلّمه. علمه ما يجب عليه من أمور دينه، وأعنه على أداء الواجبات وترك المحرمات، ثم شجعه على الزيادة من الخير بالتدرج. فالتيسير المحمود هو التيسير الموافق للشرع، لا إسقاط الواجبات أو إباحة المحرمات.

بعض المعلمين إذا دخل الطالب مجلسه شعر بالخوف والتوتر، لا بهيبة العلم وحدها، بل خوفا من الإهانة والسخرية. فإذا أخطأ في جواب فضحه أمام الجميع، وإذا سأل سؤالا بسيطا استهزأ به. يا أخي، كيف تريد أن يحب الناس العلم وأنت تجعل تعلّمه تجربة مؤلمة؟

اجعل مجلسك مجلس علم وأدب وطمأنينة، يشعر فيه المبتدئ أنه يستطيع السؤال دون خوف من الإهانة.

قد يأتيك شاب لا يعرف كيف يصلي، أو رجل لا يحسن قراءة الفاتحة، أو امرأة لا تعرف بعض أحكام دينها. فلا تنظر إليهم باستعلاء، ولا تقل: كيف بلغت هذا العمر وأنت لا تعرف؟ بل احمد الله أن وفقهم للسؤال والتعلّم. وتذكر أنك أنت أيضا تعلّمت ما تعرفه شيئا فشيئا، وأن الفضل لله الذي يسر لك من يعلمك. وإذا لم تعرف جواب سؤال فقل: لا أعلم، وسأسأل من هو أعلم مني. فالاعتراف بعدم العلم أمانة، وليس نقصا في مكانتك.

بعض الدعاة يريد من الإنسان الذي عاش سنوات في الغفلة أن يتغير كله خلال أيام. يطالبه بكثرة النوافل والأذكار وحضور المجالس، وبتغيير جميع عاداته دفعة واحدة، ثم إذا ضعف أو تعثر عاتبه بشدة. يا أخي، لا تؤخر عليه بيان ما يجب عليه، ولكن راع قدرته على التعلّم واكتساب العادات الصالحة. فإن التربية تحتاج إلى صبر وحكمة ومتابعة، وليس من الحكمة أن تُثقل عليه بما لم يوجبه الله.

لا تجعل حديثك كله في الترهيب. حدث الناس بالترغيب أيضا، حدثهم عن فضل الصلاة، وحلاوة الإيمان، وأجر الصدقة، وفضل تلاوة القرآن، وراحة القلب بالذكر، وعظيم ثواب الصابرين. واذكر

لهم أيضا ما يجب من التحذير من المعاصي وعواقبها. فإن الدعوة تجمع بين الترغيب والترهيب، ومن الحكمة أن تعرف متى تقدم هذا ومتى تقدم ذاك.

قد يأتيك إنسان ويخبرك بمعصية وقع فيها، وهو نادم يريد أن يعرف كيف يتوب. فلا تجعل اعترافه سببا في إذلاله، ولا تنشر خبره بين الناس، ولا تذكر قصته بطريقة يعرفه بها الآخرون. علمه شروط التوبة، وأعنه على إصلاح ما يستطيع إصلاحه، واحفظ أمانته، إلا إذا تعلق الأمر بحقوق الآخرين أو بضرر يستوجب اتخاذ إجراء مشروع لحمايتهم.

يا أخي، لماذا يظن بعض الدعاة أنّ العُبوس والتجهم من علامات الهيبة والوقار؟ ابتسم في وجوه طلابك، وسلم عليهم ببشاشة، واسأل عن أحوالهم، وأشعرهم أنك تحب لهم الخير. فالابتسامة لا تُنقّص من علمك، واللطف لا يُسقط من مكانتك. بل قد يجعل حسن خلقك الناس أكثر استعدادا للاستماع إلى نصيحتك والانتفاع بها.

هناك فرق كبير بين أن تقول لإنسان: يا أخي، هذا الفعل لا يجوز، وأسأل الله أن يعينك على تركه، وبين أن تقول له: أنت فاسد، لا خير فيك، وأمثالك لا يصلحون. الأولى نصيحة تبين الحق وتفتح باب الإصلاح، والثانية قد تكسر قلبه وتدفعه إلى اليأس. فكن

واضحا في بيان الحكم، رحيما في مخاطبة المخطئ، ولا تجعل إنكارك على المعصية سببا في إهانة صاحبها ونفوره من الحق.

قد يبدأ إنسان بالمحافظة على الصلاة، ثم يضعف فترة، أو يترك عادة سيئة ثم يعود إليها. فلا تُسارع إلى تحطيمه بالكلام القاسي، ولا تقل له إن محاولاته كلها ضاعت. ذكره بوجوب التوبة والرجوع إلى الطاعة، وشجعه على الاستمرار في مجاهدة نفسه. فإن التعثر لا ينبغي أن يتحول إلى استسلام دائم، وباب التوبة مفتوح لمن أراد الرجوع إلى الله.

قد تنصح إنسانا مرة ومرتين وعشر مرات، ثم لا يعمل بما قلت. فهل يعني هذا أن تغضب لنفسك أو تقاطعه أو تهينه؟ أنت مأمور

بالتبليغ والنصيحة بالحكمة، ولست مالكا لقلوب الناس. استمر في النصح عندما تكون فيه مصلحة، وغيّر أسلوبك إذا احتجت، واعلم أن الهداية والتوفيق بمشيئة الله. ولا تجعل عدم استجابة الناس سببا في فقد صبرك وحسن خلقك.

لا تجعل اهتمامك مقتصرا على الأغنياء وأصحاب المناصب أو مَن يُكثرون من مدحك وخدمتك. فقد يجلس في آخر المجلس شاب فقير يحتاج إلى كلمة تشجيع، أو رجل كبير السن لا يعرف أحدا، أو إنسان جديد يخجل من السؤال. تفقد هؤلاء، وأشعرهم بأنهم مرحب بهم، فإن كرامة الإنسان عندك لا ينبغي أن تقاس بماله أو مكانته.

قد يوفقك الله إلى تعليم الناس، ويكثر طلابك ومتابعوك، ويثني الناس عليك، فتجد نفسك شيئا فشيئا تحب المدح وتغضب إذا لم يذكروك. يا طالب الطريق، انتبه إلى قلبك. لا تجعل عدد الحاضرين أو المتابعين مقياسا لقيمتك عند الله. جدد نيتك، واسأل الله الإخلاص، وافرح بانتفاع الناس ولو كان الخير على يد غيرك.

قد تكون عندك معلومات كثيرة، ولكن ليس من الحكمة أن تقول كل ما تعرفه في كل مجلس. إذا كان أمامك مبتدئون فخاطبهم بما يفهمون، وإذا كان الوقت قصيرا فاختصر، وإذا لاحظت التعب على الحاضرين فراع حالهم. فإن حسن التعليم ليس بكثرة الكلام

وحدها، بل بوصول المعنى إلى القلب والعقل، وبأن يخرج الطالب وقد فهم ما يحتاج إليه.

كيف تدعو الناس إلى التواضع وأنت متكبر عليهم؟ وكيف تحدثهم عن الرحمة وأنت قاس معهم؟ وكيف تأمرهم بحفظ اللسان وأنت تُكثر من الغيبة والسخرية؟ يا طالب الطريق، إن الناس يراقبون أفعالك كما يسمعون أقوالك. فاجتهد أن يكون سلوكك شاهدا على صدق دعوتك، وإذا أخطأت فبادر إلى التوبة والإصلاح، ولا تستكبر عن الاعتذار لمن أسأت إليه.

من أجمل ثمار حسن الدعوة أن يخرج الإنسان من مجلسك وهو يحب أن يعود إليه، وقد ازداد علما وأملا وعزيمة على الطاعة. فلا

تجعل مجلسك ثقيلا بكثرة التوبيخ والانتقاد، ولا فارغا من العلم بحجة التيسير. اجمع بين الفائدة والتشويق، وبين بيان الأحكام والرحمة بالناس، حتى تكون مجالس العلم سببا في إقبالهم على الخير.

يا مَن تعلّم الناس وترشدهم، اسأل نفسك: هل يشعر طلابك بالراحة عندما يجلسون معك؟ هل يجرؤون على سؤالك إذا جهلوا مسألة؟ هل يجدون منك التشجيع إذا ضعُفوا؟ أم أنهم يخافون من غضبك وانتقاداتك؟ راجع أسلوبك، فقد يكون في طريقة تعاملك مع الناس ما يحتاج إلى إصلاح أكثر من حاجتك إلى زيادة المعلومات.

ابدأ من اليوم بتغيير شيء في دعوتك. ابتسم أكثر، واستمع أكثر، وقلل من التوبيخ، وشجع المبتدئين، وراع أحوال الناس، وأظهر لهم رحمة الإسلام وجمال الطاعة. وإذا رأيت إنسانا مقصرا، فلا تنظر إليه باحتقار، بل انظر إليه بعين الرحمة والرغبة في إصلاحه، واذكر فضل الله عليك إذ وفقك إلى ما أنت فيه من الخير.

يا سالك الطريق إلى الله، تذكر أنك لا تدعو الناس إلى نفسك، ولا إلى شهرتك، ولا إلى مكانتك، بل تدعوهم إلى طاعة الله. فليكن همك أن يخرج الإنسان من عندك وهو أقرب إلى الخير، وأكثر معرفة بدينه، وأشد رغبة في إصلاح نفسه. وإذا انتفع بغيرك من أهل العلم

الثقات فافرح، وإذا تقدّم في الطاعة فشجعه، وإذا تعثّر فأعنه على النهوض.

تذكر أن الإنسان الذي تجلس معه اليوم قد يكون بعيدا عن الطاعة، ولكنه ربما يصبح بعد سنوات من أهل العلم والصلاح، وقد يكون مقصرا الآن ثم يوفقه الله إلى توبة صادقة يسبقك بها في الخير. فلا تحتقر أحدا، ولا تيأس من إصلاح أحد. فكم من إنسان تغير حاله بعد أن ظن الناس أنه لا يتغير.

يا سالك الطريق إلى الله، كن رحيما بمن تعلّم، صبورا على مَن تُرشِد، متواضعا مع من ينصحك، مشجعا لمن بدأ، معينا لمن تعثر، ومبشرا لمن تاب. ولا تنس أن الحكمة ليست في أن تقول الحق فقط، بل

في أن تحسن بيانه وتختار له الأسلوب والوقت المناسبين، دون تضييع واجب أو سكوت عما يجب بيانه.

فليكن شعارك في الدعوة: أُبيّن الحق ولا أخفيه، وأُحذّر من الحرام ولا أهون شأنه، ولكنني أفتح للناس أبواب الأمل، وأحببهم في الطاعة، وآخذ بأيديهم برفق وحكمة إلى ما يرضي الله.

أسأل الله أن يجعلك مِفتاحا للخير، وأن يرزقك الحكمة والرفق والصبر وحسن الخلق، وأن يُطهّر قلبك من الكِبر والعجب وحب الظهور، وأن يجعل كلماتك سببا في هداية الحائرين وتوبة المذنبين وتشجيع المقصرين، وأن يعينك على تعليم الناس ما ينفعهم، وأن يجعلك من الدعاة المخلِصين الذين يُحببون عباد الله في طاعته.

صفات الداعية الناجح... كيف يفتح القلوب ويكسب ثقة الناس ويحببهم في العلم والطاعة؟

ليس الداعية الناجح من يحسن الكلام على المنبر فحسب، بل من يُحسن التعامل مع الناس إذا نزل من المنبر. تراه بشوش الوجه، طيب الكلام، حسن المظهر، متواضعا في مجلسه، رحيما بالضعفاء، حكيما في نصيحته. فالدعوة إلى الله ليست ساعة تقضيها في إلقاء درس فحسب، وإنما رسالة تظهر آثارها في أخلاقك وحياتك ومعاملاتك.

قد يأتيك إنسان لا يحتاج في تلك اللحظة إلى درس طويل، بل إلى ابتسامة، أو كلمة تشجيع، أو من يستمع إلى همومه، أو من يسأل

عنه بعد غياب. والداعية الحكيم يفهم أن لكل إنسان ظروفه وحاجاته، فلا يعامل الناس جميعا بطريقة واحدة، بل يعطي كل موقف ما يناسبه من العلم والحكمة والرحمة.

ليس المطلوب من الداعية أن يبحث عن محبة الناس لأجل الشهرة والمكانة، ولكن من الخير أن يكون حسن المعاشرة، يألفُه الناس ويستريحون إليه، ويجدون عنده النصح والرحمة والإنصاف. فكم من إنسان أحب مجالس العلم بسبب حسن معاملة معلمه، وكم من شاب أقبل على الطاعة بعدما وجد من يأخذ بيده برفق وصبر.

ليس النجاح في الدعوة بكثرة الحاضرين وحدها، ولا بعدد المتابعين والمشاهدات، وإنما من أعظم ثمراته ما يتحقق من نفع صحيح

للناس. قد تعلّم إنسانا الفاتحة، أو تساعد شابا على المحافظة على الصلاة، أو تُصلح بين زوجين، أو تُواسي مهموما. هذه أعمال قد لا يسمع بها الجمهور، ولكنها من ثمرات الدعوة المباركة.

ولا يكفي أن يكون الداعية لبقا في كلامه وحسنا في معاملته، بل لا بد أن يكون على علم صحيح بما يُعلّمه، وأن يتثبّت مما ينقله، وألا يتصدى لما لم يتأهل له. فالعلم والإخلاص وحسن الخلق أُسُس لا يستغني بعضها عن بعض.

الداعية الناجح إذا دخل مجلسا سلم على الحاضرين، وأقبل عليهم بوجه طلق، وجلس بتواضع، ولم يُشعرهم بأنه ينتظر منهم التعظيم. لا يتصنع الهيبة، ولا يتكلف الوقار، ولا يجعل الناس يخافون من

الاقتراب منه. بل يجمع بين الاحترام والبشاشة، وبين الوقار والأُلفة. فما أجمل أن يكون حضورك سببا في ارتياح الناس، لا في توترهم.

من حسن أدب الداعية أن يعتني بنظافة بدنه وثيابه، ورائحة فمه، وترتيب مظهره، بما يوافق أحكام الشرع. فلا يُهمِل نفسه بحجة الزهد، ولا يبالغ في الزينة طلبا لإعجاب الناس. وليس المقصود الثياب الغالية ولا المظاهر الفاخرة، بل النظافة والترتيب وحسن الهيئة.

لا تستصغر أثر الابتسامة. قد يدخل شاب إلى المركز الإسلامي وهو متردد، لا يعرف أحدا، فيلقاه داعية بوجه بشوش وكلمة ترحيب، فيشعر بالأمان ويحب العودة. وربما كان هذا اللقاء بداية

طريق طويل من التعلّم والطاعة. فلا تبخل بابتسامتك، ولا تجعل العُبوس علامة على التديّن. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ».

الداعية الحكيم لا يخاطب الطفل كما يخاطب الرجل الكبير، ولا يخاطب المبتدئ كما يخاطب طالب العلم المتقدم، ولا يُحدّث المهموم كما يُحدّث من جاء يسأل عن مسألة علمية. إنه يختار الألفاظ التي يفهمها السامع، ويبتعد عن التكلف حيث يحتاج المقام إلى التبسيط. فليس المهم أن تظهر سعة علمك، بل أن تصل المعلومة صحيحة واضحة إلى من أمامك.

من الحكمة أن تختار الوقت المناسب للموعظة، والمجلس المناسب للدرس، والموضع المناسب للتعليق، فليست الحكمة في كثرة الكلام، بل في وضع الكلام في موضعه. قد تجلس مع عائلة فتسمع أخبارها، وتشاركها فرحتها، وتسأل عن أحوال أولادها، دون أن تحول الجلسة كلها إلى محاضرة. الداعية الناجح يعرف أن الصمت في موضعه حكمة، وأن حسن الاستماع قد يفتح له بابا إلى القلوب لا يفتحه كثرة الكلام.

لا تجعل علاقتك بالناس مقتصرة على المسجد أو المركز الإسلامي. زر المريض، وواس أهل المصاب، وهنئ مَن رُزق مولودا، واسأل عن الغائب، وتفقد من انقطع عن الدروس. وإذا علمت أن أحد

طلابك يمر بظرف صعب، فاتصل به واطمئن عليه. هذه الزيارات والاتصالات ليست أمورا هامشية، بل من حسن المعاشرة، وقد تكون سببا في توثيق المحبة والثقة.

من جميل أخلاق الداعية أن يهتم بمن حوله اهتماما حقيقيا. يسأل الشاب عن دراسته، والأب عن أولاده، والمريض عن صحته، دون تطفّل على خصوصياتهم. ويُنادي الناس بأسمائهم التي يحبونها. فهذه التفاصيل البسيطة تُشعر الإنسان بأنه ليس مجرد رقم بين الحاضرين، بل شخص له مكانته وكرامته.

قد ترى إنسانا مخطئا، ولكن الوقت لا يكون مناسبا لنصيحته. ربما كان غاضبا، أو حزينا، أو أمام جمع من الناس، فيكون تأخير

النصيحة أولى إذا لم يترتب على التأخير تضييع واجب أو وقوع ضرر. والداعية الحكيم يراعي حال المنصوح، ويختار من الأساليب ما يعينه على قبول الحق. فليست الحكمة في معرفة ما تقول فقط، بل في معرفة متى تقوله وكيف تقوله.

إذا وعدت إنسانا بزيارة أو اتصال أو مساعدة، فاحرص على الوفاء بوعدك. وإذا لم تستطع، فاعتذر وأخبره. ولا تَعِد الناس بكل ما يطلبونه منك طلبا لإرضائهم في اللحظة نفسها. فالداعية الناجح يحافظ على الثقة التي بينه وبين الناس، ويعرف أن المصداقية تبنى بالأفعال، لا بالكلمات الجميلة وحدها.

لا تجعل اهتمامك مقصورا على الأغنياء وأصحاب المناصب ومن يكثرون الثناء عليك. سلم على العامل البسيط، واجلس مع الفقير، وأكرم المُسِن، وشجع الطفل، وأحسن إلى من لا تنتظر منه منفعة دنيوية. فالتواضع الحقيقي يظهر عندما تعامل من لا يملك جاها ولا مالا بالاحترام نفسه الذي تعامل به أصحاب المكانة.

الداعية الناجح لا ينتظر من الشباب أن يفكروا بالطريقة نفسها التي يفكر بها كبار السن. يحاول فهم واقعهم، وما يواجهونه من تحديات في الدراسة والعمل والإنترنت والعلاقات الاجتماعية. يسمع أسئلتهم دون استهزاء، ويجيبهم بعلم وحكمة، ويستعمل الوسائل المباحة التي تساعده على الوصول إليهم. ولا يظن أن كل

شاب مُقصّر إنسان لا يُرجى منه خير، بل يبحث عن الخير الذي يمكن تنميته فيه.

إذا جاءك إنسان يشكو مشكلة زوجية، أو معصية يريد التوبة منها، أو أمرا خاصا في حياته، فلا تجعل قصته مادة للحديث في المجالس. احفظ خصوصيته، ولا تذكر ما يؤدي إلى التعرف عليه. فالثقة أمانة، ومن أخطر ما يفعله الداعية أن يستغل ما يسمعه من أسرار الناس للتسلية أو التشهير أو إظهار معرفته بأحوالهم.

إذا رأيت شابا بدأ يحضر دروس العلم، فشجعه ولو كان علمه قليلا. وإذا رأيت إنسانا يحاول إصلاح نفسه، فأعنه ولا تذكّره بأخطائه الماضية كلما لقيته. وإذا تقدّم طالب في حفظ القرآن أو

تعلّم الأحكام، فأثن على اجتهاده بصدق. فالداعية الناجح يعرف أن النفوس تحتاج إلى التشجيع، وأن كلمة طيبة في وقتها قد تدفع الإنسان إلى مواصلة طريق الخير.

ليس من حسن المعاشرة أن يكون الداعية دائم الشكوى من الناس، يتذمر من قلة الحضور، وينتقد العاملين معه، ويحدّث كل من يلقاه عن تقصير الآخرين. نعم، قد توجد مشكلات حقيقية تحتاج إلى علاج، ولكن معالجتها لا تكون بنشر الإحباط في كل مجلس. كن واقعيا في تشخيص الأخطاء، ومتفائلا بإمكان الإصلاح، وابحث عن الحلول بدلا من الاكتفاء بالشكوى.

من علامات نجاح الداعية أنه لا يريد أن يبقى الناس محتاجين إليه في كل صغيرة وكبيرة. يعلّم طلابه، ويشجع المجتهدين منهم، ويفرح إذا صار أحدهم مؤهلا لتعليم غيره. ويهيئ من يستطيع تحمل المسؤولية بعده، ولا يغار من تقدمهم. فالدعوة ليست مرتبطة بشخص واحد، ومن أعظم ثمرات المعلم أن يرى طلابه ينفعون الناس بما تعلّموه.

إذا علمت أن داعية آخر من أهل العلم الثقات يقيم درسا نافعا، فشجع الناس على الانتفاع به. وإذا نجح غيرك في عمل دعوي صالح، فافرح له وادع له بالتوفيق. وإذا احتاج زميلك إلى مساعدة تستطيع تقديمها، فلا تبخل عليه. ولا تجعل اختلاف الأساليب أو

تعدد المجالس سببا للتنافس المذموم. إن الداعية الناجح يحب انتشار الخير، سواء تحقق على يده أو على يد غيره.

لا يكفي أن تكون لطيفا مع الغرباء، بينما يعاني أهل بيتك من غضبك وإهمالك وقسوتك. اجعل لزوجتك وأولادك نصيبا من وقتك وابتسامتك وصبرك. واستمع إلى مشكلاتهم، واعتذر إذا أخطأت، ولا تجعل انشغالك بالدعوة ذريعة لتضييع حقوقهم. فليس من النجاح أن تكسب محبة جمهور واسع، وتخسر المودة والطمأنينة داخل بيتك بسبب سوء معاملتك.

الداعية الناجح لا يظن أنه بلغ الكمال في العلم أو الأخلاق أو الأسلوب. يراجع دروسه، ويُحسّن طريقة عرضه، ويستفيد من

تجارب غيره، ويسأل أهل العلم فيما يجهله، ويقبل النصيحة ممن ينصحه بصدق. وإذا اكتشف خطأ في كلامه أو تصرفه، رجع عنه دون مُكابَرة. فالدعوة مسؤولية عظيمة، ومن أراد الاستمرار في نفع الناس فعليه أن يستمر في إصلاح نفسه.

قد لا تستطيع أن تعلّم كل إنسان درسا طويلا، ولكنك تستطيع أن تسلم عليه، وتبتسم في وجهه، وتدعو له، وتقول له كلمة طيبة. فلا تستصغر هذه الأعمال، فإنك لا تدري أي كلمة ستبقى في قلب صاحبها، وأي موقف سيجعله يحب مجالس العلم ويُقبِل على الطاعة.

يراقب الناس تصرفات الداعية كما يسمعون كلماته. يرون كيف يتعامل مع المُخالِف، وكيف يعامل الفقير، وكيف يتصرف عند الغضب، وكيف يحفظ الأمانة، وكيف يتواضع إذا مدحه الناس. فاحرص على أن تكون أخلاقك شاهدة لما تدعو إليه، لا مُناقِضة له.

ليس نجاح الداعية أن يعرفه الناس جميعا، ولا أن يتحدثوا عن فصاحته، ولا أن تكثر صوره ومقاطع دروسه. إنما من نجاحه أن يكون صادقا مع الله، مستقيما على شرعه، نافعا لعباده، وأن يبذل وسعه في تعليم الخير بالحكمة والرحمة. فقد ينفع الله بداعية لا يعرفه إلا القليل، ويكون أثره عظيما.

أيها الداعية إلى الله، اجعل الناس إذا رأوك اطمأنوا، وإذا جالستهم استراحوا، وإذا نصحتهم شعروا أنك تريد لهم الخير، وإذا غبت عنهم افتقدوك، وإذا ذكروك دعوا لك. لا تسع إلى أن تكون أعظم الناس في أعينهم، بل اسع إلى أن تكون من أنفع الناس لهم. فالداعية الناجح لا يفتح أبواب المسجد للناس فحسب، بل يفتح لهم قلبه أيضا، ويعينهم على سلوك الطريق إلى الله.

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، والعلم النافع، والحكمة في الدعوة، والرحمة بعبادك، والصبر على تعليمهم ونصحهم. اللهم حسّن أخلاقنا، وطهر قلوبنا من الكبر والحسد والرياء وحب

الظهور، واجعلنا من الذين يدُلّون على الخير ويعملون به، وأعنا على أداء أمانة الدعوة، وتوفّنا وأنت راض عنا.

الحكمة في تبليغ الدعوة

ليس كل من سمع العلم فهمه. أيها الداعية إلى الله، تذكر أن الناس يتفاوتون في عقولهم وأفهامهم ومستوياتهم العلمية. فما يفهمه طالب العلم المتقدّم بسهولة قد يستغلق على المبتدئ، وما يستوعبه مَن درس سنوات قد يُسيء فهمه من يسمعه لأول مرة. فليس المهم أن تقول كل ما تعرفه، بل أن تعلّم الناس ما يحتاجون إليه، بالطريقة التي يستطيعون فهمها فهما صحيحا.

لكل مقام مقال. من حكمة الداعية أن يعرف ماذا يقول، ولمن يقول، ومتى يقول، وكيف يقول. فقد تكون المسألة صحيحة في

نفسها، ولكن عرضها أمام غير أهلها، أو دون بيان مقدماتها وشروطها، قد يؤدي إلى سوء الفهم والاضطراب. فالعلم أمانة، ومن أداء الأمانة أن تراعي حال السامع، لا أن تكتفي بصحة المعلومة التي تلقيها عليه.

الإنترنت ليس كُلّية شرعية. أيها الداعية، عندما تنشر مسألة على وسائل التواصل الاجتماعي، تذكر أنك لا تخاطب طلاب العلم وحدهم. فقد يقرأ كلامك عالم ومتخصص، ومؤمن وكافر، وشاب حديث العهد بالتعلّم، وإنسان لا يعرف إلا القليل من أحكام الدين. فلا تفترض أن كل من يشاهد منشورك يعرف المقدّمات والقيود والاستثناءات التي تعرفها أنت.

انظر إلى من يجلس أمامك. قبل أن تبدأ درسك، تأمل أحوال الحاضرين. هل هم مبتدئون أم طلاب علم متقدمون؟ هل يعرفون أساسيات المسألة أم يسمعون بها لأول مرة؟ هل جاؤوا لتعلّم أحكام يحتاجون إليها في حياتهم، أم لحضور بحث علمي متخصص؟ لا تجعل الدرس الذي يصلح للمتقدمين هو نفسه الذي تلقيه على عامة الناس دون تعديل. فالمعلّم الناجح يراعي المادة العلمية وقدرة المتعلّمين على فهمها معا.

ابدأ بالأساس قبل التفصيل. لا تقفز بالطالب إلى المسائل الدقيقة قبل أن يُتقن أصولها. علمه أولا العقيدة الصحيحة، وما يحتاج إليه من أحكام الطهارة والصلاة وسائر الواجبات، ومن الحلال والحرام،

ثم تدرج به بحسب استعداده. فكما لا تطلب من طفل أن يحل مسائل رياضية معقدة قبل أن يتعلّم الحساب، لا ينبغي أن تُثقل على المبتدئ بمسائل لا يستطيع فهمها. إن البناء المتين يبدأ بأساس صحيح.

ليست كثرة التفاصيل فضيلة في كل مقام. قد تشرح مسألة في عشر دقائق فيفهمها الناس، ثم تستمر في ذكر احتمالات بعيدة واستثناءات نادرة وخلافات وتفريعات، حتى يختلط عليهم ما فهموه. فتكون قد أضعفت وضوح الدرس بدلا من أن تزيد فائدته. يا أخي، أحيانا يكون الاختصار المُحكم أبلغ في التعليم من الشرح

الطويل، ما دام يؤدي المعنى الصحيح ولا يحذِف ما يحتاج إليه السامع.

احذر أن تنقل وسوستك إلى طلابك. إذا كان المعلم كثير الشك والتردد، يبالغ في الاحتمالات وتوليد المسائل، فقد تنتقل طريقته إلى طلابه، فيصير بعضهم يشك في عباداته دون سبب معتبر، ويتردد في أبسط المسائل. فليتعلّم المعلّم التفريق بين الاحتياط المشروع والشكوك غير المعتبرة، وليعالج ما قد يكون عنده من وسوسة، حتى لا يجعل اضطرابه منهجا يتعلّمه غيره.

لا تنغص على الناس طمأنينة عبادتهم. قد يكون الإنسان محافظا على الصلاة والوضوء، يؤدي عبادته على الوجه الصحيح الذي

تعلّمه، ثم يسمع درسا يُكثر فيه المعلم من الصور النادرة والاحتمالات البعيدة وتوليد المسائل التي لا تخطر على بال أغلب الناس فيتوسوس الطالب ويعيد الوضوء والصلاة بلا سبب شرعي، ويخاف ويضطرب وينفر من وسوسته وشيخه هذا الأهل والأصحاب. إن تعليم العلم أمر عظيم، ولكن ينبغي الرفق والشفقة ومراعاة فهم ومستوى المستمع، ولا تجعل أسلوبك في التعليم سببا في أن يخرجوا من مجلسك وهم يظنون أن صحة العبادة أمر يكاد يستحيل تحقيقه، فينفروا من تعلّم العلم، ويتهاونوا في أداء الواجبات، ويرضَوْا بالبقاء على الجهل.

قد تكون المعلومة صحيحة وطريقة عرضها خاطئة. قد تنشر حكما شرعيا صحيحا، ولكنك تقتطع منه جزءا، أو تحذف شروطه، أو تعرضه بعنوان مثير، فيفهم الناس غير ما أردت. ثم تقول: «أنا لم أقل إلا الحق». نعم، ولكن هل أوصلت الحق كما ينبغي؟ إن مسؤولية الداعية لا تنتهي عند صحة العبارة، بل تشمل العناية بسياقها ووضوحها، وبما يغلب على الظن أن الجمهور سيفهمه منها.

لا تنشر كل ما يُثير الاستغراب. قد تقرأ في كتب الفقه مسألة دقيقة أو صورة نادرة تستغربها عامة الناس، فتسارع إلى نشرها لأنها تجذب الانتباه وتُثير التعليقات. ولكن هل فكرت في أثرها؟ قد يسيء

بعضهم فهم الحكم، وقد يسخر آخرون من الدين بسبب عرض مبتور، وقد يظن المبتدئ أن هذه المسائل هي جوهر العلم الشرعي. ليس كل ما يجذب المشاهدات مناسبا للنشر العام، ولا ينبغي أن تتقدم الإثارة على المصلحة التعليمية.

وسائل التواصل ليست مجلسا مغلقا. عندما تتكلم في حلقة علمية محدودة، تستطيع أن تعرف مستوى طلابك، وأن تُجيب عن أسئلتهم، وأن تصحح سوء فهمهم. أما على الإنترنت، فقد ينتشر كلامك خارج سياقه، ويصل إلى آلاف لا تعرف أحوالهم، ويُترجم إلى لغات أخرى، ويُقتطع منه مقطع قصير دون مقدماته. فكن أكثر

عناية بصياغة ما تنشره، واجعل المسائل الدقيقة في مواضعها المناسبة، مع ما يلزم من شرح وبيان.

لا تجعل عدد المشاهدات معيارا للنجاح. قد يحصد مقطع يتناول مسألة غريبة مئات الآلاف من المشاهدات، بينما لا يشاهد درسا في أهمية الصلاة أو بر الوالدين إلا عدد قليل. فهل معنى ذلك أن المقطع الأول أنفع؟ ليس بالضرورة. قد تكون كثرة المشاهدات بسبب الاستغراب أو الجدل أو السخرية. فليكن معيارك الأول صحة العلم وحاجة الناس إليه وحسن أثره، لا مجرد عدد المشاهدات والتعليقات والمشاركات.

إذا ظهرت الوسوسة فراجع طريقة التعليم. إذا لاحظت أن بعض طلابك صاروا يُكرّرون الأسئلة نفسها بصورة مُرهقة، أو يشكون في صحة عباداتهم باستمرار، فلا تزدهم تفريعات جديدة كلما سألوا. بيّن لهم القواعد الشرعية المناسبة، وشجعهم على عدم الاسترسال مع الشكوك غير المعتبرة. وإذا بلغت الوسوسة حدا يُعطّل حياتهم أو عباداتهم، فقد يحتاجون إلى مساعدة متخصصة إلى جانب التوجيه الشرعي.

وكم من طالب علم أصيب بوساوس شديدة كادت تذهب بعقله، فتحولت حياته إلى معاناة نفسية، وكان من أسباب ذلك أن معلّمه لم يُراع مستوى فهمه، ولم يُشفق على حاله، فأغرقه في التفريعات

والاحتمالات والتشديدات وتوليد المسائل، وفتح عليه أبواب الشكوك التي لم تكن تخطر له على بال. دخل الطالب مجلس العلم يريد أن يتقرب إلى الله، فإذا به يخرج خائفا من عباداته، شاكا في وضوئه وصلاته، فاقدا لذة الطاعة وطمأنينة القلب. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فيا أيها المعلم، يا أيها الشيخ، يا أيها الداعي، يا أيها المدرس، اتق الله في عقول طلابك ونفوسهم. إنك مؤتمن على تعليمهم، وليس كل ما تعرفه يصلح أن تقوله لهم، ولا كل ما يستطيع عقلك استيعابه تستطيع عقولهم استيعابه. ورُبَّ كلمة قيلت بغير حكمة فبقي أثرها المؤلم في نفس سامعها سنوات، ورُبَّ أسلوب مُنفّر جعل

الطالب وأهله وأصدقاءه ينصرفون عن مجالس العلم، ويحذر بعضهم بعضا من التعلّم عند أصحاب ذلك الأسلوب.

قبل أن تنهي درسك، حاسب نفسك. هل عرف الحاضرون الحكم الذي يحتاجون إليه؟ هل فهموا ما يجب عليهم فعله؟ هل بيّنت لهم ما يُزيل الإشكال، أم تركتهم مع احتمالات كثيرة؟ وهل كان كلامك مناسبا لمستوياتهم؟ فالداعية الناجح لا يقيس درسه بطوله وكثرة مسائله، بل بوضوح ما تعلّمه الناس، وصحة ما فهموه، وقدرتهم على العمل به.

العلم النافع يقترن بالرحمة والحكمة. أيها الداعية، تذكر أن الناس يأتون إلى مجالس العلم ليعرفوا كيف يعبدون الله على الوجه

الصحيح، لا ليعيشوا في خوف دائم من بطلان عباداتهم. فعلمهم ما يحتاجون إليه، وبيِّن لهم الأحكام بأمانة، وراع تفاوت أفهامهم. فإن من الرحمة بالمتعلّمين أن تفتح لهم أبواب الفهم، لا أبواب الشك والوسوسة.

قبل أن تضغط زر النشر اسأل نفسك: هل هذه المسألة يحتاج إليها عامة الناس؟ هل سيفهمونها على وجهها الصحيح؟ هل تحتاج إلى مقدمات أو شروط لا يتسع لها المنشور؟ هل يوجد أسلوب أوضح لبيانها؟ وهل نشرها في هذا الموضع أنفع من تأجيلها إلى درس متخصص؟ فإن الكلمة إذا انتشرت قد يصعب تَدارُك آثارها.

أيها الداعية إلى الله، ليس من الحكمة أن تُفرِغ كل ما في قلبك من معلومات في رؤوس الناس، وخاصة على الإنترنت. انظر إلى أفهامهم ومستوياتهم وما يحتاجون إليه، ثم أعطهم من العلم ما ينفعهم ويستطيعون استيعابه. وتذكر أن الداعية الناجح ليس من يقول كل ما يعلم، بل من يعرف ما ينبغي أن يقال، ولمن يقال، وكيف يقال، ومتى يقال.

اللهم ارزقنا العلم النافع والحكمة في تبليغه، واجعلنا رحماء بعبادك، بصيرين بأحوالهم، مُوَفَّقين إلى تعليمهم ما ينفعهم. اللهم جنبنا الغلو والوسوسة والتشديد بغير حق، وأعنا على بيان أحكام دينك بيانا

صحيحا واضحا، واجعل مجالسنا سببا للهداية والطمأنينة، ولا تجعلنا سببا في حَيرة أحد أو تنفيره من الخير، وتوفنا وأنت راض عنا.

أمراض بعض الدعاة إلى الله

حديثنا عن أمراض بعض الدعاة إلى الله ليس انتقاصا من قدر الدعاة الصادقين، ولا طعنا في أهل العلم والفضل، وإنما هو نُصح وتوجيه وتذكير، حرصا على سلامة الدعوة وإصلاح النفوس. فالمقصود معالجة الأخطاء لا التشهير بأصحابها، والإصلاح لا إعطاء الذرائع للطعن في أهل الدعوة.

إلى كل داعية إلى الله، وإلى كل من يريد الإصلاح: إن هذا الكلام ليس موجها إلى شخص بعينه، وإنما هو نُصح عام ودعوة إلى محاسبة النفس. فمن وجد فيه ما ينطبق على بعض تصرفاته، فليجعله وقفة

صدق مع نفسه، ولا يحملنّه الكبر على رد النصيحة. ومن لم يجد في نفسه شيئا من هذه الأمراض، فليحمد الله، وليسأله الثبات.

وليعلم بعض الدعاة أن مكانتهم في قلوب الناس لا تعني أنهم فوق النصيحة والمحاسبة. فقد تمادى بعض المنتسبين إلى الدعوة في الفظاظة والتنفير وسوء المعاملة، حتى صاروا سببا في ابتعاد أناس عن مجالس العلم. فلتكن هذه الكلمات تنبيها لمن غفل، وتذكيرا بأن الدعوة أمانة وليست امتيازا، وأن توقير أهل العلم لا يعني السكوت عن أخطائهم، كما أن بيان أخطائهم لا يُبيح الطعن فيهم بغير حق.

وهذه التوجيهات نافعة أيضا لمن يريد دخول مَيدان الدعوة، وللمعلمين والدعاة الجدد، حتى يتعرفوا إلى أخطاء وقع فيها غيرهم فيتجنبوها. فقد يكون الداعية حريصا على الخير، ولديه قدر من العلم، ولكنه لم يتلقّ توجيها كافيا في حسن التعامل مع الناس وتربية النفوس. ومن الحكمة أن يتعلّم الإنسان من أخطاء غيره قبل أن يقع فيها بنفسه.

وأرجو ألا يحمل أحد كلامي على غير محمل النُصح والشفقة، أو يظن أن بيني وبين بعض الدعاة خصومة أريد تصفيتها بهذه الكلمات. فوالله ما قصدت شخصا بعينه، ولا أردت الانتقاص من أحد، وإنما أردت توجيها عاما نابعا من الحرص على الدعوة المحمدية

وصيانة مكانة أهل العلم وحماية الناس من التنفير عن مجالس الخير. وإنني لأفرح بكل داعية صادق ينفع الله به عباده. فغايتنا أن نصلح لا أن نجرح، وأن نبني لا أن نهدم.

الدعوة ليست كلاما فقط. ليس كل من حفظ العلم وأتقن الخطابة أحسن الدعوة إلى الله. فقد يكون الرجل واسع العلم، قوي الحجة، ولكنه ينفر الناس بأخلاقه وتصرفاته. فالدعوة ليست مجرد كلمات تلقى، بل أمانة تحتاج إلى علم وإخلاص وحكمة ورحمة وحسن معاملة.

من أخطر ما يصيب العمل الدعوي أن يكون بعض المنتسبين إليه سببا في نفور الناس من مجالس العلم والطاعة. فرُبَّ شاب جاء

مشتاقا إلى التعلّم، فقابله داعية بالفظاظة والاستعلاء، فخرج مكسور الخاطر. فليتق الله من جعل نفسه بابا يمر الناس منه إلى مجالس العلم.

من العجيب أن يزداد الإنسان علما، ولا يزداد تواضعا. يحفظ المسائل ويتقن المتون، ولكنه لا يتحمل سؤال جاهل، ولا يصبر على خطإ مبتدئ، ولا يقبل النصيحة من أحد. فليسأل نفسه: ماذا صنع العلم بقلبي؟ وهل جعلني أكثر تواضعا وخشية لله، أم أصبح سببا لإعجابي بنفسي؟

لا ينبغي أن يكون الداعية بشوشا متواضعا أمام الناس، فإذا دخل بيته تحول إلى إنسان فظ غليظ، يهين زوجته ويظلم أولاده. ليس

المطلوب أن تمثّل الأخلاق أمام الجمهور، بل أن تعيشها بصدق في بيتك وخارجه. وإذا أردت أن تعرف شيئا من حقيقة أخلاقك، فلا تكتف بثناء جمهورك عليك، بل انظر إلى معاملتك لأهلك ولمن يعمل معك ولمن لا تحتاج منه إلى شيء.

بعض الدعاة يظن أن الهيبة في العُبوس، وأن كثرة التبسم تُنقص من مكانته، فتراه لا يكاد يبتسم، ويستثقل محادثة الناس. يا أخي، ليس الوقار مُرادفا للعُبوس، ولا الابتسامة دليلا على الخِفّة. قد تفتح بوجه طلق قلبا لم تفتحه محاضرات طويلة.

يأتيك إنسان لا يعرف كيف يتوضأ، أو يخطئ في قراءة الفاتحة، أو يسأل سؤالا تراه بديهيا، فتسخر من جهله أو تُظهر الضيق منه.

ألم تكن أنت مُبتدئا يوما؟ ألم يعلمك غيرك؟ وإذا تعلّمت مسألة لا يعرفها غيرك، فلا تجعلها سببا لاحتقاره. تذكر أن من حق المتعلّم عليك أن ترفق به، وألا يكون أسلوبك في تعليمه سببا في نفوره من العلم وإعراضه عن تعلّمه.

ليست الدعوة أن تلقي المعلومة ثم تنصرف. بعض الناس يحتاج إلى إعادة الشرح مرات، وبعضهم ينسى، وبعضهم يتأخر في الفهم. فإن كنت لا تصبر على ذلك، فراجع أسلوبك. إن تربية النفوس تحتاج إلى صبر طويل، وليس كل من سمع منك مرة فهم وعمل.

بعض الدعاة يجلس في مكانه وينتظر أن يأتيه الناس، فإن لم يأتوا اشتكى من قلة الإقبال. يا أخي، اخرج إلى الناس، وزرهم، وسلم

عليهم، وتعرّف إلى أحوالهم، وشاركهم أفراحهم، وواسهم في أحزانهم. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الناس ويدعوهم، ويعرض دعوته على القبائل. فلا تجعل مكانتك العلمية حاجزا يمنعك من الاقتراب من الناس.

من الدعاة من يحب أن يتكلم دائما، ولا يحسن الاستماع. يأتيه إنسان يشكو همه، فيقاطعه ويبدأ بإلقاء النصائح قبل أن يفهم مشكلته. تعلّم أن تسمع، فليس كل مَن جاءك يريد موعظة، بل قد يكون محتاجا إلى من يفهمه ويُطيّب خاطره.

لا تظن أن رفع الصوت وإحراج الناس والقسوة في المعاملة دليل على قوة شخصيتك. قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. فإذا كانت الفظاظة سببا لانفضاض الناس، فكيف يستهين بها من يدعو إلى الله؟

إذا أردت أن تُصحح خطأ إنسان، فلا تجعل غايتك أن تُثبت له أنك أعلم منه. اختر الكلمة المناسبة والوقت المناسب والأسلوب المناسب. وحيث لا تدعو الحاجة إلى الإعلان، فالنصيحة على انفراد أقرب إلى حفظ كرامة المنصوح. ليس المقصود أن تنتصر عليه، بل أن تُعينه على الصواب.

بعض الدعاة يغضب إذا لم يقم له الناس، أو لم يُقدّموه في المجلس، أو لم يُكثروا من الثناء عليه. وقد يحسب قلة الاهتمام بشخصه قلة

احترام للعلم. يا أخي، أنت في خدمة الدعوة، فلا ينبغي أن يكون في قلبك عطش للتعظيم والتفخيم والمديح. واحذر أن يتسلل حب المنزلة إلى قلبك باسم توقير العلم.

إذا رأيت شابا مقصرا في الصلاة، أو امرأة تريد أن تتعلّم أحكام دينها، أو إنسانا غلبته معصية، فلا تتعامل معهم باحتقار. بيّن الحكم الشرعي دون مداهنة، ولكن لا تغلق باب الرجاء في وجوههم. فالداعية الحكيم يجمع بين بيان الحق والرحمة بمن يحتاج إلى النصح والإرشاد.

من أمراض بعض الدعاة أن أحدهم لا ينسى زلة، ولا يصفح عن هفوة، ويحمل في قلبه على من خالفه في أمر شخصي. وقد يتحول

الخلاف الصغير إلى قطيعة طويلة. فكيف تدعو الناس إلى صفاء القلوب، وأنت تحتفظ في قلبك بدفتر لأخطائهم؟ تعلّم أن تعفو عما يحسن العفو عنه، وألا تجعل كل خلاف شخصي معركة لا تنتهي إلا بانتهاء عمرك.

من أخطر الأمراض أن يغار الداعية من نجاح داعية آخر. إذا امتلأ مجلس غيره ضاق صدره، وإذا أثنى الناس على زميله تألم. فليسأل نفسه: أأريد أن ينتشر العلم، أم أريد أن ينتشر اسمي؟ إن كنت مخلصا، فافرح بكل خير ينتشر ولو كان على يد غيرك.

إذا نصحك أحد، فلا ترد عليه باستعراض معلوماتك، ولا تقل في نفسك: «من هذا حتى يعلمني؟». قد ينتبه إنسان قليل العلم إلى

خطإ في سلوكك لم تنتبه إليه. ومن علامات التواضع أن تقبل الحق ممن جاء به، لا أن تنظر أولا إلى منزلته عندك.

قد تكون كلمة تشجيع منك سببا في استمرار طالب في طلب العلم، وقد تكون كلمة تحقير سببا في انقطاعه عن مجلسك. فشجع المبتدئ، وأثن على تقدمه بصدق، واشكر من يساعدك في الدعوة، ولا تستصغر جهود العاملين معك. إن جبر الخواطر من جميل الأخلاق وشِيَمِ الأكابر.

إذا لاحظت أن الناس يتجنبون مجالستك، وأن طلابك يخافون من سؤالك، وأن العاملين معك لا يصارحونك بأخطائك، فلا تسارع إلى اتهامهم بالجحود وقلة الأدب. قد تكون المشكلة في طريقة

معاملتك. اسأل من تثق بصدقه أن يُبيّن لك عيوبك، واسمع منه دون غضب أو مُكابَرة.

اجعل لنفسك عادات حسنة: ابدأ بالسلام، وتبسم، واسأل عن الغائب، وأنصت للمتكلم، واشكر من أحسن، واعتذر إذا أخطأت، ولا تحمل كل كلمة على أسوإ معانيها. وإذا انتهى مجلسك، فاسأل نفسك: هل خرج الناس من عندي أكثر رغبة في الخير، أم أن أسلوبي نفرهم منه؟

يا أهل الدعوة، تعاونوا ولا تتنافسوا على الوجاهة، وتراحموا ولا تتباغضوا لحظوظ النفوس، وتواضعوا ولا تتكبروا. إن الدعوة تحتاج

إلى قلوب صافية ونفوس مخلصة، لا إلى صراع على المناصب والمكانة والثناء.

أيها الداعية، لا تكن سببا في أن يقول إنسان: «كنت أحب مجالس العلم حتى عرفت فلانا». بل كن سببا في أن يقول: «كنت بعيدا عن مجالس الخير، فأحسن إليّ فلان، وصبر عليّ، وعلّمني، فأحببت العلم وأهله». فما أجمل أن يكون الداعية مِفتاحا للقلوب، لا قُفلا على أبوابها.

اللهم اجعلنا من الدعاة المخلصين، وارزقنا علما نافعا، وقلوبا متواضعة، وألسنة صادقة، وأخلاقا حسنة. اللهم طهر قلوبنا من

الكبر والرياء والحسد وحب الظهور، واجعلنا مفاتيح للخير، وأعنّا على دعوة عبادك بالحكمة والرحمة والصبر، وتوّفنا وأنت راض عنا.

السالكة إلى الله: كرامتها وأخلاقها وحياتها الأسرية

يا أختي، السلوك إلى الله لا يعني أن تعتزلي الحياة، أو تهملي مظهرك، أو تكوني ضعيفة الشخصية، أو تتخلي عن طموحاتك المشروعة. بل يعني أن تكوني امرأة مؤمنة واعية، حسنة الأخلاق، تعرفين حقوقك وواجباتك، وتجتهدين في طاعة الله، وتجعلين من حياتك مَيدانا للعمل الصالح.

لا تظني أن المرأة الصالحة هي التي لا تتكلم، ولا تُناقش، ولا تُعبّر عن رأيها، ولا تستطيع المطالبة بحقوقها. فالحياء لا يعني ضعف الشخصية، والتواضع لا يعني الذل، والصبر لا يعني قبول الظلم.

كوني لينة الجانب دون ضعف، وقوية في الحق دون تكبر، واحفظي كرامتك دون أن تتعدي على حقوق غيرك.

ليس المطلوب منك أن تتصنعي شخصية لا تشبهك. فقد تكونين هادئة أو اجتماعية، متزوجة أو غير متزوجة، أمّا أو طالبة أو عاملة. المهم أن تكون شخصيتك منضبطة بالشرع، وأن يظهر أثر الإيمان في أخلاقك وقراراتك ومعاملاتك.

يا سالكة الطريق، انظري إلى نفسك بصدق. كيف تتكلمين عند الغضب؟ كيف تعاملين أهلك؟ هل تقبلين النصيحة؟ هل تعترفين بخطئك؟ هل تؤدين ما عليك من حقوق؟ لا تجعلي انشغالك بأخطاء

الناس يُنسيك عيوب نفسك. فإن وجدت خيرا فاحمدي الله، وإن وجدت تقصيرا فبادري إلى إصلاحه.

يا أختي، كوني متواضعة لله، لطيفة مع الناس، ولكن لا تجعلي طيبتك بابا لاستغلالك. فليس من الصلاح أن تقبلي الإهانة على أنها حق للآخرين، ولا أن تسكتي عن ظلم تستطيعين دفعه بطريق مشروع. اعرفي حقوقك، وطالبي بها بالحكمة، وتذكري أن حسن الخُلق لا يتنافى مع عزة النفس.

من قوة الشخصية أن تعرفي متى توافقين ومتى ترفضين. لا تستجيبي لكل طلب خوفا من غضب الناس، ولا ترفضي كل نصيحة لتُثبتي أنك قوية. قولي «لا» لما لا يجوز، ولما فيه اعتداء على حق لك،

ولا تجعلي رضا الناس مُقدّما على طاعة الله. واعلمي أن القوة ليست في كثرة المخالفة، بل في صواب الموقف.

الحياء خلق عظيم، ولكنه لا يعني أن تتركي تعلّم ما يجب عليك من أمور دينك. فلا تمنعك الرهبة من السؤال عن حكم تحتاجين إليه، ولا تخجلي من قول «لا أعلم». يمكنك أن تكوني شديدة الحياء، ومع ذلك واثقة بنفسك، حسنة التعبير، حريصة على العلم النافع.

لا تقيسي قيمتك بعدد من يمدحون جمالك، ولا بالمقاييس التي تُرَوّجها وسائل التواصل. فجمال الشكل نعمة، ولكنه ليس دليلا على فضل صاحبته عند الله. إنما العبرة بالتقوى والعمل الصالح.

فاعتني بمظهرك في حدود الشرع، ولكن لا تجعلي مرآتك أهم عندك من إصلاح قلبك.

لا تقارني بيتك ببيت فلانة، ولا رزقك برزق غيرك، ولا أولادك بأولاد صديقتك. فكثرة المقارنة قد تجعلك تغفُلين عن نِعم عظيمة أنعم الله بها عليك، وتفتح في قلبك باب الحسد والسخط. وما تَرَينه من حياة الآخرين ليس بالضرورة صورة كاملة عن واقعهم. فاشكري الله على ما عندك من الخير، واسأليه من فضله.

يا أختي، إن كنت غير متزوجة، فلا تظني أن تأخر زواجك يعني أنك ناقصة أو فاشلة. الزواج نعمة عظيمة، ولكنه ليس المقياس الوحيد لصلاح المرأة ونجاحها. فكم من امرأة غير متزوجة نفع الله

بها أهلها ومجتمعها، وكانت صاحبة علم وخلُق وعمل صالح. فلا تجعلي حياتك معلقة بانتظار الزواج، ولا تقبلي زواجا غير مناسب لمجرد الخوف من كلام الناس.

السالكة المتزوجة تحرص على حسن معاشرة زوجها، وتؤدي ما عليها من حقوق شرعية، وتتعامل معه بالمودة والاحترام. ولا تجعل حسن معاملته لها سببا للتّسلّط عليه أو الاستخفاف به. وفي المقابل، فلها حقوق يجب على زوجها أداؤها. فالزواج ليس إلغاء لشخصية أحد الزوجين، بل علاقة تقوم على الحقوق والواجبات وحسن المعاشرة.

ليس كل اختلاف في الرأي سببا للصراخ والقطيعة والتهديد. تعلّمي أن تختاري الوقت المناسب للحوار، وأن تُعبّري عما يزعجك دون تجريح، وأن تسمعي وجهة نظر زوجك. واعرفي متى يحسن التسامح، ومتى تحتاجين إلى المطالبة بحقك. أما إذا وقع ظلم أو أذى، فلا تظني أن الصبر يُلزمك بترك طلب الإصلاح أو الحماية بالطرق المشروعة.

قد تكون الأم متعبة أو مهمومة أو تحت ضغط شديد، ولكن ذلك لا يبرر أن تصب غضبها على أطفالها. فالأولاد يحتاجون إلى التربية والتوجيه، لا إلى الإهانة والتخويف الدائم. علميهم ما يجب عليك تعليمهم، وربيهم على الطاعة والأدب، واضبطي انفعالك عند

الغضب. وإذا أخطأت في حق أحدهم، فلا يمنعنك الكبر من الاعتذار وإصلاح ما أفسدته.

من النساء من تنشغل بخدمة زوجها وأولادها وأهلها حتى تُهمل صحتها وراحتها وتعلّمها. يا أختي، ليست العناية بنفسك أنانية، ما دامت لا تؤدي إلى تضييع حق واجب. فأعطي كل ذي حق حقه، ونظمي وقتك، واطلبي المساعدة عند الحاجة. فإهمال النفس حتى الإنهاك ليس شرطا لصلاح المرأة.

البكاء عند الحزن ليس عيبا، والحاجة إلى الصمت لتهدأ النفس ليست خطأ. ولكن لا تتعمدي استعمال الدموع للضغط على الآخرين، ولا تجعلي الصمت الطويل وسيلة لعقابهم وإيذائهم.

تعلّمي أن تقولي بوضوح ما يُحزنك وما تحتاجين إليه، وأن تطلبي الحل بالصدق والأدب، لا بالتهديد والتلاعب.

لا تجعلي كل خلاف مع زوجك حديثا بين الصديقات، ولا تنشري تفاصيل حياتك الخاصة على وسائل التواصل. فللبيوت حُرمة، وللأسرار أمانة. ولكن إذا تعرضت لظلم أو أذى، أو احتجت إلى فتوى أو مساعدة، فلا تظني أن حفظ أسرار البيت يمنعك من الرجوع إلى من يستطيع نُصرتك ومساعدتك بالوجه المشروع.

ليست كل امرأة تضحكين معها صديقة تأتمنينها على أسرارك. فاختاري من تُعينك على الخير، وتنصحك بصدق، وتحفظ غَيبتك، ولا تُحرّضك على الظلم أو قطع العلاقات بغير حق. واحذري ممن

تُزيّن لك المعصية، أو تستغل حاجتك إلى المحبة والاهتمام. فالصحبة تترك أثرها في القلب والخُلق والقرارات.

لا تتكبري على امرأة لأنها أقل منك مالا، أو أضعف تعليما، أو مختلفة عنك في المستوى الاجتماعي. ولا تحتقري من أخطأت أو قصّرت، بل انصحيها بالحكمة والرحمة. فلعل لها عند الله من الخير ما لا تعلمين، ولعل عندك من العيوب ما لم تنتبهي إليه.

السالكة إلى الله تحرص على تعلّم ما يجب عليها من أمور دينها، وتزداد من العلم النافع بحسب استطاعتها. ويمكنها أن تُحسّن مهاراتها، وأن تنفع أهلها ومجتمعها بالتعليم أو الطب أو التجارة أو الدعوة أو غير ذلك من الأعمال المشروعة، مع المحافظة على

واجباتها الشرعية. فلا تجعلي مرور السنين سببا لتوقفك عن النمو والانتفاع والإنفاع.

لا تجعلي يومك يتعكر لأن منشورا لم يحصل على إعجابات كثيرة، ولا تحزني لأن غيرك أكثر شهرة. واحذري أن تقضي ساعات تراقبين فيها حياة الناس، ثم تشعرين بالضيق من حياتك. استعملي هذه الوسائل فيما ينفعك، ولا تجعلي أعداد المتابعين والمعجبين مقياسا لقيمتك.

قد تكون المرأة لطيفة مع صديقاتها، بشوشة في مجالس العلم، كثيرة الكلام عن الأخلاق، ولكنها في بيتها سريعة الغضب، قاسية الكلام، قليلة الصبر. يا أختي، لا تجعلي أجمل أخلاقك للغرباء

فقط. فزوجك وأولادك وأهلك لهم نصيب من حسن معاملتك، وليس من الإنصاف أن يجد الناس منك اللطف ويجد أقرب الناس إليك القسوة.

لا تجعلي أكثر اهتمامك بالتسوق والزينة والمناسبات الدنيوية وأخبار الناس. فلك عمر محدود، وأمامك فرص كثيرة للخير. تعلّمي ما ينفعك، وعلّمي ما تعرفينه على وجهه الصحيح، وأعيني المحتاج، وصلي رحمك، وشاركي في أعمال البر بحسب استطاعتك. فالسعادة ليست في كثرة ما تملكين، بل في حسن استعمال ما أنعم الله به عليك.

لا تظني أنك تثبتين قوة شخصيتك كلما رفعت صوتك على زوجك أو أهلك. فالقوة الحقيقية أن تضبطي نفسك عند الغضب، وأن تدافعي عن حقك دون ظلم، وأن تختلفي دون إهانة. وقد يكون الكلام الهادئ الواضح أقوى أثرا من صراخ طويل لا يُصلح شيئا.

لا تظني أن إهمال النظافة والمظهر دليل على الزهد والتقوى. اعتني بنظافة جسدك وثيابك، واحرصي على حسن المظهر في حدود الشرع. وإن كنت متزوجة، فلا تهملي ما يعين على المودة وحسن المعاشرة بينك وبين زوجك. فالعناية بالنفس لا تناقض صلاح القلب، ما دامت منضبطة بأحكام الدين.

قد يُكثر إنسان من المديح ليكسب ثقتك، ثم يستغل تعلقك بكلامه. وقد ينصحك إنسان بكلمة لا توافق هواك، ولكنه يريد لك الخير. فلا تجعلي المديح وحده دليلا على صدق المحبة، ولا تجعلي كل نصيحة مخالفة لرغبتك عداوة. واحذري ممن يستغل حاجتك إلى الاهتمام ليوقعك في الحرام.

يا أختي، قد تكونين مؤمنة صالحة، ومع ذلك تحزنين وتتعبين وتمرين بظروف نفسية صعبة. فلا تظني أن كل معاناة نفسية دليل على ضعف إيمانك. وإذا احتجت إلى راحة أو دعم أو علاج، فلا تترددي في طلب المساعدة المناسبة. واجمعي بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب المشروعة.

إذا رأيت امرأة أجمل منك، أو أغنى، أو أكثر نجاحا في أمر من أمور الدنيا، فلا تتمني زوال نعمتها. ادعي لها بالخير، واسألي الله من فضله، واشتغلي بإصلاح حياتك. فليس من الحكمة أن تجعلي نِعَم الآخرين سببا لتعاستك، ومن صفاء القلب أن تحبي لغيرك الخير.

لا تقولي: «أنا سالكة الطريق»، ثم تجعلي ذلك سببا لاحتقار النساء الأخريات أو الشعور بأنك أفضل منهن. فليس السلوك لقبا يُمنَح للإنسان فيأمن على نفسه، ولا مجالس يحضرها فيغتر بها. إنما العبرة بصدق العمل والاستقامة والإخلاص. ومن ثمرات إصلاح النفس أن يزداد الإنسان تواضعا، وأن يخاف على نفسه من الكبر والتقصير.

يا سالكة الطريق، نريدك إذا تكلمت أحسنت الكلام، وإذا اختلفت أحسنت الاختلاف، وإذا أخطأت اعترفت وأصلحت، وإذا قدرت على العفو عما يحسن العفو عنه عفوت. نريدك صاحبة أدب ووقار، تعرفين قدر نفسك، وتحفظين كرامتك، وتحسنين معاملة من حولك. فلا تجعلي السلوك مجرد كلمات ترددينها، بل تربية تظهر آثارها في حياتك.

لا تنتظري حتى تتغير ظروفك كلها لتبدئي إصلاح نفسك. ابدئي بخُلق تريدين تحسينه، أو عادة سيئة تريدين تركها، أو حق ضيعته تريدين أداءه. وإذا تعثرت فلا تيأسي، بل عودي إلى الإصلاح،

واستعيني بالله، وواظبي على مجاهدة نفسك. فالعبرة ليست بكثرة الكلام عن التغيير، بل بصدق السعي إليه.

اللهم أصلح نساء المسلمين، وارزقهن العلم النافع والعمل الصالح، والعِفّة والحياء والحكمة وقوة الشخصية في الحق. اللهم طهّر قلوبهن من الكبر والحسد والرياء، واحفظهن من الظلم والفتن، وأعنهن على أداء حقوقك وحقوق عبادك، واجعلهن من الصالحات المصلحات، وارزقهن السعادة في الدنيا والآخرة.

أسباب سقوط السالكين... أربعة أبواب خطيرة

المال، وفتنة النساء، والفتوى بغير علم، وحب الزعامة والظهور. أربعة أبواب قد يدخل منها الفساد إلى قلب السالك، فكيف يحفظ دينه، ولا يهدم في ساعة غفلة ما بناه في سنوات من المجاهدة؟

يا طالب الطريق إلى الله، احذر أن تغتر بما حصلت عليه من علم أو عبادة أو منزلة بين الناس. فقد يسلك الإنسان الطريق سنوات طويلة، ثم تزِلّ قدمه بسبب شهوة غلبته، أو مال أغراه، أو جاه فتنه، أو كلام في الدين بغير علم.

قد يبدأ الإنسان طريقه مخلصا، لا يريد إلا رضا الله، متواضعا زاهدا في الشهرة، ثم يوفقه الله لتحصيل شيء من العلم، ويجعل له قبولا

بين الناس، فتدخل عليه الدنيا من باب لم يكن يتوقعه. وشيئا فشيئا تتغير نيته، وتتبدل أخلاقه، ويصبح حرصه على مكانته ومصالحه أشد من حرصه على نصرة الحق. فاحذر خِداع النفس، فقد يُحسن الإنسان الظن بعمله وهو مقصر في محاسبة نفسه.

ليست العبرة بأنك سلكت الطريق عشر سنوات أو عشرين أو ثلاثين، ولا بأنك أصبحت معروفا بين الناس، أو صار لك طلاب ومحبون، أو كثرت عباداتك وأورادك. إنما العبرة بأن تثبت على الإيمان والطاعة حتى تلقى الله. فلا تغتر بحسن البداية، واسأل الله حسن الخاتمة.

ومن أخطر ما ينبغي لطالب الطريق أن يحذره، ولا سيما من يتصدر للتعليم والدعوة والإرشاد، أربعة أبواب: فتنة المال، وفتنة النساء، والفتوى بغير علم، وحب الزعامة والظهور. وليست هذه الفتن وحدها ما يهدد السالك، ولكنها من الأبواب التي قد يترتب عليها فساد عظيم في الدين والخلق وحقوق الناس.

ولا نريد من هذا الحديث أن نتتبع سقطات الآخرين أو نشمَت بهم، بل أن نحاسب أنفسنا. فكل واحد منا مُعرّض للابتلاء، ومحتاج إلى مراقبة قلبه، وتجديد نيته، والاستعانة بالله. فلا تقل إنك بعيد عن هذه الفتن، بل اسأل الله أن يحفظك منها، وأن يُعينك على مجاهدة نفسك.

يا طالب الطريق، ليس المال في ذاته مذموما، فقد يكون وسيلة عظيمة للصدقة والإحسان ونصرة الدين. ولكن الخطر أن يستولي حبه على قلبك، فتصبح مستعدا للتنازل عن الحق من أجله، أو ظلم الناس للحصول عليه، أو تقديم مصالحك المالية على ما أوجب الله عليك. فاحذر أن تكون أسيرا للمال وأنت تظن أنك من أهل الزهد.

قد يوفقك الله إلى تعليم الناس وإرشادهم، فيحبونك ويثقون بك، وربما يُقدّمون لك الهدايا والمساعدات. فاحذر أن تستغل محبتهم للحصول على أموالهم بغير حق، أو أن تفرق بينهم في المعاملة

بحسب ما يقدمونه لك. فمن أخطر ما يُفسد الداعي أن تتحول الدعوة عنده من أمانة يؤديها إلى وسيلة لتحقيق المصالح الشخصية.

قد يقترب منك رجل غني أو صاحب منصب، ويُكرمك ويقدم لك المساعدة، ثم يرتكب منكرا أو يظلم إنسانا، فتجد نفسك مترددا في بيان الحق خوفا من خسارة عطاياه. هنا يظهر امتحان الإخلاص. فهل أنت حريص على رضا الله، أم أصبحت أسيرا لمصالحك؟ لا تظلم الغني ولا تحتقره لغناه، ولكن لا تجعل ماله سببا لمجاملته على حساب الحق.

قد تجمع تبرعات لمسجد، أو مدرسة، أو مشروع دعوي، أو لمساعدة المحتاجين، فيصبح بين يديك مال كثير. فانتبه، هذا المال

أمانة، وليس مِلكا شخصيا لك. لا تتصرف فيه بغير حق، ولا تخلط مالك الخاص بأموال المشروع، ولا تتساهل في الحسابات بحجة أنك تعمل للدين. فحسن النية لا يُبيح الخيانة، وحفظ الأمانة من علامات التقوى.

راقب نفسك في معاملاتك المالية. هل تتحرى الحلال، أم أصبحت لا تبالي من أين يأتيك المال؟ هل ترفض المال الحرام ولو كنت محتاجا إليه؟ هل تتغير معاملتك للناس بحسب غناهم وفقرهم؟ ليس المطلوب أن تكون فقيرا، بل أن تكون أمينا عفيفا، لا تبيع دينك ولا تتعدى على حقوق الناس من أجل الدنيا.

ومن أخطر ما يهدد السالك فتنة النساء. فقد تكون حافظا للقرآن، عالما بمسائل من الدين، كثير العبادة، ولكن لا تظن أن ذلك يجعلك محصنا من المعصية إذا أهملت أسباب الوقاية. فاحفظ بصرك، واضبط علاقاتك، وابتعد عن أسباب الحرام، ولا تختبر قوة إيمانك بتعريض نفسك للفتنة.

قد تكون داعيا إلى الله، فتتواصل معك النساء طلبا للنصيحة أو تعلّم الدين أو حَلّ المشكلات. فاحذر أن تتحول العلاقة الدعوية إلى تعلق عاطفي محرم، أو أحاديث خاصة لا حاجة إليها، أو تبادل كلمات تتجاوز حدود الأدب الشرعي. ولا تستغل حاجة امرأة إلى

المساعدة أو ثقتها بعلمك لتقترب منها بما لا يحل. فالمكانة الدينية أمانة، وليست وسيلة لاستغلال الناس.

وقد تبدأ العلاقة المحرمة بسؤال عادي، ثم يطول الحديث، ويكثر المزاح، وينشأ التعلق، وتُتَبادل الأسرار، حتى تتجاوز العلاقة الحدود الشرعية. وقد يبرر الإنسان لنفسه كل خطوة بأنها بريئة. فلا تنتظر حتى تتمكن الشهوة من قلبك، بل إذا لاحظت أن علاقة بدأت تتجاوز حدود الشرع، فبادر فورا إلى وقف التجاوز وقطع أسباب الفتنة.

قد تحترمك امرأة لعلمك أو صلاحك أو دعوتك، وتثق بك وتطلب نصيحتك. فلا تفسر احترامها لك على أنه إعجاب شخصي، ولا

تستغل ثقتها لتطلب منها ما لا يحل، أو لتوهمها أن طاعتك في كل ما تأمر به من طاعة الله. فإن استغلال الداعي مكانته الدينية وثقة النساء به للتقرب إليهن بغير وجه شرعي، أو لإقامة علاقات محرمة معهن، خيانة للأمانة واستغلال قبيح للعلم والدعوة. فاحذر أن تجعل من ثقة الناس بك واحترامهم لك وسيلة لإشباع شهواتك، فتكون سببا في فتنة غيرك وسقوط نفسك، وزعزعة ثقتهم بأهل العلم.

وإن كنت متزوجا، فاحفظ حقوق زوجتك، ولا تجعل مشكلات الحياة الزوجية ذريعة للخيانة أو العلاقات المحرمة. وتذكر أن النساء لسن شرا لمجرد كونهن نساء، فمنهن الصالحات التقيات اللاتي لهن

عند الله مكانة عظيمة، وإنما الخطر في أن يترك الرجل نفسه تنقاد وراء شهواتها، فيتعلق بالنساء تعلقا محرما، أو يسعى إلى إقامة علاقات لا تجوز شرعا، فيتجاوز حدود الله ويُعرّض دينه وسمعته للخطر.

وأما الفتوى بغير علم، فهي باب عظيم الخطر. قد يسألك إنسان عن مسألة شرعية، فتشعر بالحرج من قول «لا أعلم»، فتسارع إلى الجواب اعتمادا على ظنك أو معلومة ناقصة. فاحذر الكلام في دين الله بغير علم. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. فلا تجعل رغبتك في الظهور بمظهر العالم سببا في إضلال الناس.

قد يسألك طالب أمام جمع من الناس عن مسألة لا تعرف جوابها، فتخاف أن تنقُص مكانتك إذا قلت «لا أعلم». يا أخي، لماذا تستحيي من الأمانة العلمية؟ إن اعترافك بما تجهله دليل على صدقك، وليس نقصا في قدرك. أما الإفتاء بغير علم، فقد يوقع السائل في الحرام، ويجعلك متحملا إثم القول في الدين بغير علم.

قد يصبح لك آلاف المتابعين، ويكثر من يسألك عن الحلال والحرام، فتظن أن شهرتك تؤهلك للجواب عن كل مسألة. يا أخي، الشهرة وحدها ليست دليلا على العلم، وعدد المتابعين وحده لا يمنح الإنسان أهلية الفتوى. اعرف قدر نفسك، وأجب فيما تعلمه وتُتقنه، وأحل المسائل التي لا تحسنها إلى أهل العلم الثقات.

ومن خيانة الأمانة العلمية أن تعلم الحكم الشرعي، ثم تبحث عن جواب يوافق رغبة السائل ولو كان غير معتبر، أو تجامل صاحب نفوذ في الفتوى خوفا من غضبه. فلا تجعل الفتوى وسيلة لكسب المحبة أو المال أو المكانة. فالعالم الأمين يبين ما يعلمه من الحق، ولا يُغيّر الحكم الشرعي لإرضاء أحد.

قد تحفظ بعض المتون، وتحضر دروسا، وتقرأ كتبا، ثم تتعجل إصدار الأحكام في المسائل الدقيقة، والرد على العلماء، وتخطئة الناس في أمور لا تحسنها. يا أخي، ليس كل من تعلّم شيئا صار مؤهلا للإفتاء. فتعلّم على أيدي العلماء، وراجع أهل الاختصاص، ولا

تستعجل التصدر. فالتواضع في طلب العلم يحفظك من أخطاء كثيرة.

وأما حب الزعامة والظهور، فقد يتسلل إلى القلب من حيث لا يشعر صاحبه. قد تبدأ بالدعوة إلى الله مخلصا، لا تريد شهرة ولا منصبا، ثم يزداد عدد الحاضرين في دروسك، ويَكثُر متابعوك، ويُكثِر الناس من مدحك وتقديمك في المجالس. فاسأل نفسك: هل تفرح لأن الناس ينتفعون بالعلم، أم لأن اسمك أصبح مشهورا؟ هل يسعدك انتشار الخير ولو كان على يد غيرك، أم تضيق إذا ظهر داعية آخر ينفع الناس؟

بعض الناس إذا أصبح مسؤولا عن مركز أو جمعية أو مجموعة دعوية، بدأ يتعامل معها وكأنها ملك شخصي له. يريد أن يطيعه الجميع في كل شيء، ولا يقبل النصيحة، ويغضب ممن يخالفه، ويخشى ظهور من هو أعلم أو أكفأ منه. يا أخي، المسؤولية أمانة وليست ملكا، والقيادة وسيلة لخدمة الدين والناس، لا لإشباع حب السيطرة.

قد تسمع أن داعية آخر أخطأ، أو أن الناس قل حضورهم في مجلسه، فتشعر في داخلك بالسرور لأنك كنت تراه منافسا لك. فانتبه إلى هذا المرض. لا تفرح بزلة مسلم، ولا بانصراف الناس عن

الخير. وإذا احتجت إلى بيان خطإ، فليكن ذلك بعلم وعدل، لا بدافع الحسد أو الرغبة في إسقاط المنافسين.

قد يُثني الناس عليك بعد محاضرة، أو يمدحون كتاباتك، أو يشكرونك على نصائحك، فتفرح بذلك. وليس الفرح بالخير مذموما في ذاته، ولكن الخطر أن تصبح محتاجا إلى المدح لتستمر في العمل، وأن تغضب إذا لم يذكرك الناس أو لم يُقدّموك في المجالس. فاجعل همك أن يكون عملك خالصا لله، ولا تجعل ثناء الناس هو الذي يحركك أو يوقفك.

وقد يتخاصم بعض الناس على رئاسة جمعية، أو إدارة مركز، أو لقب، أو مكانة بين الأتباع، حتى تتحول الدعوة إلى خصومات

واتهامات وعداوات. يا طالب الطريق، هل سلكت الطريق إلى الله لتصبح رئيسا أو مشهورا، أم لتصلح قلبك وتطلب النجاة في الآخرة؟ إذا وجدت أن المنصب يدفعك إلى الظلم والكبر والعداوة، فراجع نفسك قبل أن تخسر ما هو أعظم من المنصب.

وبعد هذا الحديث، قف مع نفسك وقفة صادقة. كيف حال قلبك مع المال؟ وكيف حالك مع الشهوات والعلاقات؟ هل تحفظ حدود الله في السر والعلن؟ وكيف حالك مع العلم والفتوى؟ هل تعترف بما تجهله، أم تتكلم في كل مسألة؟ وكيف حالك مع الشهرة والمكانة؟ هل تفرح بانتشار الخير ولو لم يذكر الناس اسمك؟

وإذا رأيت إنسانا من أهل العلم أو الدعوة قد زَلّت قدمه، فلا تشمت به، ولا تجعل خطأه سببا في اليأس من الدين وأهله. أنكر المنكر بحسب الشرع، واحفظ حقوق المتضررين، ولا تستر ظلما مستمرا بحجة المحافظة على مكانة صاحبه. ثم اعتبر بما حدث، واسأل الله أن يحفظك من الزلل.

يا طالب الطريق إلى الله، تذكر أن الطريق ليس سباقا إلى الشهرة، ولا رحلة لجمع المال، ولا وسيلة للسيطرة على الناس، ولا بابا لإشباع الشهوات. إنما هو طريق إصلاح النفس، وتعلّم الدين، والعمل بالطاعة، وترك المعاصي، ومجاهدة الهوى، وابتغاء رضا الله. فإذا فتح الله لك بابا من أبواب العلم أو الدعوة أو القبول بين

الناس، فازدد تواضعا وخوفا على نفسك، ولا تغتر بما أنت فيه. فالعبرة ليست بكثرة من ساروا خلفك، بل بثباتك على الحق حتى تلقى الله.

اللهم يا مُقلّب القلوب، ثبّت قلوبنا على دينك. اللهم احفظنا من فتنة المال الحرام، ومن فتنة الشهوات المحرمة، ومن القول في دينك بغير علم، ومن حب الزعامة والظهور. اللهم طهر قلوبنا من الرياء والعجب والكِبر والحسد، وارزقنا الإخلاص في السر والعلن، وأعنا على مجاهدة نفوسنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، واختم لنا بالإيمان والطاعة.

بيان عقيدة أهل السنة والجماعة

اعلم رحمك الله أنّ الله موجود لا شك في وجوده، ولا يُشبه أحدا من خلقه، ليس جسما طويلا ولا قصيرا ولا سمينا ولا نحيلا، وليس له شكل ولا لون ولا وزن سبحانه، وأنه تعالى موجود قبل خلق المكان بلا مكان وهو الآن على ما عليه كان، سبحانه يُغيّر ولا يتغيّر، فالله تعالى لا يسكن في السماء ولا يجلس على العرش ولا يحُلّ في مكان واحد ولا في كل مكان ومن قال بالحُلول فدينه معلول، والله سبحانه الأعلى من كل شيء قدرا لا مكانا وهو سبحانه الأكبر من كل شيء قدرا لا حجما. هذه العقيدة لا يُنكرها مسلم في الأرض ولا في السماء، هذه عقيدة الملائكة وكل الأنبياء،

وهي عقيدة أهل السلف والخلف من المسلمين، وهي العقيدة المنجية يوم القيامة من الخلود الأبدي في النار.

وبيان ذلك أن الله هو الخالق، وكل ما سوى الله مخلوق. والخالق تعالى لا يُشبه المخلوقات ولا يحتاج إليها، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ومن جملة العالمين السماء والعرش والجهات الست وكل الأمكنة، فالله سبحانه غنيّ عنها وعن غيرها كما أخبر، فالله تعالى لا يسكن السماء ولا أيّ مكان آخر، وهو تعالى لا يجلس على العرش، إذ الساكن في شيء أو الجالس على شيء لا يكون غنيّا عنه بل يكون بحاجة إليه، والمحتاج ضعيف لا يستحق الألوهية.

فمن زعم أو اعتقد أن الله تعالى ساكن في السماء أو ساكن فوقها، أو جالس على العرش أو حالّ في كل مكان أو في مكان واحد، لا يكون من المسلمين لأنه كذّب قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

وأما من قال بقول أهل السنة إن الله تعالى استوى على العرش استواء يليق به سبحانه لا كما يخطُر للبشر، فاعتقاده سليم لأنه لم يعتقد أن الله تعالى جسم جالس أو مستقرّ على العرش. واعلم أن من قال «الله في السماء» بمعنى أنه سبحانه عالي القدر جدا فاعتقاده سليم لأنه لم يعتقد أن الله ساكن فيها.

واعلم رحمك الله أنّ الله تعالى ليس جسما، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، معناه أن الله لا مثيل له ولا شبيه له ولا نظير له بأيّ وجه من الوجوه، لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله سبحانه. فالله تعالى ليس جسما كبيرا ولا صغيرا ولا طويلا ولا قصيرا ولا سمينا ولا نحيلا، الله سبحانه ليس له طول ولا عرض ولا لون ولا وزن ولا سُمْك ولا تركيب ولا يوصف بصفات الأجسام سبحانه لأنه ليس حجما.

ثم لو كان الله الخالق يشبه المخلوق لجاز عليه ما يجوز على المخلوق من عجز وموت ومرض وألم وهذا محال على الله، ولكان له سبحانه أمثال لا تُعدّ ولا تُحصى وهذا أيضا مُحال.

واعلم كذلك أن أهل السنة والجماعة لا يصفون الله بالكَيْف وهو كل ما كان من صفات المخلوقات، إنما يقولون: «الكَيْف عنه مرفوع» أي أن الكيفيات كلها مستحيلة على الله كما ثبت عن الإمام مالك، وهو رضي الله عنه لم يقل «الكَيْف مجهول» بل قال «والكَيْف عنه مرفوع» أي غير معقول، معناه لا يجوز على الله تعالى.

واعلم رحمك الله أن من اعتقد أن الله جسم أو يشبه الأجسام أو اعتقد أن الله ساكن في السماء أو في مكان آخر أو منتشر في كل مكان، فليس بمسلم ولا هو مؤمن لأن في قلبه خللا في أصل العقيدة، وهذا كمن يعتقد أن لله تعالى زوجة أو ولدا، لا ينفعه أن يقول بلسانه أنا مسلم، ولا يُقبَل منه وضوء ولا صلاة ولا صيام

ولا حج ولا زكاة، ويجب على كل منهما تصحيح عقيدته والنطق بالشهادتين ليصير من المسلمين.

والشهادتان هما: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدا رسول الله، أو ما يعطي هذا المعنى كأن يقول: لا ربّ إلا الله محمد نبي الله.

هذه عقيدة التنزيه وهي عقيدة أهل السنة والجماعة نصرهم الله، وتنزيه الله معناه نفي النقص عن الله. أهل السنة والجماعة يُثبتون ما أثبت الله لنفسه من الصفات من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف، وليس هذا منهم تعطيلا ولا نفيا لصفات الله تعالى. والحمد لله ربّ العالمين.

الخاتمة

يا طالب الطريق إلى الله...

لقد سرنا معا في صفحات هذا الكتاب، وتحدثنا عن القلب وأمراضه، والنفس ومجاهدتها، والطاعة وحلاوتها، والصبر وأسراره، والأخلاق وآثارها، والعلم وآدابه، والدعوة وحكمتها، وعن طاعتك لربّك، وإصلاح نفسك، وحسن معاملتك للناس من حولك.

ولكن تذكر أن قراءة هذا الكتاب ليست هي الغاية، وأن التأثر بكلماته ليس هو النهاية.

إنما الغاية أن يتغير شيء في حياتك.

أن تُصبح أكثر محافظة على الصلاة، وأشد حرصا على الطاعة، وأصدق في مجاهدة نفسك، وأحسن خلقا مع أهلك والناس، وأعظم خوفا من المعصية، وأشد حرصا على طلب رضا الله.

لا تغتر بكثرة ما قرأت، ولا بكثرة ما تعلّمت، ولا بما يظنه الناس فيك من الخير. فليس المهم أن يقال عنك إنك من سالكي الطريق، وإنما المهم أن تكون سالكا له حقا.

واعلم أن الطريق إلى الله لا ينتهي بانتهاء صفحات هذا الكتاب، بل يستمر ما دمت حيا.

فجاهد نفسك، وأصلح قلبك، وأكثر من الطاعة، واحذر المعاصي، ولا تيأس إن تعثرت، بل تب إلى الله، وانهض، وواصل السير.

وإياك أن تظن أنك وصلت إلى مرتبة تستغني فيها عن محاسبة نفسك، فإن حاجتك إلى مجاهدتها لا تنتهي ما دمت حيا.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

وأوصيك، يا أخي الحبيب، ألا تقف منفعة هذا الكتاب عندك. فإن وجدت فيه نصيحة أيقظت قلبك، أو عبارة أعانتك على ترك معصية، أو توجيها شجعك على طاعة، فلا تَحرِم غيرك من هذا الخير.

انشر هذا الكتاب بين أهلك وإخوتك وأصدقائك وزملائك، وأرسله إلى من تحب لهم الخير، وشجع غيرك على قراءته ونشره، فقد تصل نُسخة ترسلها إلى إنسان غافل فتكون سببا في توبته، أو إلى مهموم فتكون سببا في تخفيف حزنه، أو إلى مُقصّر في الصلاة فتكون سببا في محافظته عليها، أو إلى مُتخاصِمَين فتكون سببا في إصلاح ما بينهما.

ولا تستصغر عملا كهذا، فقد ترسل الكتاب إلى شخص واحد، ثم ينشره ذلك الشخص بين عشرات أو مئات، وينتفع به أناس لا تعرف أسماءهم ولا أماكنهم، ويكون لك نصيب من أجر الدَّلالة على الخير بإذن الله.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».

فلا تجعل هذا الكتاب ينتهي عند آخر صفحة تقرؤها، بل اجعل نهايته بداية خير جديد، تنفع به نفسك، وتدل عليه غيرك، وتساهم في نشر العلم النافع وإصلاح القلوب.

ولست أطلب منك مقابلا لنشره، وإنما أرجو أن يكون ما فيه من الخير متاحا لأكبر عدد ممكن من الناس، وأن يكون نشره سببا في هداية القلوب وإصلاح النفوس، وأن يجعل الله لنا ولكم نصيبا من الأجر والثواب.

اللهم أحينا على الإيمان والطاعة، وأمتنا على الإيمان، واجعل خير أعمالنا خواتيمها، واختم لنا بخير، واجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والحمد لله ربّ العالمين.

كلمة شكر ووفاء:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وله الفضل أولا وآخرا، ظاهرا وباطنا.

في ختام هذا الكتاب، لا يسعني إلا أن أعبّر عن عميق شكري وامتناني لكل من كان له أثر طيب في حياتي، ولكل من أعانني على الخير، أو وقف إلى جانبي في وقت الشدة، أو واساني بكلمة، أو أسعدني بدعوة صادقة.

وأخص بالشكر زوجتي، خديجتي العزيزة، التي شاركتني رحلة الحياة بما فيها من أفراح وأحزان، وصبرت وساندت، وكانت لي عونا في أيام كثيرة.

وأشكر أولادي الأحبة، الذين أسأل الله أن يجعلهم من أهل العلم والصلاح والتقوى، وأن يرزقهم سعادة الدنيا والآخرة.

كما أتوجه بالشكر والامتنان إلى أهلي وأهل زوجتي، وإلى كل من أحسن إليّ، أو سأل عني، أو دعا لي، أو أعانني على نشر علم نافع أو عمل صالح.

ولا أنسى مشايخي وأساتذتي، وكل من علمني مسألة من مسائل الدين، أو دلّني على خير، أو نصحني نصيحة نافعة، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأختم بكلمة من القلب: إنّ الإنسان قد ينسى كثيرا مما قيل له، لكنه لا ينسى من وقف إلى جانبه حين اشتدت عليه الأيام.

اللهم اجزِ عني خيرا كل من أحسن إليّ، واغفر لي ولوالديّ ولأهلي وأحبابي ومشايخي، واجمعنا جميعا في جنات النعيم.

إلى الأمام! ولله العزَّة ولرسوله وللمؤمنين.

محبكم الشيخ جيل بن نيازِ صادق رحمهما الله

كتاب فريد من نوعه

ليس كتابا تقليديا يقوم على الفصول والعناوين، بل هو مجموعة من **النصائح** والتوجيهات التي كتبها الشيخ جيل صادق في حالات الواتساب، وجمعت في كتاب واحد ليستفيد منها القارئ في أي وقت ومن أي صفحة.

- افتحه في أي صفحة وستجد ما ينفعك.
- كل نصيحة نافذة إلى قلبك.
- يوقظك من الغفلة ويشجعك على الطاعة.
- يرافقك في كل حين في البيت وفي العمل، وفي أسفارك.
- ليس كتابا تقرأه مرة ثم تضعه على الرف، بل هو رفيق دائم لطريقك إلى الله.

عن الكتاب

حياة القلوب وأسرار السلوك هو جمع لمئات النصائح والتوجيهات التي كتبها الشيخ جيل صادق في حالات الواتساب، تناولت معاني تزكية النفس، ومجاهدة الهوى، والثبات على ذكر الله، ومحاسبة القلب، وأدب السلوك إلى الله، وغيرها من النصائح الإيمانية.

هذا الكتاب لا يحتاج إلى أن تبدأ بمطالعته من الصفحة الأولى، فكل صفحة فيه نافذة، وكل عبارة تذكرة، وكل توجيه دعوة صادقة لسلوك أفضل.

كتاب يلامس قلبك ... أينما فتحته.